



التفوق ليس
حكما على
الأذكياء

د. سعد الكريباتي



٢٠١٤ هـ شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الكرياني، سعد سعود عايد

التفوق ليس حكرًا على الأذكاء. - سعد سعود عايد

الكرياني. - الرياض، ١٤٣٩ هـ

٤٠٠ ص؛ ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ٤ - ١٣٧ - ٥٠٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١. المقالات العربية

أ. العنوان

ديوي ٠٨١ ١٤٣٩ / ١٥١٢



للحصول على كتبنا الورقية



حقوق الطباعة محفوظة للناشر



للحصول على كتبنا الصوتية



الطبعة الأولى

٢٠١٨ م / ١٤٣٩ هـ



للحصول على كتبنا الإلكترونية



نشر وتوزيع العبيكان Obekon

المملكة العربية السعودية - الرياض

طريق الملك فهد - مقابل برج المملكة

هاتف: +٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٦٥٤، فاكس: +٩٦٦ ١١ ٤٨٠٨٠٩٥

ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

www.obekanretail.com

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.



إهداء

إلى زوجتي العزيزة الشيخة عائشة يوسف عبدالرحمن طالب الكندري
النهر الجاري العذب السلسبيل التي فاضت عليّ وعلى بيتها حبًّا
وأنسًا ومودةً وعطاءً . والتي فاجأتني مرارًا وتكرارًا بدخلاتها الحلوة إلى
مكتبي وهي تحمل مشروباتي المفضلة : القهوة العربية ، والكرك .
وعصير الأفوجادو بالعسل ، والتمر الهندي . وخسارة وألف خسارة
في هذا المقام أني لست بشاعر . وإلا لنظمت في مدحك معلقة
تبلغ من روعتها وسبكها آفاق الدنيا طولًا وعرضًا .. فسامحيني .

شكر وامتنان

للأستاذ الكبير سالم محمد الخطاب
مدير البرنامج التربوي المسائي بمركز تقويم وتعليم الطفل
لمراجعته الكتاب مراجعة لغوية دقيقة .
وللمصممين العظميين المبدعين العزيزين
المهندس حمد إبراهيم الشريدة والأخ أسامة المصري
على تصميمهما وإخراجهما الرائع للكتاب .
كما أشكر الرسامة المبدعة مريم خالد الملا
على رسمة فصل "شوف له مدرسة ثانية" .

المقدمة

اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وأنقذتنا وفرجت عنا ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة ، كبت عدونا ويسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وجمعت فرقتنا ، وأحسنمت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا ، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً ، لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بعد أن حدث الانفجار العظيم منذ بلايين السنين .. بدأت الأرض نشأتها كتلة من الغازات والغبار الكوني معلقة في الفضاء ، لا تمايز في طبقاتها سطحها كجوفها ، غازات وليدة في تفاعل شديد فيما بينها منتجة درجات هائلة من الحرارة ، هكذا كان حال الأرض وحال بلايين الأجرام السماوية المتناثرة حولها بعد ذلك الانفجار العظيم . لكن مع مرور الوقت .. أخذ سطح الأرض يبرد ويتحول إلى قشرة صخرية يحيط الأرض ويغلف باطنها ، باطنها الذي يتحرك فيه صهير حار لم يبرد ولم يتجمد ، تسبب بتشققات وحركات أرضية مستمرة لوجه الأرض ، نتج عنه وديان وأخاديد ومنخفضات وسهول وهضاب وجبال ، نتج عنه تضاريس الأرض وزلازلها وتصدعاتها وبراكينها .

في أثناء ذلك .. لم يتشكل الغلاف الغازي للأرض بعد ، ولم يكن كما نعرفه اليوم ٧٨ ٪ نيتروجين و ٢١ ٪ أكسجين ، بل كان يعلو الأرض مجموعة كثيرة من الغازات ، منها غازا الهيدروجين والأكسجين اللذان تفاعلا مع بعضهما لينتجا مركب الماء . في البداية لم يستطع هذا الماء أن يلامس الأرض ، لأنه ما يكاد يقترب من سطحها إلا وسخونة السطح تبخره وترفعه من جديد إلى الأعلى . استمر الحال على هذا فترة إلى أن أصبح

سطح الأرض أقل حرارة من سابقه ، وأصبح الماء الساقط يجد فرصته للاستقرار عليه قليلاً . وبعدها وخلال ملايين السنين .. استمر الماء يهطل بغزارة على الأرض ويستقر عليها ، يستقر في تلك القيعان والمنخفضات والأخاديد التي تسببت فيها الزلازل والصدوع الأولى ، مُشكلاً الماء فيها المحيطات والبحار والأنهار .

لقد أصبحت تلك القيعان الأولى حتى يومنا هذا الحاضن الرئيس لكل ماء جديد يتحدر على سطح الأرض ، فلا سبيل للماء في النهاية من مهرب إلا الانحدار في أحضان تلك المنخفضات والأخاديد . والآن سانتقل من الجيولوجيا إلى البيولوجيا ، عن نمو دماغ الإنسان ، لأوضح لكم في نهاية المقدمة قصدي من الحديث عن هذه العلوم .

يملك الإنسان البالغ في دماغه أكثر من ١٠٠ مليار خلية عصبية قادرة كل واحدة منها على الاتصال مع ١٠ آلاف خلية عصبية مجاورة لها ، لتشكل جميعاً من التشابكات ما يتراوح بين مئة إلى ألف ترليون تشابك عصبي . خلايا بدأت نموها وتطورها نمواً وتطوراً سريعين مذهلين منذ الأيام الأولى لعمر الجنين ، ففي نهاية الأسبوع الثالث من الحمل يكون تشكّل النواة الأولى لثلاثة أجزاء من الدماغ : الأمامي والوسطي والخلفي . وفي نهاية الأسبوع الخامس تبدأ الخلايا العصبية في الدماغ بالتوالد والنمو نمواً سريعاً جداً ، ٢٥٠ ألف خلية في الدقيقة الواحدة ، ثم نمواً على أشده بين الشهر الرابع والسابع من الحمل . بعد تسعة أشهر من الحمل .. يكون وزن دماغ المولود الجديد قد بلغ ٣٤٠ جرام (ما يقارب ٢٤٪ من الوزن الكلي لدماغ الإنسان البالغ) ، ثم ٧٥٠ جم عند عمر ستة أشهر ، ثم ٩٧٠ جم عند اكتمال السنة الأولى ، ثم ١١٥٠ جم عند نهاية السنة الثانية ،

ثم ١٢٠٠ جم عند نهاية السنة الثالثة (٨٦ ٪ من وزن دماغ البالغ) . وهذا يعني أنَّ الدماغ قد تضاعف وزنه مرتين ونصفًا خلال هذه السنوات الثلاث موازنةً بما كان عند الولادة ، تضاعفًا لا يوجد له نظير عند أي من الثدييات الأخرى ، تضاعفًا لا يبلغ كماله وجودته إلا بأم يقظة سقته بحليب صدر حان ودم نقي خلصته من سم السجائر والمسكرات .

عند بلوغ الطفل سنته السادسة يكون دماغه قد وصل إلى ١٢٥٠ جم ، ثم ١٣٠٠ جم في عمر تسع سنوات (٩٣ ٪ من وزن دماغ البالغ) ، ثم ١٣٥٠ جم عند عمر أربعة عشر عامًا (٩٦ ٪ من وزن دماغ البالغ) ، ثم يصل منتهى وزنه ١٤٠٠ جم عند سن العشرين . مع العلم أنَّ الجسم بكامله لا يصل إلى نصف وزنه الناضج إلا في سن العاشرة (السلطي ، ٢٠٠٤ ؛ جنسن ، ٢٠٠١ ؛ جنسن ، ٢٠٠٧ ؛ عبده ، ١٩٨٩ ؛ ليفيتون ، ٢٠٠١) .

بالرجوع مرة أخرى إلى مراحل تطور الدماغ ستلاحظ أنَّ الدماغ قد بلغ ٩٦ ٪ من وزنه الإجمالي عند بلوغ الإنسان أربعة عشر عامًا . والسؤال : أين قضى هذا الإنسان الـ ١٤ عامًا لما كان عقله ينمو بهذه السرعة ويبلغ كل هذا الوزن ؟ أين كان هذا الإنسان موجودًا في هذه الفترة الحاسمة التي تشكلت فيها طبوغرافيا دماغه وتضاريسه وهويته ؟ الجواب : ثلاث سنوات قضاها في البيت ، سنتان في الروضة ، خمس سنوات في الابتدائي ، وأربع السنوات الأخيرة قضاها في المرحلة المتوسطة ، أي أنَّ الدماغ قد قضى ١١ سنة من مراحل تطوره وتشكله وهو داخل أسوار التعليم والمدارس .. المدارس التي أحدثت الزلازل الأولى التي شكلت هوية العقل ومدى إبداعه ورسمت حدوده ورقعة اتساعه ، بالضبط كما فعلت الزلازل الأولى في وجه الأرض ومعالمها .

لا يبلغ الطفل مرحلة الروضة أو المدرسة إلا وقد نضج عنده الهيبيوكامبس وصار نشطاً وفاعلاً ، ذلك الجزء الصغير في الدماغ الذي يضم مئة مليون خلية عصبية ، طوله ٧ سم ووزنه ٨ جم ، ومسؤول عن تحويل المعلومات التي تستقبلها أعضاء الحس إلى ذكريات طويلة الأمد محفورة في قشرة المخ يصعب محوها ونسيانها ، وكأنه المنفذ أو البوابة الرئيسية لتلك الأرض الغناء الخصبة الممتدة اللينة سهلة التشكل التي تسمى الدماغ .. فما الذي ولج من المدارس من تلك البوابة إلى تلك الأرض ؟

يقول هوارد جاردنر في كتابه " العقل المدرسي " : ينبغي أن يكون هدف المدرسة مراجعة التصورات الخطأ التي تنمو عند أطفال العالم كلهم خلال السنوات الخمس الأولى من العمر ، وتحافظ على أكثر ملامح العقل تميزاً : حس المغامرة ، سعة الحيلة ، توليد الأفكار ، والإبداع . وأشار في موضع آخر من الكتاب إلى أن الفترة بين الثانية والسابعة فترة أخاذة في النمو الإنساني يتم فيها التمكن من الكفاية الرمزية ، تعزيز عادات الجسم والعقل ، وتطلق فيها أو تعاق النزعة الفنية والإبداعية . وأكد هذا أيضاً الدكتور ديفيد سوسا في كتابه " Learning Manual for how the Brain Learns " عندما قال : إن ما يتعلمه الطفل خلال المراحل الأولى من عمره - عندما تفتح نافذة التعلم في العقل على مصراعيها - يصعب تغييره لاحقاً ويؤثر تأثيراً بالغاً في بقية حياته .. عندما تغلق تلك النافذة . والسؤال مرة أخرى : ما الذي ولج إلى الدماغ من المدارس ؟ وما الاعتقادات التي أسستها والمشاعر التي دستها في أدمغة الأطفال ؟

ذكر ألبرت أنشتاين إنها معجزة أن ينجو الفضول من التعليم الرسمي .
ويقول مؤلفا كتاب " The Answer " أساراف و سميث : عندما يصل التلميذ إلى عمر ١٧ سيكون قد سمع كلمة " لا " أو " لا يمكن " نحو ١٥٠ ألف مرة ،
وعبارة " نعم " ، أو " يمكنك فعل ذلك " نحو ٥ آلاف مرة ، فهناك ٣٠ لا
مقابل كل نعم .. وهذا يُنمّي اعتقاداً قوياً بفكرة لا أستطيع . أكد ميرفي في
كتابه " قوة عقلك الباطن " : أن الشخص قد يفاجأ عندما يعلم أن المعتقدات
والميول التي ترسخت بداخله منذ مرحلة الطفولة المبكرة ما زالت تعيش في
داخله ، فلا يزال لديها من القوة ما تستطيع أن تؤثر في حياته .. إن جودة
الحياة من جودة الاعتقاد .

تقول كارولين كويل في كتابها " Encouraging Achievement " : معظم
التلاميذ يدخلون المدرسة وهم ممتلئون بالحماسة والتوقعات الإيجابية
العالية ، لكن مع نهاية مرحلة الصف الأول أو على الأكثر الثاني يكونون قد
فقدوا تلك الحماسة وقرروا أنهم لن ينجحوا في المراحل المدرسية التالية .
وبدلاً من رؤية التعلم أنه بيئة مرح وتحدٍ ، فإنهم يرونه بيئة عقاب ، بيئة
مملة ، وبيئة تحط من قدر الذات .

يقول براين تريسي في كتابه الرائع " أقصى إنجاز " : إن أكبر تهديد
في الحياة هو الخوف من الفشل والخوف من الرفض . استجابات مكتسبة
بُرمت في عقل الشخص قبل بلوغه سن السادسة ، وجعلته يعمل المطلوب
إليه ضمن حدود ضيقة من دون زيادة أو تعديل . برمجة أبقته في منطقة
الراحة ، وجنبته النقد والرفض ، وكل مشاعر الخوف والقلق . برمجة مبكرة
وأدت منه الثقة والطموح والإبداع . ويقول تريسي في كتابه " خطة الرحلة " :
بدافع الخوف من الفشل يرفض أغلبية الناس التغيير حتى إن كان لمصلحتهم ،

فوفقاً لقانون القصور الذاتي فإن الجسم المتحرك يظل متحركاً ما لم تؤثر عليه قوة خارجية . فالناس يميلون إلى الاستمرار في فعل الأشياء نفسها يوماً بعد يوم ، وعاماً بعد عام ، من دون أي سبب سوى أنهم يشعرون بالارتياح تجاه فعلها فعلاً معيناً .

قال توماس أرمسترونج في كتابه " الذكاءات المتعددة في غرفة الصف " :
حين أذهب إلى حجرة دراسية جديدة لأوضح كيف أدرس درساً عن الذكاءات المتعددة ، فإنني عادة ما أبدأ بالسؤال الآتي : كم عدد من يعتقدون أنهم أذكى ؟ ولقد اكتشفت وجود علاقة عكسية بين عدد الأيدي التي ترفع ومستوى الصف الذي أدرسه (من الصف الأول إلى الصف الثاني عشر) ، أي أن الأيدي المرفوعة في الصف الأول أكثر من الصف الثاني ، والثاني أكثر من الصف الثالث ، وهكذا . وذكر التجربة نفسها دانيال بينك في كتابه " عقل جديد كامل " عن الرسام جوردن ماكنزي الذي كان يزور الفصول الدراسية ويسأل الطلاب : كم عدد الفنانين في هذه الغرفة ؟ فوجد العلاقة العكسية التي وجدها أرمسترونج نفسها . قال جابر عبد الحميد في كتابه " الذكاءات المتعددة والفهم " وهذا يذكرني بملاحظة نيل بوستمان (Neil Postman) الأستاذ بجامعة نيويورك الذي يقول : الذي نفعله في السنوات الأولى الفاصلة هو أن نعمل على إقناع الأطفال بأنهم ليسوا أذكى .

ذكر ريتشارد ليفيتون في كتابه " بناء العقل " أن هناك دراسة عام ١٩٨٤ أجريت على ألف مدرسة ، شملت مقابلات ٢٧ ألف مدرس وطالب وولي أمر ، أجراها أساتذة من جامعة كاليفورنيا ، أظهرت نتائجها أن ٣ % من وقت الحصة بالكاد يذهب في الامتداح والفكاهة ، أقل من ١ % من

اليوم النموذجي يكرس لمشاركة الطلبة في آرائهم والمناقشة المفتوحة ، وأنّ المدرسين يديرون الفصول إدارة متسلطة ، والإنتاج الإبداعي للطلبة لا يُشجّع أو يُتوقّع .

وفي كتابه " أنا يوم جديد " ذكر المزيدي أنّ الدكتور جم هنج - مستشار البيت الأبيض - قال في إحدى أشرطته : اتصلت بإحدى رياض الأطفال أطلب إذنًا إلى المديرية بدخول أحد الفصول ، فدخلت فصلاً فيه ٣٠ طفلاً تتراوح أعمارهم بين ثلاث سنوات إلى خمس . رسمت نقطة دائرية على اللوح وسألت الصغار : ما هذه ؟ فرأيت ٣٠ يداً ترتفع في لحظة واحدة ، وكل واحد يسابق الآخر ليحجب قبله . اخترت أحد الأطفال فقال : هذه نجمة في السماء تتألأأ . قال الآخر : هذه بعوضة التصقت بنافذة سيارة أبي . وقال آخر : هذا عمود كهرباء . فقلت للطفل متعجباً : عمود كهرباء !! كيف ؟ قال الطفل : إذا رأيته من فوق ستجده عمود كهرباء . سمعت ٣٠ إجابة مبتكرة ، كل واحدة أجمل من أختها . خرجت من الروضة واتجهت مباشرة إلى مدرسة ثانوية قد استأذنت مديرها للدخول على أحد فصول مرحلة الثاني عشر فيها . رسمت النقطة نفسها على اللوح وسألت الطلبة : ما هذه ؟ لم يتكلم منهم أحد ، بل أخذوا ينظرون إلى بعضهم مندهشين من هذا السؤال السخيف ، وبعد تردد رفع أحد الطلبة يده وقال : نقطة على اللوح .. إنها مجرد نقطة على اللوح . خرجت من المدرسة وأنا على يقين أنه كلما كبر الأطفال زاد تجفيفنا لمنابع الابتكار لديهم .

تقول ترينداد هنت في كتابها " تعلم كيف تتعلم " : هل بإمكانك أن تتذكر أيام الدراسة حيث كنت طفلاً صغيراً ؟ هل تتذكر مرحلة الروضة عندما كانت

المعلمة تطرح عليكم الأسئلة ؟ كنت تندفع للإجابة مع باقي الأطفال بسرور وتُجيبونها إجابة كاملة ، ولكن حين قالت المعلمة لإبراهيم إن إجابته خطأ ، فإنك مع زملائك فهمتم الرسالة ، وصار تفاعلهم مع المعلمة أقل من سابقه . لقد صرتم تخافون من عبارة " أنت مخطئ " . في السنة التالية صار تجاوبكم أقل ، وهكذا حال السنوات التي تلت . في الحقيقة إن تدمير ثقة الطفل بنفسه واهتماماته لا يحتاج إلى جهد كبير من الكبار ، انظروا إن شئتم إلى تلميذ الصف التاسع وقد أصبح غير مبالي ، وإلى الطالب الجامعي وقد أصبح كل همه أن يحصل على أفضل تقدير بأقل جهد . لقد ترك الكبار من الآباء والمعلمين انطباعات سلبية عن أنفسنا صنعت اعتقاداً وشعوراً بأننا نملك قدرات محدودة في الفهم والأداء ، كانت كافية لشل القدرة على التعلم لدينا . فعدم سماحهم لنا بالخطأ طور خوفاً يكبر معنا ، أصبحنا بسببه محبطين عاجزين مقيدين نشعر بالارتباك كلما أشارت إلينا أصابع المعلم بالإجابة عن سؤاله . يا للأسف .. صرنا نخجل من أخطائنا بدلاً من أن نتعلم منها .

إذا .. بعد عرض هذه الملاحظات والخبرات والتجارب من هؤلاء الخبراء ، أستطيع أن أقول : كما تعرضت الأرض للزلازل الأولى التي صنعت قيعانها ووديانها وبحارها وأنهارها ، كذلك تعرض عقل التلميذ مبكراً إلى زلازل وهزات غيرت ملامحه وطمست إبداعاته . زلازل وهزات شقت أخاديد عميقة من اليأس والضعف والعجز ، تراكمت فيها الخبرات والذكريات والمواقف والتصنيفات السلبية المحزنة ، فجري في عقول التلاميذ تيار جارف من القنوط والسلبية والتكاسل لا يوقفه نصح ولا تشجيع ولا تحفيز - برغم قلة ذلك التشجيع وشحه طبعاً - بل إن الأمل والطموح المتأخر سرعان ما تتلاطمه أمواج ذلك التيار ليصبح في قاعه غريقاً منسياً . فلا سبيل لحفر أخاديد جديدة ولا سبيل لردم الأخاديد العميقة القديمة ، رفعت الأقلام وجفت الصحف .

لذلك أنا لا أستغرب بصفتي معلماً للمرحلة الثانوية أكثر من ٢٥ عامًا الصعوبة التي أجدها في أول يوم دراسي مع الطلبة لأقنعهم بأنهم عظماء أذكاء قادرين بحول الله وتوفيقه على صناعة مستقبل مرموق ناجح . تقول جين ستاين في كتابها " كيف تضاعف قدراتك العقلية " إنَّ عقولنا قادرة على الاحتفاظ بنحو ١٠٠ مليار معلومة ، وهو يساوي ٥٠٠ دائرة معارف . وتقول ترينداد هنت في كتابها " Learning to learn " : إنَّ العقل البشري قادر على أن يتعلم ٤٠ لغة ، وأن يتذكر موسوعة كاملة من الغلاف إلى الغلاف ، كما أنَّ بإمكانه أن يدرس المواد المطلوبة في ٢٤ كلية .

ماريان دايموند (Marian C. Diamond) أستاذة الأعصاب في جامعة كاليفورنيا - بيركلي التي اشتهرت بفحص أجزاء من دماغ أنثتين ، تقول بعد تجارب كثيرة في مجال الأعصاب : إنَّ أدمغتنا في طواعيتها وقابليتها للنمو والتطور مثل قطعة المطاط يمكن تمدها بقدر ما تواجه من تحديات جديدة . وذكر الباحث في الذكاء والموهوبين روبرت ستينبرغ (Robert Sternberg) والعديد من الباحثين والتربويين ، أنَّ الإنسان بعيد كل البعد عن إمكاناته وقدراته الحقيقية (بارت ، ١٩٩٢) . وذكر كريجل وياتلر في كتابهما " If it ain't broke break it " أنه ليس لدينا أي فكرة عن حدود قدرات البشر ، فكل الاختبارات وساعات الإيقاف وخطوط النهاية تقف عاجزة عن قياس قدرات البشر . وحين يسعى المرء إلى تحقيق حلمه سيتجاوز ما يبدو أنه حدود قدراته ، فالقدرات الموجودة بداخلنا ليس لها حدود ولم يُكتشف معظمها .. تفكيرنا في الحدود هو الذي يخلقها .

أتصدقون .. أنني أقول لطلابي كل هذا الكلام وأكثر، تشجيعاً لهم وأملأ أحسبه ينغرس غرساً عميقاً في نفوسهم عن إمكاناتهم وقدراتهم ، لكن الركاب كبير والمحطمين سبقوني مبكراً إلى عقولهم . يا الله .. كم أتذكر تلك العيون الحائرة التي بودّها أن تصدقني وأنا في قمة حماستي وتشجيعي وقصصي وبراھيني ! لكنها اكتفت بالمشاهدة من دون تصديق ولا تكذيب . ولو نطقت تلك العيون لقالت : تأخرت كثيراً يا أستاذ ، فما لجرح بميت إيلام !

لذلك كانت فكرة هذا الكتاب .. ليكون في أبوابه وبراھينه الحياتية والبحثية والميدانية زلازل جديدة تغير تضاريس عقول طلابنا وملامحها وحدودها ، وتطيش بالتجارب السلبية المتراكمة العفنة منها . زلازل جديدة تطمس أخاديد القنوط والخَوَر ، وتشق أخاديد جديدة يجري بها طوفان الأمل والطموح والتشجيع والتحفيز ، طوفان التغيير الهادر الذي لا تعكره دلاء المحبطين ولا توقفه سدود الناقمين العاجزين .. كتاب سيصنع بإذن الله تغييراً كبيراً في الثقة ، في الهوية والذات ، وفي سقف الطموح والإمكانات .

عزيزي القارئ .. قسمت كتابي إلى فصول كثيرة ، أحدها يبرهن أن الذكاء يكتسب والمواهب تصنع ، آخر لا يشترط الترابط بين التحصيل الدراسي والتفوق المهني ، أو بين درجة الذكاء والإنجاز الحياتي ، آخر يحذرك من توقعات الآخرين - حتى الخبراء منهم - لحدودك وإمكاناتك ، وآخر يكشف أنَّ الذكاء ليس له شكل واحد بل أشكال مختلفة . باختصار إنه كتاب يقول لك بوضوح : ليس لطاقتك وإبداعاتك حد ولا نهاية معلومة ، فاختر لنفسك سقف الإنجاز والنجاح الذي تريد .. قراءة ممتعة .



أذهب إلى العمل في الخامسة والنصف فجراً وأترك العمل في السابعة أو الثامنة مساءً ..
مما يعني أنني لا أرى النور مطلقاً . نحن نميل إلى المبالغة في تقدير الموهبة وإهمال قدر
العمل والتدريب لأننا لا نرى كل الجهود التي تبذل خلف الكواليس . نرى لاعب الجمناز وهو
يسجل الرقم ١٠ على ١٠ ولا نرى عشرة الأعوام التي قضاها اللاعب في كفاح وصبر كي يصل
إلى هذه الموهبة .

الإعلامية الأمريكية
أوبرا وينفري

وزير الذكاء

في نهاية العام ١٩٧٨ ومع بداية حكمه لفرنزويلا ، أعلن الرئيس لويس هريرا كامباز عن عزمه تأسيس وزارة جديدة اسمها وزارة الذكاء يترأسها صديقه لويس ألبرتو ماتشادو . لكن معظم وزرائه عارضوه بشدة ، ورجوه نبذ الفكرة بسرعة كي لا تصبح فرنزويلا أضحوكة العالم . أصر الرئيس على فكرته لثقتة بأفكار ماتشادو الذي عرفه عن قرب من خلال صداقة امتدت سنوات طويلة ، عرف فيها عقل ماتشادو وحكمته وجديته . كما إنَّ الرئيس مقتنع بما كتبه ماتشادو في كتابه " الذكاء حق طبيعي لكل فرد " ومتحمس لأفكاره . شكر ماتشادو الرئيس كامباز على تمسكه بفكرة تأسيس الوزارة الجديدة ، وانطلق يرتب أركان وزارة الذكاء .

في صبيحة يوم ١٩ مايو ١٩٧٩ وعلى الصفحات الأولى الفنزويلية ، أعلن ماتشادو بالخط العريض أنَّ العبقرى ليس رجالاً خارقاً ، ويمكن لكل رجل عادي أن يكون ذلك الرجل الخارق . وختم ادعائه هذا بتطبيق تجربة تبرهن على صحة كلامه . قال إنه سيحضر مجموعة من أطفال الهنود الغارقين في البدائية في قعر الأمازون الذين لم يلمسوا أو يروا آلة عزف موسيقية أبداً ،

وخلال شهرين فقط سيصل بهم إلى حد الاحتراف في العزف الموسيقي. فالذكاء مهارة قابلة للتعلم ، ويمكن لكل فرد أن يكون ذكياً . وبالفعل جَلَبَ ماتشادو في شهر يوليو ١٩٧٩ خمسة وثلاثين طفلاً بدائياً من حوض الأمازون لا يعرفون إلا لغتهم ، أوكل أمر تدريبهم على العزف إلى مجموعة من الموسيقيين المحترفين . وبعد شهرين في يوم ١٧ سبتمبر ١٩٧٩ ، وقف الرئيس ووزرائه والعالم كله يصفق لماتشادو نجاح تجربته ، يصفق للعزف المتقن الموهوب الذي أظهره أطفاله البدائيون .. لقد انطلقت ثورة الذكاء .

طاف ماتشادو بلاداً كثيرة يشجعها على تبني برنامجهِ ، فطبقتهُ كولومبيا والصين وكوبا ، وكثفت جامعة هارفارد أبحاثها ودراساتها حول البرنامج ، لتنشئ بعد فترة مركزاً خاصاً في الذكاء . كما أن كتاب ماتشادو " الذكاء طبيعي لكل فرد " ترجم إلى ٢٢ لغة خلال ثلاث سنوات من نشره بالإسبانية عام ١٩٧٨ . كتابه الذي يؤكد فيه أن الذكاء يُنمى ويكتسب ، وهو حق من حقوق الإنسان على الحكومة تعليمه لأفرادها ، فليس هناك مهمة للحكومة أعظم شأنًا من الكفاح لرفع ذكاء الشعب . إنَّ تطور كل الناس أمر ممكن ، فثروة الأمة هي ثمرة عقول مواطنيها ، فكلما تضخم عدد الأذكىاء المبدعين تقدمت البشرية أسرع .

من أقواله الجميلة في الكتاب : إذا لم يجعل الفرد نفسه قادراً فإنه سيستمر خاضعاً للقادرين . ويقول : الجاهل لا يأكل ، والجهل هو العبودية ، والتربية تجعلنا أحراراً . ويقول أيضاً : الطفل الذي يولد لأبوين متحضرين لن يكون متحضرًا إذا لم يتوافر له التعلم الضروري ، أما الطفل الذي يولد لأبوين بدائيين فإنه سيصبح متحضرًا إذا ما توافرت له التربية المناسبة لذلك ، فالاختلاف بين البدائي والمتحضر ليس بيولوجياً ، لكنه تربوي .. التربية طريق الأمة لرفع ذكائها .

أشار بلود و بلود في كتابهما " دليل الآباء لتفوق الأبناء " بأن عالم النفس الأمريكي بنجامين بلوم (صاحب التصنيف المعروف) توصل بعد ٤٠ سنة من بحث عملية التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية وفي خارجها أن بوسع ٩٧ ٪ من الطلبة كلهم أن يتلقوا التعليم تلقياً جيداً لو توفرت لهم البيئة الإيجابية لتلقي التعليم ، واستثنى فقط ٣ ٪ من الطلبة الذين تلقوا إصابات بليغة في أدمغتهم . وذكر بلوم في كتابه " الارتقاء بالموهبة لدى الشباب " دراسته عن حياة ١٢٠ شخصاً وصلوا إلى القمة في مجالاتهم (في العلوم ، والرياضيات ، والموسيقى ، وفي الرياضة) ، وقد استنتج هو وفريق البحث بعد الدراسة الطويلة

أنه ليست الموهبة الفطرية من صنعت هؤلاء الأبطال وتفوقهم في مجالاتهم ، بل هي الرغبة والالتزام والمثابرة في التعلم والتدريب (بارت ، ١٩٩٢) .

سئل عازف الفيولن المحترف إسحاق ستيرن : هل تولد الموهبة ؟ قال : مهما كان قدر الموهبة كبيراً ، فما لم يكن الشخص منضبطاً جاداً مثابراً ، فلن تتعدى كثير من المواهب كونها فقط مواهب .. الانضباط والتدريب والمثابرة نار صاقلة تحول الموهبة إلى قدرة . إنَّ النظر والتدقيق في سجلات الأبطال كافة وفي المجالات جميعها يكشف دائماً وأبداً أنَّ المواهب والإنجازات الكبيرة هي نتاج مضمون للتدريب الجاد والمثابرة (زيجلر ، ٢٠١٦) . لذلك قيل إنَّ الموهبة تعطي الأمل بالإنجاز ، لكن المثابرة تضمنه .

ومثل يقين ماتشادو بقابلية زيادة ذكاء البشر ومواهبهم بالتعليم والتدريب ، ذكر زيغ زيجلر في كتابه " أراك على القمة " أنَّ العالم الياباني شينيشي سوزوكي (Shin'ichi Suzuki ، ١٨٩٨ - ١٩٩٨) قد أدى عملاً يَعدُّه الكثيرون بأنه معجزة .

سوزوكي كان يأخذ أطفالاً لم تتجاوز أعمارهم بضعة أسابيع قليلة ، تُعزف بجانب أسرة نومهم موسيقى مسجلة ، وتُشغل المقطوعة الموسيقية نفسها مرات عدة . بعد نحو ٣٠ يوماً يكرر هذا الإجراء مع مقطوعة موسيقية أخرى ، ويواصل هذه العملية إلى أن يبلغ الطفل نحو السنتين . وعند هذا الوقت يبدأ في إعطاء الأم دروساً موسيقية مدة ثلاثة أشهر ، والطفل البالغ عامين حاضر هذه الدروس مستمعاً لعزف أمه . بعد ذلك يضع بين يدي الطفل آلة كمان مصغرة ل يبدأ الطفل تحسس هذه الآلة ومشاهدة حركات العزف من أستاذه . لا يدوم الدرس الأول أكثر من دقيقتين أو ثلاث ، ثم تأخذ هذه الدقائق في الزيادة إلى أن تصبح ساعة كاملة . وما إن يبلغ الأطفال عامهم السادس أو السابع إلا ويكتفون قد أتقنوا العزف على الكمان وبرعوا فيه .. طبعاً في الوقت الذي يرى فيه أقرانهم من الأطفال الصعوبة الكبيرة في إتقان العزف على هذه الآلة .

أقام البروفسور سوزوكي حفلاً موسيقياً مع نحو ١٥٠٠ طفل من هؤلاء الأطفال اليابانيين العازفين ، كان متوسط أعمارهم سبعة أعوام ، عزفوا كلاسيكيات شوبان وبيتهوفن وفيفالدي . والأمر المهم أن سوزوكي يؤكد أن الأغلبية العظمى من هؤلاء الأطفال لم تكن لديهم أي موهبة موسيقية

- طبيعية - إلا أنه يؤمن بأن لدى كل طفل موهبة يمكن تنميتها عن طريق اتباع العملية نفسها التي نستخدمها في تعليم الأطفال الكلام . وُسِّمَت هذه العملية نظرية سوزوكي أو نظرية تعليم الموهبة .

إنَّ الطفل يكون دائماً في حضرة أشخاص كبار يتكلمون باستمرار ، وبذلك تكون الخطوة الأولى تعريض الطفل لما نريد تعليمه إياه ، وبعد ذلك يحاول الطفل التكلم ، وتلك هي خطوة المحاكاة . وهنا يُثني أقرباؤنا وأصدقاؤنا على الطفل والتفاخر به ، وهذا يمنحه التشجيع ويحفزه على إعادة التجربة مرة أخرى ، وتلك هي عملية التكرار . بعد ذلك يبدأ الطفل في إضافة بعض الكلمات الأخرى وفي ربطها معاً مكوناً جملة أو عبارة ، وتلك هي عملية التهذيب والتحسين . وعند سن الثالثة أو الرابعة يكون لدى الطفل مجموعة كبيرة من المفردات اللغوية وهو لا يزال لا يستطيع أن يقرأ ربما كلمة واحدة .

لاحظ سوزوكي عندما زار ألمانيا عام ١٩٢٠ السهولة التي يتكلم بها أطفال الألمان الألمانية ، كما لاحظ من قبل السهولة التي يتكلم بها الأطفال اليابانيون اللغة اليابانية - برغم صعوبتها وتعقيدها - لقد

أدرك أنَّ الأطفال باستطاعتهم ومن دون أي معاناة إتقان التحدث بلغتهم الأم من خلال ثلاث خطوات : الاستماع ، التقليد ، والتكرار . واستنتج أنَّ المواهب جميعاً تتعلم الطريقة نفسها إن توافر في المعلم الحب والتفاني .

أسس سوزوكي مدرسته الموسيقية في مدينة ماتسوموتو اليابانية الذي كان شعاره فيها الشخصية أولاً ثم الموهبة ثانياً . عام ١٩٦٤ كانت أول رحلة لسوزوكي ومجموعته إلى أمريكا التي ضمت عشرة أطفال واشتهرت باسم (10 children) . أذهل الصغار الأمريكيان بعزفهم المتقن ، فانتشر خبرهم وذاع صيت معلمهم في طول البلاد وعرضها . ومع هذه الشهرة تقاطر الناس من كافة أرجاء العالم إلى مدينة ماتسوموتو يتعلمون نظرية تعليم الموهبة من مدرسة سوزوكي ، ويتعلمون من صاحبها مباشرة فلسفته ومبادئه .

اليوم هناك أكثر من ٨٠٠٠ معلم حول العالم لنظرية سوزوكي وأكثر من ربع مليون طفل يعزفون بإتقان من خلال النظرية نفسها .. وهذا العدد الكبير من الموهوبين لا يقدم شاهداً واحداً على أنَّ المواهب تُتعلَّم والذكاء يُصنع ويُكتسب ، بل ربع مليون حجة وبرهان .

لذلك يقول مؤسس المدرسة السلوكية جون واطسون : أعطني ١٢ طفلاً سليماً وعالمياً الخاص ، وسوف أؤكد بتدريبهم أنهم سيصبحون كما أختار : طبيباً ، محامياً ، فناناً ، زعيماً ، لصاً ، شحاذاً .. بغض النظر عن مواهبه أو استعداده أو ميوله أو قدرته أو أصل أجداده . ويقول عالم النفس البريطاني مايكل هاو (جامعة اكستر) : بعد دراسة على فنانين ناجحين وعلماء في الرياضيات ولاعبي تنس معروفين وأبطال في السباحة ، لم أجد أي شخص وصل إلى أعلى المستويات في الأداء والنجاح من دون تكريس آلاف الساعات من التدريب الجدي ، حتى أولئك الذين اعتبروا أنهم موهوبون في الموسيقى أو الرياضة أو الرياضيات أو الشطرنج تطلبوا فترات طويلة من التعليم والتدريب . التفوق تحدده الفرص والتشجيع والتدريب والعزم والثقة بالنفس أكثر من أي شيء آخر (حسين : ٢٠٠٤) .

عالم الأعصاب الأمريكي دانييل ليفيتين (Daniel Levitin) هو الباحث الذي أجرى البحث الشهير عن كم التدريب المطلوب لاستحقاق لقب " خبير عالمي " . يقول ليفيتين : يتطلب الوصول إلى هذا اللقب ١٠ آلاف ساعة من التدريب ، فالدراسات التي أجريت على المحترفين من الموسيقيين

واللاعبين والمؤلفين والمتزلجين ولاعبي الشطرنج أشارت إلى تلك الساعات نفسها من التدريب . ١٠ آلاف ساعة تدريب تعادل ٢٠ ساعة من التدريب الأسبوعي لمدة ١٠ سنوات ، حتى يستوعب العقل معارف ومهارات أي مجال يريد البراعة فيه (ماكينا ، ٢٠١٤) . وهذا ما أكدته أيضاً مالكوم قلاذويل في كتابه " The story of success " ، وعالم النفس السويدي كي أندريس أريكسون في كتبه وأبحاثه الكثيرة المشهورة عن الاحترافية والأداء البشري ، وهو أن الإنسان يحتاج إلى ١٠ آلاف ساعة من التدريب حتى يتربع على القمة في فنه أو مجاله ويصل إلى البراعة والاحتراف العالي ، وأنه كلما زاد الإنسان من ساعات تدريبه حقق نتائج أفضل (أريكسون ، ١٩٩٦ ؛ أريكسون وبول ٢٠١٦ ؛ أريكسون ، رورنق ، ونانداقوبال ، ٢٠٠٧ ؛ بينك ، ٢٠١٢) .

يقول السفير العراقي السابق في اليابان غانم الجميلي في كتابه " جذور نهضة اليابان " : في مرة من المرات دعيت إلى حفلة شاي يابانية تقام وفق التقاليد المتوارثة ، وكانت السيدة التي تُحضر الشاي الأخضر تُعدُّ من خبرات إعداد الشاي ، حيث درست عملية إعداد الشاي مدة ٤٠ سنة ، ومع ذلك فهي لا تعتقد أنها وصلت إلى درجة الإتقان في ذلك الفن ، وتواصل تطوير أدائها من خلال التجربة بعد التجربة . وفي مرة

دعتني وزيرة الخارجية اليابانية السابقة يوريكو كواغوتشي إلى حضور عرض خاص للعرائس في المسرح الوطني ، وكان العرض يتكون من دمي كبيرة يحرك كل واحدة منها ثلاثة أشخاص يغطون أجسامهم بملابس سوداء ، حيث يحرك أحدهم قدمي الدمية ، وآخر يحرك اليدين ، والثالث يحرك الرأس ، وقد أُخْبِرْتُ بأن الشخص الذي يحرك القدمين يحتاج إلى تدريب مدته ١٠ سنين ، فإذا أتقن ذلك ، فإنه يحتاج إلى ١٠ سنين أخرى من التدريب ليصبح مؤهلاً لتحريك اليدين ، و ١٠ سنين أخرى لتحريك الرأس (الجميلي ، ٢٠١٤) .

إذاً فلنتوقف عن اتهام ذكائنا وفهمنا وإمكاناتنا ، ولنسأل أنفسنا كم هي الساعات التي قضيناها في التدريب ؟ ستجد أنه من النادر جداً أن تقترب الإجابة من ٢٠٠ ساعة .

يتمتع الشيخ الكويتي الكبير أحمد عبدالعزيز القطان (حفظه الله) بقدره عجيبة على الإلقاء والخطابة وجذب المستمع والمشاهد لموعظته وتوجيهه . وحضوره الجماهيري الكثيف الذي يلاحقه من مسجد البسام إلى مسجد الدوحة إلى العلبان إلى المزيني إلى الكليب إلى جابر العلي وفي الملتقيات

والمحاضرات والمؤتمرات يشهد على روعة أدائه وتميزه وصدقه في قضايا وأحاديثه وتعبيره . صوت جهوري يعلو وينخفض ، تعابير وجهه ناطقة ، حركات وإشارات وسكتات معبرة متناسقة ، حفظ وبيان متقن ، فصاحة وملاحظة وطرافة ، خبرات في الحياة والدعوة ، وترباط منطقي أخاذ من الآيات والأحاديث والحكمة والشعر والقصة . والسؤال : كيف اكتسب الشيخ القطان كل هذه الاحترافية والبراعة في الخطابة ؟ كم عدد الساعات التي قضاها في التدريب حتى يصل إلى هذا المستوى المتفرد في الإلقاء ؟ الإجابة .. عرفتھا من مقابلة للشيخ مع الشاعر بدر بورسلي في برنامج تلفزيوني اسمه حنين ، ومن مقابلة له مع الدكتور عبدالعزيز القاسم في برنامج سوانح الذكريات ، وكذلك من مقابلة شخصية معه في يناير ٢٠١٧ .

عام ١٩٥٧ بعد دراسته في الكتاتيب ، دخل وعمره ١١ عاماً مدرسة قتيبة الابتدائية واشترك في إذاعتها يقدم فقرات ثقافية قصيرة في طاورها الصباحي . فكان هذا التقديم البسيط أول عهده في الإلقاء ومواجهة الجمهور . عام ١٩٦١ عند دخوله المرحلة المتوسطة .. ترأس فريق الإذاعة المدرسية وترأس فريق المسرح حتى تخرجه . وهي مرحلة عشق فيها القراءة ، فكان يذهب إلى المكتبة الوحيدة في الكويت مكتبة رويح ، ويشترى منها

القصص والسِّيَر مثل : عنتره بن شداد ، سيف بن ذي يزن ، تغريبة بني هلال ، الأميرة ذات الهمه ، وغيرها من كتب الفروسية والحماسة ، ثم يأتي بتلك القصص بعد أن قرأها ، ليقرأها مرة ثانية أمام كبار السن من رجال الحي الذين اعتادوا الجلوس بعد العصر عند دكان بوبدر ضاحي العجيل (رحمه الله) في منطقة كيفان ، ينصتون ويتفاعلون مع قصص الصبي أحمد وهو يروي لهم بحماسة تلك البطولات بتفاصيلها وشخصياتها وأشعارها وكأنهم يعيشون في وسط الحدث . ولأن الصبي أحمد كان بارعاً في الأداء والتمثيل وحافظاً متقناً لقصائد الفرسان والأبطال ، كان مستمعوه من كبار السن يكرمونه على حسابهم بقنينة بيبسي كلما انتهى من فصل من فصول تلك الملاحم ، تشجيعاً وتحفيزاً له ليستمر على عادته تلك في إثرائهم بتلك الملاحم والبطولات . بعد أربع سنوات قضاه في المرحلة المتوسطة طالباً وإذاعياً وممثلاً وقاصاً بعد العصر لكبار السن في حيه ، قُبِلَ في معهد المعلمين . وفيه ترأس أيضاً أربع سنوات إذاعته ومسرحه ، وراح يطور فيهما خطابه واللقاءه . عام ١٩٦٩ تخرج في المعهد وأصبح أستاذ فصل للمرحلة الابتدائية متخصصاً في تدريس المواد العامة ، واختارته وزارة التربية في العام نفسه ممثلاً لها يرتجل الخطب لضيوف الدولة من الرؤساء وكبار الشخصيات . ومن تلك الخطب عرفه الإعلام وأسند له بعض المهام ، فمثّل

بعض الأدوار التمثيلية الدينية في الإذاعة ، وقدم برنامجاً تلفزيونياً يُعلق فيه تعليقاً طريفاً على بعض البرامج ومذيعيها . استمر على ذلك شهوراً قليلة حتى العام ١٩٧٠ ، الذي شهد نقطة التحول الكبرى في حياة الشيخ واتجاهه للدعوة وخدمتها .

عام ١٩٧٠ في مسجد العثمان .. استمع القطان لأول مرة للشيخ المصري الداعية الكبير حسن أيوب ، الذي خَلَّى وجلَّى وحلَّى ، وأطرب وأبهر وأمتع . فن خطابي أسرَّ لم يرَ له القطان مثيلاً : بلاغة في الحديث ، جمال في البيان ، إتقان في الحفظ ، صدق في التعبير ، وسحر في الأثر والتأثير . تأثر القطان وبكى كثيراً من موعظة الشيخ حسن ، فاشتري أشرطة وبدأ في حفظها . فكان كلما حفظ شريطاً ذهب وصلى العصر في مسجد الصبيح في كيفان وأخبر مصليه بأنه ليس بعالم ولا بشيخ ، ولكنه حفظ شريطاً ويستأذنهم بإلقائه عليهم ، فيأذنون له . استمر على هذا ثلاثة أيام في الأسبوع مدة أربع سنوات . وفي منتصف السبعينيات نصحه رئيس جمعية الإصلاح ووزير الأوقاف السابق العم يوسف الحجي بأن يصبح له منبر خاص به . فأخذ بالنصيحة وتطوع خطيباً في الجهراء في مسجد البسام ، فكان بداية الانطلاقة والشهرة في الخطابة .

إذا التميز في الأداء ليس طفرة في الجينات والمورثات ، بل هو آلاف من ساعات التدريب المبكر المتواصل ، وصناعة ذات أسرار وأغوار تتقن بالتعلم والممارسة والزمن . قال أرسطو : التميز فن يكتسب بالتدريب والتعود .

في شهر يوليو ٢٠١٦ تلقيت اتصالاً من المؤلف والمدرّب المتميز الدكتور موسى المزيدي يخبرني فيه بترشيحه لي لأكون أحد المرخصين المعتمدين لتدريب البرنامج العالمي " المدير المحصن ضد الرصاص " التابع لشركة التدريب العالمية الأمريكية كريستكوم ، والذي حَصَلَت شركة الاستثمار البشري في الكويت على الحق الحصري لتدريبه في الخليج . كان الدكتور المزيدي أول من رخصت له شركة كريستكوم لتدريب البرنامج ، ثم منحته بعد ذلك الثقة والتفويض لتأهيل من يراه أهلاً وكفئاً لتدريب البرنامج الذي تحتوي كل نسخة منه على ٢٤ مفهوماً إدارياً ، يشمل أهم المهارات والمعارف والقيم التي يحتاج إليها المديرون ورؤساء الأقسام للقفز بشركاتهم ومؤسساتهم إلى الصدارة والريادة والتميز . في برنامج " المدير المحصن ضد الرصاص " يتدرب المشتركون خلال سنة كاملة ، في كل شهر هناك لقاء واحد مدته أربع ساعات مقسوم على فترتين . كل فترة تشمل مفهوماً إدارياً واحداً يتضمن مشاهدة فيديو مدته ٢٥ دقيقة لمدرّب عالمي ذي خبرة

ميدانية واسعة، يستعرض فيه تجاربه ونصائحه عن أحد تلك المفاهيم الإدارية الأربع والعشرين . مدريون عالميون مثل زيغ زيجلر ، هارفي ماكاي ، رون كروسلاندر ، بوب جونسون ، جورج وولتر ، وتيري بولسون ، وغيرهم . أخبرني الدكتور موسى بعد برنامج تأهيلي بأنني الآن أصبحت أحد الستة المرخصين الذين تعتمد عليهم شركة الاستثمار البشري في تدريب البرنامج للأعوام القادمة ، وعليّ الآن أن أوقع العقد مع الشركة . قرأت العقد جيداً ، ولم يعجبني فيه مقدار المكافأة المالية المخصصة للمدرب ، ورغم ذلك ما ترددت كثيراً في قبوله ! بل صاحب توقيعني على العقد ابتسامة واسعة !!

قبلت العرض مع تلك الابتسامة لأنه في العام ٢٠٠٠ وصلت إلي دعوة من أخي الحبيب خالد القصار (المدير العام السابق لشركة الاستثمار البشري) لحضور يوم تدريبي كامل لبرنامج المدير المحصن ضد الرصاص ، وقد كان من الأيام التي لا تنسى في حياتي . ففي هذا اليوم استمعت لأول مرة للمحاضر العالمي زيغ زيجلر الذي سحرنني بأسلوبه وطريقته في التدريب ، وخطف عقلي وقلبي معه في جو من المتعة والإثارة والتشويق ، وعددته من ذلك اليوم النموذج الأول لي في التدريب . بل إن كتاباتي وإلى اليوم متأثرة به وبخطابه وحماسه ومنطقه وأسلوبه . وعرفت من الأخت نسرين

- السكرتيرة المتألقة في شركة الاستثمار - أنه عرّاب التدريب الأول
للدكتور المزيدي . وقعت عقد التدريب لأنني سأستمتع مرة أخرى
بعروض لزيجلر ولآخرين من المدربين العالميين من خلال البرنامج ،
فالعائد على معارفي ومهارتي سيكون بلا شك عظيماً ومؤثراً في حياتي
وتأليفاتي وتدريبي . والسؤال الآن : كيف وصل زيجلر إلى هذا المستوى
الرائع والمتفرد في التدريب ؟ وكيف أصبح الخطيب الأول في عالم الإلهام
والتحفيز ؟!

يقول في كتابه " فوق القمة " : النجاح لا يحدث بين ليلة وضحاها ،
فحلّمي أن أصبح متحدثاً تحفيزياً قد وُلِدَ عام ١٩٥٢ بعد أن سمعت
خطاباً رائعاً لبوب بيل الذي حظي بالكثير من الشهرة والمال والمتعة
وأعمال الخير ، وكلها أشياء راقية لي . فقضيت الـ ١٣ عاماً التالية
أتحدث لمصلحة أي شخص سمح لي بذلك . تحدثت إلى أناس في نوادي
رياضية ، في نوادي قمار ، في مدارس ، في دور عبادة ، في سجون ، مراكز
علاج الإدمان ، وغيرها من الأماكن التي تعج بالناس . قدت سيارتي
مئات الأميال على نفقتي الخاصة كي أتكلم إلى مجموعات صغيرة من
أجل التحدث فقط وتحسين مهارات العرض لدي .

وفي مرات عدة لا تحصى ذهبت وعدت في الليلة نفسها إلى بيتي ،
لأنني لا أملك ثمن الإقامة في الموتيلا المتواضعة التي كانت قريبة من
الأماكن التي التقيت فيها مع الناس . لقد عملت ذلك لأنني أمنت بأن
لدي شيئاً قيماً أقوله . كنت أدرك أنه من أجل أن أتقاضى أجراً مقابل
حديثي ، عليّ أن أتعلم كيف أؤديه أداءً يجعل الجمهور على استعداد
لسماع الرسالة . ولحسن الحظ فقد مكنتني عملي في تلك السنوات
من صقل مهاراتي في الخطابة بعدّي مندوباً ثم مديراً للمبيعات . كنت
مسؤولاً عن تحفيز نفسي وفريق المبيعات والمقربين لي . وعن طريق
عملي التطوعي في التحدث إلى الناس في تلك الأماكن العامة التي
ذكرت ، وعملي في المبيعات تمكنت من تطوير مهاراتي في التحفيز
والخطابة . بحلول عام ١٩٦٥ كنت أحصل على مشاركات بأجر من
حين إلى آخر ، وفي عام ١٩٦٨ انتقلت إلى شركة صغيرة في دالاس
لتولي مدرسة تدريب لمدة أسبوع من كل شهر . قدمت لي الشركة ما
يكفي من المال لاحتياجات أسرتي وأعطوني حرية استخدام الأسابيع
الثلاثة الأخرى لأعزز مهنتي في التحدث . عام ١٩٧٠ وبعد أن أعلنت
الشركة التي أعمل فيها إفلاسها انطلقت في مجال التحدث بدوام
كامل .

يقول زيجلر ويكل صراحة : برغم من بذل قصارى جهدي كانت هناك فترات كثيرة من الإحباط التي لم أستطع فيها الحصول على أي مشاركات للتحدث من أي نوع . كان هذا مؤلماً إلا أنني لم أفكر مرة واحدة في ترك حلمي كي أكون متحدثاً . كان التزامي قوياً وتوجهي متفائلاً ، وآمنت من داخلي أنني لو بقيت على إصراري مع خطة منطقية للعمل فسوف تتبع المكافأة الجهد في نهاية المطاف . معظم الناس الذين يفشلون في تحقيق أحلامهم لا يفشلون بسبب نقص قدراتهم ، بل بسبب نقص التزامهم .. إنَّ الشخصية والالتزام والنظام والإحساس بالمسؤولية هي ما يحافظ على استمرار المرء في نموه وتطور مهاراته . فأولئك الذين وصلوا إلى القمة كان لديهم حلم ، والحلم تَمَلَّكَهُمْ ، فالتزموا وصبروا وأصروا .. والإصرار ينتج لا محالة مكافآت أكبر وأكبر .

انتهت قصة المتحدث التحفيزي زيغ زيجلر التي عرف منها القارئ أنَّ هناك ١٨ سنة من التدريب على الخطابة قضاها زيجلر قبل أن ينطلق إلى التحدث بدوام كامل سنة ١٩٧٠ . وأن زيجلر لم يَعْزُ نجاحه في الخطابة - ولو مرة واحدة - لنموه الدراسي أو لإنجازه الدراسي ، بل عزاه إلى الشخصية، والتمسك بالحلم، والالتزام، والصبر، وإلى المثابرة .

يقول زيجلر في كتابه " خطوات نحو القمة " : إنني أومن بأن النجاح إنما يحققه أشخاص عاديون لديهم تصميم غير عادي . ويقول الصناعي الأمريكي أندرو كارنجي : الإنسان الذي يمكنه إتقان الصبر يمكنه إتقان أي شيء آخر .

عزيزي القارئ .. هل رأيت فيلم Amistad والمرافعة الرائعة لأنطوني هوبكنز في المحكمة عن بعض العبيد ؟ كانت بحق قدرة مدهشة في الإلقاء والحفظ . لقد تمكن هوبكنز من حفظ وتذكر سبع صفحات من الأسطر من دون استراحة من المرة الأولى لتصوير الفيلم . يقول غاي كلاكستون - بروفيسور من جامعة بريستول - في كتابه " Wise-up " : لم يكن إتقان هوبكنز بسبب قدرة تمتع بها عند الولادة ، لكنه تعلم كيف يستعمل ذاكرته بفعالية ، لقد تعلم كيف يتعلم . وإليك السر : إنه يقرأ كل سطر ويعيده ٣٠٠ مرة ، مع كتابة عدد المرات التي قرأ فيها المقطع على هامش النص . وكلما تحسنت قدرته على التذكر أشار بعلامة زائد على الهامش ، ثم بعلامة نجمة فوق علامة الزائد ، ثم يضع دائرة حول النجمة . كان النص مغطى برسوم مرسومة باليد ، منفذة بأقلام متعددة الألوان ومناظر طبيعية ووجوه . الأسطر نفسها مغطاة بالألوان الخضراء والصفراء والزرقاء ، وخصص

اللونيين البرتقالي والأحمر للمشاهد العنيفة . إذاً سر تفوق هوبكنز ليس ذاكرة فطرية خارقة وليس ذكاءً وراثياً ، إنه مجرد تفوقاً في التعلم وبذل من التدريب الزائد (بيرنيت و جارفيس ، ٢٠٠٤) . يقول الأمريكيان :
 Repetition is the mother of skills الإعادة هي أم المهارات .

ذكر زيج زيجلر في كتابه " أراك على القمة " أنه منذ عدة سنوات مضت ، اكتُشِفَ حقل بترول في أرض لرجل هندي عجوز في أوكلاهوما . كان هذا العجوز فقيراً معدماً ، ولكن اكتشاف البترول جعل منه رجلاً ثرياً للغاية . كان أحد أول الأشياء التي فعلها هو شراء سيارة كبيرة فاخرة موديل كاديلاك ، ذات إطارين احتياطيين في المؤخرة . إلا أنَّ الرجل كان يريد أطول سيارة في المقاطعة ، لذا أضاف أربعة إطارات احتياطية أخرى . كان يقود سيارته يومياً من بيته إلى مدينة أوكلاهوما الحارة المتربة ليراه الجميع ، يمسك بسيجار كبير ويلبس قبعة حريرية عالية من قبعات أبراهام لنكولن . لقد كان رجلاً ودوداً يلتفت ذات اليمين وذات اليسار ليتحدث مع كل شخص يقع بصره عليه ، وكان كذلك يكثر الالتفات وراءه ليتحدث إلى الناس الذين يركضون خلفه . والأمر المثير حقاً في قصة هذا العجوز الهندي أنه لم يصدم أو يدهس أي شخص أبداً ، إنه لم يتسبب في أي خسارة مادية أو تلف لأمالك الغير !!

كان السبب بسيطاً ، لقد كان هناك أمام الكاديلاك اثنان من الخيول القوية يجرونها . قال الميكانيكيون المحليون إن محرك السيارة لم يكن به أي خلل ، لكن الرجل الهندي لم يتعلم أبداً كيف يضع المفتاح في مكانه ويشغل المحرك . كان بداخل السيارة مئة حصان مستعدة وجاهزة ومتلهفة للانطلاق ، لكن الهندي العجوز كان يستخدم زوجاً من الخيول فحسب في الخارج . ثم يقول زيجلر : يقع الكثيرون من الناس في هذا الخطأ ، فينظرون إلى الخارج ليجدوا قوة حصانين فقط ، في حين أنهم لو نظروا إلى داخلهم لوجدوا أكثر من مئة . يخبرنا علماء النفس أن هذا أمر يتعلق بالنسبة البسيطة جداً التي نستغلها من كامل قدراتنا ومواهبنا وذكائنا وهي فقط ٢ - ٥ % .

الذكاء البشري مثل قطعة المطاط بإمكانك أن تمده كيف شئت

تريناداد هنت

كتاب : تعلم كيف تتعلم



لوحة الهروب من الإطار للرسم الإسباني بيردل بوريل ، وتعني لو خرجت من الإطار
الذي أحطت به نفسك وأحاطك به الآخرون ، لاندعشت من حجم الذكاء والإمكانات
والمواهب التي بداخلك .

عند أبواب المساجد

خريف عام ٢٠١٢ وبعد أن أدت صلاة الظهر في مسجد كلية الهندسة في منطقة الخالدية ، إذ أنا بشاب واقف عند باب المسجد ينتظر خروجي . اقترب مني باسمًا وصافحني ، ثم سألني : هل تذكرني يا دكتور ؟ قلت : لا . قال : أنا تلميذك في ثانوية كيفان عبداللطيف صالح البدر ، أنا صاحب قصة مذهلة أنت مصدر إلهامها . أريدك يا أستاذي أن تقرأ قصتي ، فإن أعجبتك انشرها في كتابك القادم ، فلعلي أكون أحد أبطالك العظماء . قلت له : اتفقنا ، ابعثها على بريدي الإلكتروني وأعدك أني سأقرأها بقلبي قبل عيني ، فما أجمل أن يرى الأستاذ ويعيش نجاحات طلابه !

في المساء جاءتني هذه الرسالة من عبداللطيف :

في المرحلة المتوسطة .. كنت أعاني شعورًا فظيعةً من حظ قدر الذات لا يتصوره أحد ، كنت أرى نفسي فاشلاً ليس لي أي قيمة ، زملائي في القمة وأنا في القاع . تقديري لذاتي منخفض جداً ، لاسيما وأنا في ذيل الترتيب في كل فصول المرحلة المتوسطة . صرت طالباً غير مبالٍ يحاول إخفاء

فشله بشغب غير مسبوق عبر التخريب والتحريض وسوء خلق مع الزملاء والمعلمين . كانت لدي طاقة زائدة ، لكنني أضعتها في كل ما يزيد سمعتي السيئة بين الأصحاب والأهل والمعلمين . كان الامتياز حلمًا أسخر ممن يحاول صادقًا تشجيعني بالحصول عليه . فشلي في الدراسة جعل أهلي يكثرون علي الشكاية والتوبيخ وموازنة أخي الأكبر المتفوق بي ، وكان ذلك يقتل في كل أمل أو حتى لحظة طموح عابرة .

بعد كفاح ومعاناة تخرجت ولله الحمد من المرحلة المتوسطة بتقدير مقبول (ناجح جوازاً) . لكن أعقب هذا النجاح المتواضع مخاوف من مستقبلي في الثانوية ، هل أتجه إلى التخصص الأدبي وأحرم نفسي من مادة الرياضيات التي أعشقها ، أم أتجه إلى التخصص العلمي وأصطدم بالفيزياء والكيمياء والأحياء . كنت أميل إلى التخصص العلمي برغم مخاوفي من مواده ، لكن الأصحاب ومن أعرف من المعلمين أكثروا علي اللوم والتقريع وتثبيط العزم ، يذكرونني بدرجاتي وتحصيلي الدراسي المهدوم في المرحلة المتوسطة . وبعد تفكير .. قلت لنفسي: لن أقرر الآن ، المرحلة الثانوية أربع سنوات وليس علي الاختيار بين التخصص العلمي

والأدبي من السنة الأولى بل في بداية السنة الثانية ، لذلك من المبكر أن أحمل هذا الهم الآن . سأقرب بعد الانتهاء من السنة الأولى .

سبتمبر عام ٢٠٠٠ كان أول أيام سنتي الأولى في الثانوية ، والتي انتهت الفصل الأول منها وعبداللطيف هو عبداللطيف لم يتغير منه شيء : شغب مستمر ، تقدير للذات منخفض ، طموح معدوم ، وتفكير مشوش .. التاريخ يعيد نفسه . نجحت بالكاد في معظم مواد الفصل الأول ، وبدأت في فبراير ٢٠٠١ دراسة المواد الجديدة للفصل الثاني الذي كنت أحسب أن نهايته لن تكون بعيدة عن نهاية الفصل الأول .. لكن هناك تحولاً كبيراً قد حدث !!

دخلت مبكراً على غير العادة إلى مختبر الأحياء الذي سأدرس فيه مادة العلوم العامة (علوم ١١) لأجد معلماً كويتيً مبتسماً واثقاً من نفسه ، يضع رجله اليمنى على اليسرى ، يقلب أوراقاً بيده ينتظر اكتمال عدد المسجلين في شعبته . نظرت إليه نظرة المستهزئ وأنا أجلس في المقاعد الخلفية جلستي المميزة التي لا أحسن غيرها ، أضع رأسي على الطاولة

منتظراً المدرس يوبخني ويقول : انتبه للدرس . وأحياناً لا يهتم المدرس بانتباهي لشرحه فيتركني نائماً أنا وشأني . وضعت رأسي على الطاولة منتظراً بفارغ الصبر حديث هذا المعلم المغرور لأعرف من حديثه إن كان عصبي المزاج ، طيب التعامل ، أم أنه معلم ساذج . تحدث فقطع حبل أفكاره بقوله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً وسهلاً بكم معي في هذا الفصل الجديد الذي أرجو من الله أن يعينني على أدائه بإتقان ، اسمي سعد الكريباني وسأدرسكم مادة العلوم . ثم استهل حديثه ذلك اليوم عن الأهداف والنجاح والعظماء ، ذلك اليوم الذي رفعت رأسي عن الطاولة ولم أرجعه أبداً .

ما زلت أذكر أغلب محاضرات الدكتور سعد التي كنت أخرج منها بالفوائد العلمية والتربوية ، أذكره وهو يجذبني بقصصه الملهمة التي يتحدث فيها عن شخصيات كانت فاشلة ثم أصبحت عظيمة بالجد والمثابرة وعدم اليأس . حدثنا عن أنشتاين ، نيوتن ، سلفستر ستالون ، تاكيو أوساهيرا ، ولا أنسى قصة الرجل الذي ذهب يبحث عن حظه . يحدثنا عن شخصيات حاضرة وماضية ليبين لنا أن سنن النجاح لا تتغير

ولا تتبدل ، من جد وجد ومن زرع حصد . لقد استخرج مني هذا المعلم
مكامن طاقتي ، وحرك فيَّ خصلة التميز التي طالما خفيت عليَّ . أذكره
جيداً كيف حركها .. وإليكم القصة .

من عادتي أن أجلس في الصفوف الخلفية ، لكن في إحدى المرات
حضرت مبكراً وجلست في المقعد الأمامي أمامه مباشرة . بدأ درس
العلوم وتجاوبت معه كثيراً وهو يشرح ذلك الدرس ، وكلما أجبت
عن سؤال التفت إليَّ باسمًا يقول : أحسنت يا عبداللطيف . انتهى
من درسه مبكراً وتبقى من وقت ذلك الدرس عشر دقائق ، استغلها
في قصة مثيرة عن صحابي جليل اسمه مجزأة بن ثور السدوسي
(رضي الله عنه) . بدأ الاسترسال في القصة حتى وصل إلى تنظيم
الجيش ، فقال كان مجزأة دائماً في المقدمة وهذا شأن الناجحين
والعظماء والقادة ، ثم توقف وأسقط إسقاطاً سريعاً أذكره جيداً وكأني
أعيشه الآن وأنا أكتب هذه السطور . قال : مشاري المرعي لما كان يحرص
على الجلوس أمامي كان شديد التركيز للشرح يجيب عن أسئلتني ، لكنه
لما اختار الآن المقاعد الخلفية صار شارد الذهن لاهياً لا يجيب بشيء .

ثم التفت إليّ وقال : وعبد اللطيف كان في آخر الصفوف خاملاً لا يفقه شيئاً ، لكن انظروا له الآن وهو في الصف الأمامي كيف غير الموقع تركيزه وفهمه ونشاطه ، وأصبح من البارزين جداً في مادة العلوم . لقد صُغت من إسقاطه الخاطف الذي جعلني أنا ومشاري من يومها نتسابق على الكراسي الأمامية ، ليس فقط في فصل الدكتور سعد بل في كل الفصول .

كذلك لا أنسى الدرجات الإضافية التي كان يعطيني إياها كلما تجاوزت معه ، كان يقول أمام الطلاب جميعاً : عبد اللطيف أخذ خمس درجات هي درجة الشفوي كاملة ، وله مني درجتان منحة أضيفها إليه زيادة على درجة الاختبار التحريري فيما لو احتاج إليها . سأل الطلاب جميعاً عن الوظيفة التي يريدون في المستقبل ، أحدهم يقول : مهندس ميكانيك ، آخر يقول : ضابط شرطة ، وآخر يقول طبيب عظام . أما أنا فقلت : أريد أن أنتسب إلى أحد المعاهد التطبيقية . ومن يومها كلما أُجبت عن سؤال : التفت إليّ وقال : أما زلت مصراً على دخول المعاهد التطبيقية ؟! أرى لك عقلاً أكبر منها . لقد غرس في أشياء كثيرة ، كثيرة جداً لا تتسع هذه الصفحات لها .

لا أخفيكم تغيرت نظرتي إلى نفسي ، فقد منحني الأستاذ سعد معلومات قيمة كثيرة وأراني مواطن قوتي وموهبي ، لكن النار تخدم بعد نفاذ وقودها . لم يدرسني الأستاذ سعد إلا مقررًا واحدًا ، وكنت أحتاج إلى وقوده التشجيعي لإلزام نفسي بتطبيق ما تعلمته من مهارات ومعلومات . فالمرحلة الثانوية صعبة ، ما خلت من معلم يخذل ، وصديق سوء يزيّن الفوضى والتراخي . كانت مرحلة صعبة أتممتها بتقدير جيد (٢٠٦٢ من ٤) لم يمكنني من دخول الجامعة ، لكنني تمكنت به من دخول كلية الدراسات التكنولوجية التي تمنح المتخرج منها دبلومًا في الهندسة التطبيقية .

أذكر لما كنت في الصف الثاني الثانوي ، نصحني أخي الأكبر بالتسجيل لاختبار القدرات الذي تشترطه الجامعة لقبول المتقدمين إليها . فصارحت أبي الذي يعمل في الجامعة في قطاع الخدمات برغبتي في التقدم لاختبار القدرات ، فقال لي وبوضوح : وجهك ليس وجه جامعة ، أنت مستواك معاهد تطبيقية . عبارة محطمة أطفأت شعلة الحماسة بداخلي ومنعتني حتى من التفكير في الجامعة . لقد صدقتُ أبي وأتيت بالمعدل الذي توقع .. وصدق الذي قال : توقعك هو واقعك .

صيف ٢٠٠٤ كان تخرجي في المرحلة الثانوية ، وقبيل دخولي كلية الدراسات التكنولوجية أهدى إليّ صديق كتاباً ذا غلاف أسود تلونت أوراقه الداخلية بلون أزرق . لم أنتبه إلى فكرة الغلاف ، ولم أنتبه إلى صورة المؤلف في الخلف ، فقط انتبهت إلى لون الغلاف الأسود الذي سخرت منه . أخذت الكتاب ورميته في سيارتي في المقعد الخلفي ونسيته . بعد أيام .. حينما أردت تنظيف سيارتي ، وقعت يدي على الكتاب وعلى الغلاف الخلفي ، وإذا بوجه أعرفه تعلو صورته عليه ، إنه الأستاذ سعد !! مستحيل ، الأستاذ سعد ألف كتاباً وأنا لم أقرأه ولم أعرف عنه شيئاً !! وفي فرحة عارمة وذهول ، قلبت الكتاب على غلافه الرئيس وإذا بالعنوان " كيف أصبحوا عظماء ؟ " . غلاف أسود في وسطه مصباح يضيء ، منقوش بداخله صور لبعض عظماء الكتاب وأفكاره الرئيسية . تركت تنظيف السيارة ، وحضنت الكتاب أطير فرحاً إلى غرفتي أريد الخلوة به . بدأت القراءة وكأنني أسمع صوت أستاذي يحدثني أنا ويقصدني بقصصه وتشجيعه ، بدأت قراءة الكتاب ولم أتركه إلا عندما وصلت إلى عبارة (لكم أيها الشباب كتبته ، كتبته لمن أحب) . والذي قرأ الكتاب سيعلم أنّ هذه الجملة هي الجملة الأخيرة في كتابه الغالي .

لن أتحدث عما فعله في الكتاب ، فالسطور القادمة ستخبركم بهذا ، لكنه فجر في مشاعر الفرح والحماسة التي لا توصف . لم أنم في تلك الليلة من كثرة التفكير في محتوى الكتاب وما جال في خاطري . لم تغمض عيني إلا بعد أن أخذت القرار المصيري .. قررت أن أغير حياتي إلى الأبد ، وأن أكون الأول على دفعتي . لماذا الأول ؟ لأن الأول والثاني على الدفعة سيحصلان على بعثة دراسية لاستكمال دراستهما والحصول على شهادة البكالوريوس في الهندسة . وفعلاً وبعد مثابرة ودراسة جادة تخرجت عام ٢٠٠٧ الأول على دفعتي بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف بتخصص الهندسة البحرية . وصدق من قال : من سار على الدرب وصل .

بعد الحصول على الترتيب الأول .. كنت أتوقع من الكلية عاجلاً أم آجلاً ترشيحي للبعثة الدراسية الخارجية ، لذلك لا بد من استباق الأحداث والحصول على الدرجة المطلوبة في مهارات اللغة الإنجليزية (شهادة الآيلز) . فشرط الكلية للطالب صاحب الترتيب الأول أو الثاني واضح ، إما الحصول على الآيلز خلال سنة أو الحرمان من البعثة الدراسية . المشكلة أن الوصول إلى درجة الآيلز المطلوبة تحتاج إلى عدد

كثير من الدورات المكثفة ، وكل دورة تحتاج إلى مبلغ شهري لا يقل عن ٢٥٠ ديناراً كويتياً . أبي ذو دخل متوسط يعمل بكد لتغطية مصاريفنا الكثيرة ، ومبلغ مثل هذا إن أعطاه لي سيؤثر على البيت كله . لذلك بحثت عن عمل فور تخرجي .

منتصف يناير عام ٢٠٠٧ عينت فنياً في شركة النقل العام على ظهر السفينة الخاصة بالنقل من مدينة الكويت إلى جزيرة فيلكا . عملت لديهم ثلاثة أشهر من دون أن أتسلم منهم أي راتب !! والسبب أنهم لم يستكملوا بعد إنهاء إجراءات التعيين طوال هذه المدة . أخبرتهم بحاجتي إلى المال للتسجيل في دورات اللغة الإنجليزية حتى أحصل على الآيلز ، وأحصل على بعثة كلية الدراسات التكنولوجية . فلما عرفوا بنيتي استكمال دراستي في الخارج فصلوني من العمل . فبدأت بعمل خاص أصلح فيه ماكينات قوارب الصيد ، لأصرف من دخله على نفسي ولأوفر منه بعض المال لدراسة اللغة ريثما أجد عملاً في الحكومة . وفي أول أيام شهر أغسطس ٢٠٠٧ عُيِّنت مساعد مهندس في الهيئة العامة لشؤون الزراعة والثروة السمكية ، لكنني لم أترك عملي الخاص في إصلاح مكائن القوارب . كان عملي الخاص

عبارة عن ورشة متنقلة في سيارتي أؤديه بنفسي ووحدي . كنت مجتهداً ومميزاً في عملي وورشتي . العمل على مدار اليوم مرهق ، لكنني كنت في قمة السعادة وأنا أجمع المال لدراسة اللغة ولتحقيق شرط البعثة . كنت أعلم بحاجتي إلى المال مستقبلاً لدورات اللغة ولدراستي الخارجية ، لهذا احتفظت بمعظم رواتبي أدخرها للمستقبل .

في آخر أسبوع من شهر أغسطس ٢٠٠٧ ، تلقيت اتصالاً من الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب يخبروني فيه بأن لي بعثة دراسية على حسابهم ، لكن بشرط حصولي على درجة معينة في اختبار الأيلز (٥,٥) ، والمهلة سنة واحدة للحصول على هذه الدرجة . ومن ذلك الاتصال وأنا منتظم في دورات شهرية في معاهد اللغة الإنجليزية حتى شهر مايو ٢٠٠٨ . في هذا الوقت بالتحديد سافرت إلى بريطانيا لأتعلم اللغة من أهلها . سكنت مع عائلة بريطانية ودرست في معهد لغة خاص في مدينة يورك لمدة ثلاثة شهور . كانت الغربة قاسية والتعايش معها صعب ، كانت أصعب مما توقعت . لم أتوقع الضيق والحزن الذي ألمَّ بي ، لكنني كنت أحدث نفسي يومياً ، إن لم أتمكن

من تحمل هذه الحياة البسيطة التي ليس فيها أي تعقيد أو اختبارات دراسية ، فكيف وأنا في بعثة دراسية تملأ يومها المحاضرات والواجبات والاختبارات ١٩ بعثة قد تدوم سنتين أو ثلاث . ضيق وهم وحوار مع النفس أرهقني طوال تلك المدة . المهم أنني وبعد ثلاثة شهور لم أتمكن من الحصول على درجة الأيلز المطلوبة ، فعدت إلى الكويت خائباً وقد انتهت المدة المسموحة لي للحصول على الأيلز وفقدت الفرصة الثمينة .. فقدت البعثة الدراسية .

كانت خسارة كبيرة تسببت لي في ألم نفسي أعبني ، لكنني أبداً لم أستسلم ، فقد تعلمت أنه (إذا غامرت في شرف مrooms فلا تقنع بما دون النجوم) . واصلت العمل في الحكومة صباحاً ومع ورشتي مساءً .. ورشتي التي أتنقل بها من قارب إلى قارب حتى في أيام العطل والإجازات . فأنا أريد مالاً كافياً أتابع به ما بدأت في تطوير نفسي في اللغة الإنجليزية لأحصل على درجة الأيلز التي تشترطها الجامعات البريطانية ، لأكون مستعداً فيما لو ساق الله لي فرصة ثانية لاستكمال دراستي ، فقد تعلمت من أستاذي أن الطائرات لا تهبط إلا في المطارات الجاهزة . وبفضل الله وكرمه ثم اجتهادي

والتزامي في دورات اللغة حصلت على الدرجة المطلوبة في الأيلز (٥,٥) في شهر أكتوبر ٢٠٠٨ . فرحت كثيراً بهذا الإنجاز ، وقلت في نفسي : ستأتي الفرصة بإذن الله ، فأستمر في توفير المال الكافي لها . من ذلك التاريخ وأنا أرسل الجامعات في بريطانيا لعلمي أحصل على القبول من إحداها .

في منتصف شهر ديسمبر ٢٠٠٩ انتقلت إلى العمل في جامعة الكويت قسم الصيانة الهندسية ، وأنا ما زلت في بحث ومعاونة للحصول على قبول من بريطانيا . في شهر يوليو ٢٠١٠ جاء الفرج .. جاء القبول من جامعة تيسايد (Teesside University) . فأخذت في سبتمبر ٢٠١٠ إجازة دراسية من عملي بنصف راتب لاستكمال دراستي في بريطانيا ، وهذا يعني أن رسوم الدراسة سأدفعها من حسابي الخاص ، وكذلك تذاكر السفر .

وصلت إلى بريطانيا متأخراً عن الدراسة بأسبوع ، ثم ألتَّم بي مباشرة وجع ضرر أسبوعين في البيت أسبوعين . كان اختبار مادة ميكانيكا المواد في رابع أسبوع ولم أتمكن من الدراسة له لتلك الظروف ، فرسبت فيه . أصبحت متوتراً أقول لنفسي أكمل المشوار أم أرجع ؟

لو رجعت ستطالبني الجامعة بأنصاف الرواتب التي دفعتها لي ، فما العمل ؟ لجأت بعد الله تعالى إلى بعض الأذكياء من الشباب الذين رأيت منهم مشاركة فاعلة في المحاضرات وطلبت إليهم مساعدتي وإفهامي بعض المسائل والواجبات ، فاعتذروا وتركوني في معاناتي وتيهي . وفي ليلة وأنا على فراشي .. عاهدت نفسي ألا أرجع بإذن الله إلا ومعني شهادتي ، وأن أكون الأول على العرب ، وأن أجعل كل من رفض مساعدتي يحتاج إليّ ويركض ورائي .. وبعد شهور من الدراسة الجادة صرت أتلقي اتصالات شبه يومية من دارسين عرب لمساعدتهم وتبسيط المعقد من الأمور لهم .

في ثاني سنة دراسية وبعد ما رأت جامعة الكويت معدلي المرتفع ، تكفلت بدفع الرسوم الدراسية والتذاكر السنوية جميعها ، وأعطوني راتبي كاملاً . كنت قبلها قد أفلست تماماً لا أدري كيف أتدبر رسوم السنة الثانية ، لكن فرج الله كان قريباً . في آخر ثلاثة شهور من الدراسة اختارني وكلفني عميد كلية الهندسة بعمل تطوعي من دون مقابل أدرس فيه الطلبة العرب بعض مواد الهندسة التي يعانون فهمها .

طبعاً قبلت هذا التكليف فوراً وشكرته على ثقته . وكانت عبارة الدكتور كفاح فياض في كتابه " رسائل من ذهب " عالقة في ذهني : خير وسيلة للتعلم هي التعليم . وقيل أيضاً : زكاة العلم إنفاقه .

في ظرف سنتين فقط تخرجت الأول على العرب والثاني على الإنجليز ، ووجدت اسمي مُزيّناً قائمة الشرف First-class with owner وعلقت الجامعة مشروع تخرجي على حائطها بوصفه أفضل مشروع من بين عشرة مشروعات . وقبل حفل التخرج جاءني عميد الكلية في عرض مغرٍ !! معيد في قسم الهندسة الميكانيكية ، وإكمال الماجستير والدكتوراه على حساب الجامعة . رفضت العرض لأسباب خاصة ، برغم أن جامعة تيسايد تحتل المرتبة رقم ٢٥ من بين كليات الهندسة في بريطانيا .

تلميذك المحب

عبد اللطيف صالح البدر

هذه كانت رسالة تلميذي العظيم عبداللطيف لي ، والذي لم يتوقف عند هذا الحد ، لكنه في سبتمبر ٢٠١٣ انتظرني عند باب مسجد الحشاش في منطقة الخالدية بعد أن صلينا المغرب واحتضنني ليودعني قبل سفره بأسبوع لدراسة الماجستير في جامعة نيوكاسل . لقد أصبح معيداً في قسم الهندسة في جامعة الكويت ومنحوه بعثة دراسية للحصول على شهادة الماجستير . شهر أغسطس ٢٠١٥ حصل عبداللطيف على الماجستير في الهندسة البحرية ، وهو الآن ينتظر قبولاً لدراسة الدكتوراه .

وقف المعلم أمام طلابه رافعاً ورقة من فئة عشرين ديناراً يسألهم من يريد هذه ؟ وبعد تردد واستحياء واستغراب رفع بعضهم يده . قبض المعلم على العشرين ديناراً يفركها بين أصابعه يجعلها كالكرة ، فسأل من رفع يده من التلاميذ : أما زلتم تريدونها ؟ قالوا : نعم . رمى المعلم العشرين تحت قدمه وداسها يفركها بنعاله (طبعاً بخفة كي لا تتمزق) ، ثم رفعها وهي متسخة سائلاً طلابه : من يريد هذه ؟ فبقيت الأصابع على حالها مرفوعة . فسأل المعلم أحدهم : لماذا تريدها وقد توسخت ؟ قال الطالب : لأنها ما زالت محتفظة بقيمتها .

يقول جاك بلندنجر في كتابه " الانضباط الفصلي " : الطلاب الذين يرون أنفسهم خاسرين تنمو لديهم نظرة دونية للذات ، ويفقدون الثقة في أنفسهم ، والأسوأ من ذلك أنهم يصبحون أشخاصاً تصادميين وعدوانيين عند تأصل هذه المشاعر في أنفسهم . وأكد ماهر عمر في كتابه " الإرشاد النفسي المدرسي " أنَّ هناك أبحاثاً أشارت إلى ارتباط قوي بين الإدراك الذاتي عند التلميذ ومفهومه لنفسه وبين تحصيله الدراسي ، حيث إنَّ أي تغيير في أحدهما يسبب تغييراً في الآخر . فالإدراك الذاتي الإيجابي يزيد من فاعلية تحصيله الدراسي وإنجازه الدراسي ، بينما الإدراك الذاتي السلبي عنده يسبب له التأخر الدراسي وال فشل في الإنجاز . إنَّ الدكتور ماكسويل مالتز في كتابه " Psycho-Cybernetic " الذي قد حقق أفضل مبيعات قد كتب يقول : إنَّ الهدف وراء العلاج النفسي هو تغيير الصورة التي كونها الفرد عن نفسه (ماثيوز ، ٢٠٠٥) .

عبداللطيف تغير من القاع إلى القمة لأن أحدهم جعله يدرك أنه لا يزال يحتفظ بقيمته كما فعل ذلك المعلم مع طلابه ، ما زال يحتفظ بتلك المنحة الإلهية الخارقة التي تسمى العقل ، فإما أن يستعملها أو

يخسرها Use it or lose it . إن تراكم الغبار على الذهب ربما يحجب بريقه ، لكنه لا يقلل من قيمته . وأقول لكل طالب : امسح غبار الكسل والتراخي عنك وعد إلى بريقك اللامع الجميل ، فإنك أبداً لن تفقد قيمتك التي وهبها الله لك وإن شهد أهل الأرض كلهم بفشلك وغبائك . لذلك قيل إن الصورة الذاتية القوية والإيجابية هي التحضير الأفضل للنجاح في الحياة ، وهي بعد عون الله أفضل ما تواجه به التحديات والمخاوف والمواقف الصعبة الأليمة ، وهي أفضل من ينتزعك من اليأس والخيبة . وقد أظهرت دراسات لا تحصى أنه إذا كان احترامك لنفسك عالياً فأنت من صنعه (كوبين ، ٢٠١٢) ، لأن الناس قد اعتادت على تثبيط العزائم والنكايه بالناجحين ، ولا يوجد أفضل منك لتقدير ذاتك ومدحها ودفعها إلى الإنجاز وإدراك المعالي .

يقول مالهى وريزنر في كتابهما " تعزيز تقدير الذات " : بحوثنا المستفيضة وتفاعلنا مع آلاف المشاركين في جلساتنا التدريبية عن تنمية الذات تشير إلى أن أهم عنصر حاسم في تحقيق النجاح الشخصي هو تقدير الذات . وتقدير الذات هو في الأساس شعور المرء بالكفاءة

الذاتية وقيمة الذات . والتقدير المرتفع للذات يصنع الجانب الأعظم من شخصية المرء وقدراته ، إذ يُمكنه من الوصول بإمكاناته ومهاراته إلى أعلى مستوى من الإتقان والاحترافية . يقول براين تريسي في كتابه " علم نفس النجاح " : لقد ثبت أن ٩٤٪ من الناجحين في مجال الأعمال لم يكونوا ناجحين في التحصيل الدراسي ، ولكن موقفهم من أنفسهم كان موقفاً إيجابياً .

أخيراً أقول لك يا عبداللطيف : ما أهنأ من سَتُدْرُس من طلاب الهندسة ! وما أسعدهم وقد أصبحت لهم مثلاً في الهمة وقوة البأس والمثابرة ! ما أسعدهم وأنت تحيي آمالهم بقصتك وطموحك ! ما أوفر حظهم وأنت دائم التشجيع لهم ، لا ينقطع رجاؤك من أديانهم !

" لو كان كل ما في الحياة سريراً من الورد لما طورنا شخصية نتجاوز بها شخصية الطفل ، فنحن لا نحب مصارعة الآلام والصعوبات ، لكنها ستظل الطريقة الأفضل لتطوير الشخصية " .

نيدو كوين

كتاب : كيف تحصل على أي شيء تريده



الكويتي فهد الدبحاني : المركز الأول في رماية الدبل تراب

أولبياد ريو دي جانيرو ٢٠١٦

سر موهبة أفضل صانعي السجاد في العالم هي أطنان من النسيج التالف والخيوط المهدرة ،
وسر موهبة أشهر الرسامين هي سلال من اللوحات الممزقة والأقلام والألوان المستهلكة ،
وسر موهبة فهد الدبحاني والطريقي والعطية - أبطال العالم الأولمبيين في الرماية - هي
آلاف من الطلقات الفارغة والأطباق السليمة التي لم تُصَب .. التدريب يصنع الفارق وهو
سر كل موهبة .

د. سعد الكريباتي

النمل الأبيض

يسمى لويس تيرمان أب حركة تربية الموهوبين ، الذي نظر بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٢١ في سجلات ربع مليون طالب في المدارس الابتدائية والمتوسطة في ولاية كاليفورنيا (لوس أنجلوس ، سان فرانسيسكو ، أوكلاند ، بيركلي ، ألاميدا) ، لينتقي منهم ألف طالب لا تقل درجة معامل الذكاء لديهم عن ١٣٥ درجة ، معظمهم يتعدى الـ ١٤٠ درجة على مقياس ستانفورد بينيه للذكاء^١ (حواشين ، حواشين ، ١٩٩٨) . في سنة ١٩٢٨ أضاف لهم ٥٢٨ طفلاً آخر ليصبح عدد العينة الإجمالي ١٥٢٨ تضم ٨٥٦ ذكراً و ٦٧٢ أنثى ، يبلغ متوسط أعمارهم ١٠ سنوات (Gary, Rimm , & Siegle ، ٢٠١٠) . أصبحت هذه المجموعة من العباقرة تعرف باسم النمل الأبيض ، الذي اعتقد تيرمان أنها ستكون نخبة المستقبل في الولايات المتحدة الأمريكية (جلادويل ، ٢٠١٠) .

(١) ظهر أول مقياس للذكاء عام ١٩٠٥ على يد عالمي النفس الفرنسيين ألفريد بينيه وثيوفيل سيمون (Alfred Binet & Theophil Simon) (طلب من وزارة التربية الفرنسية ليكون أداة تشخيصية تميز الأطفال الذين لا يتمكنون من الاستفادة من تعليمهم في مدارس باريس العامة النظامية ليوضعوا في مدارس خاصة ذات مناهج وطرائق تتلاءم مع وضعهم وتلبي حاجتهم ، وليفسح المجال للآخرين من الطلاب لتلقي فرصاً ومستويات أعلى في التفكير والمعرفة . فمقياس بينيه - ساهون كان بمثابة نظام إنذار مبكر لتحديد الطلاب الذين يحتاجون إلى دعم إضافي في المدرسة لضمان حصول كل طالب على فرصة عادلة للنجاح . انتشرت فكرة قياس الذكاء في العالم ولاسيما في أمريكا ، حيث راجع لويس تيرمان - أحد علماء النفس في جامعة ستانفورد - عام ١٩١٦ مقياس بينيه - ساهون وترجمه إلى اللغة الإنجليزية وأطلق عليه مقياس ستانفورد بينيه للذكاء Stanford-Binet Intelligence Scale . والفريد بينيه من العلماء الذين يؤكدون على أهمية التعليم والتدريب للأشخاص ذوي القدرات المنخفضة ، ويرى أنه بالتدريب والحماسة ولاسيما بالأسلوب الفعال يستطيع الفرد أن يزيد من درجة انتباهه وذاكرته وذكائه . كما أنه بالغ في تحذيره من ضرورة عدم تفسير نتائج اختبارات الذكاء حرفياً على أنها مقياس للإمكانات وذلك بسبب تطور الذكاء وتغيره ، فقدرة الذكاء الحقيقية للعقل البشري لا يمكن قياسها (ماكينا ، ٢٠١٤ ؛ بارت ، ١٩٩٢) .

يقول عبدالسلام عبدالغفار في كتابه " التفوق العقلي والابتكار " عن هذه الدراسة : تحتل دراسة تيرمان مكانة خاصة من بين كل الدراسات التي أجريت على المتفوقين والموهوبين ، ولعل من أهم أسباب تميزها هي : أنها أول دراسة علمية منظمة في هذا الحقل ، أنها دراسة طويلة استمرت نحو ٣٥ عاماً ، وأنها دراسة تناولت عينة ضخمة من المتفوقين تسمح لتيرمان بتعميم نتائجها . بدأت الدراسة عام ١٩٢١ وكانت تهدف إلى اكتشاف الصفات الجسمية والعقلية والانفعالية التي تميز المتفوقين عقلياً عن غيرهم من الأطفال العاديين ، وكانت تهدف أيضاً إلى تتبع هؤلاء الأطفال في مراحل حياتهم المختلفة بقصد الوصول إلى معرفة نوع الحياة التي سيعيها هؤلاء الأطفال عندما ينضجون .

والآن عزيزي القارئ بعد أن عرفت هذه النخبة المختارة التي اختيرت من ربع مليون طالب .. كم تتوقع الذين أخذوا جائزة نوبل منهم ؟ كم عدد الأبحاث التي نشروها ؟ والكتب التي أصدروها ؟ والمراكز العلمية التي أشرفوا عليها ؟ والمهن المرموقة التي عينوا فيها ؟ إليك الجواب .

يقول جلادويل في كتابه " المتميزون " : لم يحصل أي فرد من عينة تيرمان على جائزة نوبل ، بل إنَّ هناك اثنين من الطلاب الذين استُبعدوا من العينة بسبب تدني معامل الذكاء قد حصلوا على جائزة نوبل ، وهما : الفيزيائي ويليام شوكلي William Shockley والفيزيائي لويس ألفاريز Luis Alvarez . كان من بين العينة اثنان فقط من قضاة المحكمة العليا ، قاضٍ واحد في محكمة محلية ، اثنان من أعضاء هيئة التشريع بكاليفورنيا ، مسؤول واحد حكومي بارز ، وانتهى عدد مذهل منهم إلى مهن تُعدُّ نوعاً من الفشل حتى من وجهة نظر تيرمان . يقول مالك حسين في كتابه " الإبداع في رحلة الفائدة والإمتاع " أظهرت الدراسة الرابعة على عينة تيرمان أنها نشرت ٦٧ كتاباً ، ١٤٠٠ مقال ، وحازوا على ١٥٠ براءة اختراع . ثلاثة منهم أعضاء في الأكاديمية الوطنية للعلوم . يدير أحدهم مختبراً ذرياً ، وآخر مؤسسة بحث في صناعة الطيران ، وآخر أصبح عالماً شهيراً في المحيطات ، وواحد منهم أصبح عالماً فيزيولوجياً ذا شهرة عالمية لأعماله حول التغذية .

والآن أيها القارئ .. هل تخيلت أن يكون حصاد النمل الأبيض (١٥٢٨ عبقرياً) بهذا التواضع من الإنجازات الحياتية والمهنية والعلمية

وبهذا المستوى من الشهرة ؟ أشك في ذلك ، لأنك تربط بين درجة الذكاء المسجلة في الصغر والإنجاز الحياتي في الكبر ، وهذا خطأ فادح . يقول جلادويل : انتهى تيرمان بعد البحث الطويل إلى أن العقل والإنجاز لا يمكن الربط بينهما ربطاً تاماً وإلى حد بعيد ، ويجب توخي الحذر الشديد عند تعريف الذكاء بأنه القدرة على اجتياز اختبار الذكاء . وتقول ناديا السرور في كتابها " مفاهيم وبرامج عالمية في تربية المتميزين والموهوبين " إن الباحثين والش وكيفان (١٩٧٢) وجدا علاقة ضعيفة ومحدودة بين درجات الاختبارات المدرسية من جهة والإنجاز في الحياة العملية من جهة أخرى . إن هولند (١٩٦١) وجد أن الدرجات العليا التي يحصل عليها طلبة الجامعات ترتبط ارتباطاً ضعيفاً مع الإنجاز الحياتي . بل يكاد لا يوجد دليل على أن الطلاب الذين يكون أداؤهم جيداً في الاختبار يكون أداؤهم أفضل في الحياة ، أو أن مهارات الاختبار قابلة للانتقال إلى الحياة العملية (كورتز ، لن ، دانبار ، وشيبارد ، ١٩٩١) .

في مؤتمر مستقبل طالب الطب في كلية طب القصر العيني (جامعة القاهرة) ، كان رائد الطب الباطني الأستاذ الدكتور حسام موافي

أحد أبرز المدعويين لإلقاء كلمة توجيهية لطلبة الطب ، تسلط الضوء على أهم المبادئ والقواعد المهنية لنجاح الطبيب وصناعة اسمه ومستقبله . وقد شمل خطابه الجميل هذه القصة التي تؤيد ما أقول .

يقول : أنا أحد خريجي مدرسة الأورمان التي أعتز بها كثيراً وأفخر أنني كنت أحد طلابها . كانت النتيجة النهائية للطلاب في هذه المدرسة لا تعلق على الأبواب كما هو حال المدارس اليوم ، بل إن الناظر يقرأها قراءة . الأول فلان ، الثاني فلان ، الثالث فلان وهكذا . وفي صباح إعلان النتيجة النهائية لطلاب الثانوية العامة السنة الأخيرة ، ذهب كل واحد منا مع أبيه لسماع النتيجة النهائية من فم الناظر . وكالعادة أخذ الناظر ينادي الأسماء بالترتيب من الأول إلى الأخير . وكان الأخير وصاحب النسبة ٥٣ ٪ زميلاً لنا اسمه محمود ضيف ، ما ترك أبوه كلمة قبيحة إلا قالها فيه مع ضرب وصفع ولكم ورفس ، حتى إنه خلع حذائه وضربه به . يقول الأب : بعد كل هذه الأموال التي بذلتها في تعليمك يكون هذا ترتيبك !! يقول الدكتور موافي : استاء أبي جداً من هذا الموقف ، وأحزنه كثيراً موقف الأب من ابنه وهذه الإهانة البشعة أمام الملأ من الناس .

مضت الأيام والسنون حتى التقيت بأحد الأصدقاء الذي قال لي :

لماذا لا تأتي إلى اجتماع طلاب مدرسة الأورمان ؟ نحن خريجي الأورمان
نجتمع أول كل سبت من كل شهر في نادي الجزيرة ، يحضر الأحياء
منا هذا الاجتماع والمتوفون نترحم عليهم وندعو لهم . فقلت له :

يا سلام هذه فرصة عظيمة لرؤية زملائي الذين لم أراهم منذ تخرجي
من الثانوية العامة . وفي اليوم المحدد للقاء وعند باب النادي ، رأيت
موكب سيارات يتوقف ، سيارة مرسيدس إس ٥٠٠ أمامها جيب شيروكي
وخلفها جيب شيروكي ، يترجل من سيارات الشيروكي رجال يوسعون
الطريق لرجل ينزل من سيارة المرسيدس الفارهة . اقترب الرجل من
باب النادي وأنا أنظر إليه وكأنني تذكرته . قلت : أأنت محمود ضيف ؟
قال : بلى .. هل أنت موافى ؟ قلت : نعم . فصافحني وعانقني وقال :

مضت أكثر من ٣٠ سنة ولم أرك فيها ، أين أنت الآن ؟ فقلت : ليس المهم
أنا الآن ، المهم أين أنت الآن ؟ قال : تخرجت في كلية التجارة وعملت
في القطاع الخاص ، وأنا الآن رئيس مجلس إدارة جوتن للأصباغ .

الكسلان أخير الصف صاحب نسبة ٥٣ ٪ يصبح رئيس شركة كبيرة
مثل جوتن !!

لا تستغربوا كثيراً وهاكم القصة الثانية من الدكتور موافي . يقول :

دخل أحدهم إلى عيادتي يريد الفحص والتشخيص ، فإذا هو زميل لي في ثانوية الأورمان اسمه عماد ، كان ترتيبه في التخرج قبل أخير الدفعة بنسبة ٦٠ ٪ . وبعد المصافحة والعناق عرفت أنه دخل كلية الصيدلة بعد تخرجه من المدرسة التي لم تكن في وقتها من كليات القمة ، لأن الخريج منها هو مجرد بائع أدوية .. هكذا كان تصور الناس عنها . عرفت من صديقنا عماد أنه قد تقاعد تَوّاً من عمله ، وقد بادرنى بسؤاله قائلاً :

هل تقاعدت من وظيفتك الحكومية طبيباً في مستشفى ؟ قلت : نعم .

قال : هل يعطونك مكافأة نهاية الخدمة ؟ فقلت بفخر وعجب : بالتأكيد .

قال : وكم كانت نهاية خدمتك ؟ قلت : ٦٠ ألف جنيه . فابتسم ساخراً وكأنه احتقر المبلغ ، فقلت له مقاطعاً : هل تقاعدت ؟ قال نعم . قلت : وكم أعطوك ؟ قال : خمسة ملايين دولار !! قلت منبهراً : خمسة ملايين دولار ؟!

قال : نعم ، عند تقاعدي كنت المدير الإقليمي لشركة فايفا للأدوية !! يقول الدكتور موافي للحاضرين في ذلك المؤتمر بعد نهاية القصتين : لا علاقة أبداً بين ترتيب الطالب وتحصيله الدراسي وبين مستوى حياته ونجاحه المستقبلي .. أبداً أبداً .

وما قاله الدكتور حسام موافي عشته وعايينته مع طلابي . فقد عملت في فترة من الفترات مرشداً علمياً لبعض طلاب الثانوية ، وقد مربى من الطلاب الذين لم أتنبأ لهم بنجاح أبداً . كيف لا وهم في ذيل الترتيب دائماً . معدل متدنٍ يساوي ١٠.٥ من أربع نقاط ، كثيرون الغيابات والإنذارات ، أساتذتهم في شكوى دائمة منهم ، وآباؤهم قد ترددوا كثيراً على المدرسة لكتابة التعهدات واستلام تقارير المشاغبات والحرمانات . اليوم بعض من أعرف من هؤلاء الطلبة دخله الشهري ونجاحه المهني يكافئ على الأقل خمسة من الأوائل على دفعته الذين تخرجوا بمعدل ٤ نقاط كاملة . ولولا تلك الحقبة في حياتهم من الإخفاق والتهيه وعدم المبالاة لذكرت لكم أسماء بعض هؤلاء الناجحين والمرموقين من طلبتي .. لكني لا أحب إحراج أحد .

من يقرأ كتاب "عظماء بلا مدارس" للشباب الرائع عبدالله الجمعة سيتحقق من المعنى الذي أريد تأكيده في هذا الفصل ، وأنه أمر يتحقق وقوعه في كل عصر ومصر بلا استثناء . فالكتاب تضمن ٤٥ شخصية مشهورة ، بعضها لم يدخل المدرسة أصلاً مثل كاتبة الروايات المشهورة أغاثا كريستي ولارس أريكسون مؤسس شركة الاتصالات السويدية المعروفة أريكسون . وبعضها

بالكاد عنده الشهادة الابتدائية أو بعض صفوفها مثل : ميشيل فاراداي صاحب الإبداعات والأبحاث والاختراعات في مجال الكيمياء والفيزياء والكهرباء ، وجيمس واط مطور المحركات البخارية ، والكوري الجنوبي شونغ جو يونغ مؤسس الشركة العملاقة هونداي ، والعم عبدالرحمن الجريسي الرئيس السابق للغرفة التجارية الصناعية بالرياض ، والداعية أحمد ديدات (رحمه الله) ، والمحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني (رحمه الله) ، والأديب الكبير عباس محمود العقاد (رحمه الله) . فبرغم تواضع تعليمهم النظامي تصدروا قوائم المشاهير في أزمانهم ، وتركوا الإنجازات الرائعة والآثار الخالدة .

أقول : لا ينبئ المعدل الدراسي أبداً بمستقبل الشخص ونجاحه ، لأنه ببساطة ليس من عوامل النجاح وقواعده وقوانينه وصفاته التي يذكرها أهل الخبرة ومن هم على القمة في أعمالهم ، فهناك ركائز أخرى وصفات يبني عليها النجاح ويُستنبأ لصاحبها أو فاقدها جودة حياته ومستقبله . وسأستعرض الكثير منها في الفصول القادمة ، لكنني أريدك الآن أن تتابع ما يقوله الخبراء وأهل البحث عن العلاقة بين مستوى الذكاء والنجاح في الحياة .

يقول الدكتور مأمون المبيض في كتابه " الذكاء العاطفي والصحة العاطفية " : قد عُرف منذ زمن طويل أن الذكاء المعرفي يُعدُّ مؤشراً ضعيفاً على التنبؤ بمستوى أداء الإنسان في عمله أو حياته . وقد قدرت بعض الدراسات أن الذكاء المعرفي لا يساهم بأكثر من ٢٥ ٪ من العوامل المؤثرة على هذا الأداء (هنتر و هنتر ، ١٩٨٤) ، بينما قدّر آخرون أنه لا يؤثر بأكثر من ١٠ ٪ ، وهناك من أشار إلى نسبة ٤ ٪ فقط . وإنَّ القدرات الاجتماعية والعاطفية تأثيرها أكبر بأربع مرات من مجرد الذكاء المعرفي في تحديد مدى نجاح الأشخاص .

الدكتورة جين آن كريغ عملت مرشدة نفسية في المدارس زمناً يزيد على ٢٥ عاماً ، وأدارت في تلك الفترة أكثر من ألف اختبار للذكاء ، تقول في كتابها " ليس المهم مقدار ذكائك بل كيف تستخدم ذكاءك " : النجاح في المدرسة لا ينبئ بالضرورة بالنجاح في الحياة . ثم قالت : إنَّ أستاذ التربية في جامعة هارفرد هوارد جاردنر يعتقد أنَّ طريقتنا في الاستدلال على الذكاء كانت بالغة الضيق ، فاختبارات حاصل الذكاء لا تقيس سوى قليل من القدرات ، وهي كما هو مألوف لفظية

ومنطقية ورياضية ومكانية . وجاردنر في كتابه " أطر العقل " وسَّع مفهوم الذكاء ليشمل أربع قدرات إضافية ليست من بين القدرات التي تقيسها اختبارات الذكاء المعتمدة . يقول مل لفين في كتابه " لكل عقل موهبة " : تعرفت إلى عدة أطفال فُحصَ معدل ذكائهم أربع مرات أو خمس ، حيث كان ذووهم يدورون بهم من مكان إلى آخر لإجراء التقييمات ، فأدهشني في كثير من الحالات التباين في معدل الذكاء المعطى لهم .

ذكرت باربي وجوزيف في كتابهما " علم النفس والتربية للموهوبين " أن كثيراً من المواهب التي تكتشف متأخرة عندما يرجع إلى سجلاتها المدرسية تجد أنها كانت تحتل مراكز متأخرة في دراستها ، وأن التحصيل الدراسي يتأثر بعوامل كثيرة غير الذكاء ، مما يجعل التفوق في التحصيل الدراسي ليس مرادفاً للتفوق في الذكاء . فقد يتفوق بعض المتعلمين العاديين في التحصيل الدراسي بسبب مثابرتهم ، ولا يتفوق الأذكى بسبب أحوالهم الأسرية والمدرسية . أشارت سوندرز وإيسبلاند في كتابهما " صقل المواهب " إلى أن هناك أسباباً عدة تجيب عن سؤال :

لماذا ينبغي النظر إلى نتائج اختبارات الذكاء ببعض الشك والريبة ؟ أولاً : إن معظم الوسائل المستخدمة في قياس درجة الذكاء وأكثرها شيوعاً يمكن أن تتعرض للانحياز الثقافي وقد لا تعكس الإمكانيات الكامنة لأطفال الأقليات . ثانياً : إن أي طفل من أي خلفية عرضة لسلوكيات قد تؤدي إلى نتائج أدنى بكثير مما تتضمنه قدرته الحقيقية . إن التوتر النفسي عند الطفل ، والقلق الناتج عن افتراقه عن أهله ، وسعيه الحثيث لإرضاء من حوله ، والتعرض لظروف مناخية قاسية ، كل هذا قد ينتج عنه نتائج متواضعة في أثناء إجراء الاختبار . وبقدر ما يكون الطفل صغيراً بقدر ما يصبح الدور الذي يؤديه واحد أو أكثر من هذه الأسباب أكثر أهمية وحسماً .

إذا عزيزي المتعلم .. لا تقف كثيراً عند سقطاتك وسجلاتك الدراسية المتعثرة ، لا تحزنك مقاييس الذكاء بدرجاتها ، ولا تقييم الخبراء والمعلمين لإمكاناتك ، فقد قرأت أنه لا ترابط قوي بين التحصيل الدراسي والإنجاز الحياتي ، وعرفت عدم دقة تلك المقاييس ، وأدركت أنك عالم من الذكاءات والطاقات والمشاعر والظروف يعجز الخبراء عن

فحصها وتحديدها تحديداً حقيقياً دقيقاً ، فلم العجز والتباكي على الماضي ؟ أنت عالم من القدرات والإبداع ، وسقف عالٍ من الإنجاز ، لا تحيطه مدرسة ولا شهادة ولا خبير ولا مقياس .

يقول العالمان تايلور (١٩٦٨) وغيلفورد (١٩٥٩) : إنَّ اختبارات الذكاء تقيس نحو ١٢ قدرة عقلية فقط ، في حين أنَّ العقل مكون من ١٢٠ قدرة ، وأنَّ فحص مضمون اختبارات الذكاء يكشف أنَّها ذات طبيعة إبداعية ضئيلة جداً لا تكشف عن المبدعين والمبتكرين من المتعلمين (رنكو ، ٢٠١٢) . وأشار أستاذ الإبداع تورانس (١٩٦٥) إلى أنَّ هناك مجموعة من نتائج دراسات كثيرة تبرهن على وجود نوع من الاستقلال النسبي بين مقاييس الذكاء ومقاييس الابتكار ، فالقدرات التي تقيسها اختبارات الذكاء تختلف عن القدرات الابتكارية ، فالقدرة على التخيل والاختراع والإتيان بأفكار جديدة لا يظهر لها انعكاس في اختبارات الذكاء . ويقول أيضاً : إننا إذا اخترنا المتفوق على أساس الذكاء نكون قد استبعدنا ٧٠ ٪ من المبدعين ، بينما إذا اخترناه على محك الإبداع قد لا نكون تركنا ذكياً واحداً . وأشار أيضاً ميكروشيوفر (٢٠٠٥) إلى أنَّ هناك علاقة ضعيفة بين درجة معامل الذكاء

والأداء في الاختبارات المقتنة للإبداع ، وأن هناك كثيراً من المبدعين الذين أخرجوا أعمالاً متفردة هم أصحاب درجات متوسطة في مقاييس الذكاء العام . كما أن جنسن (٢٠٠٨) يقول : التعليم عالي الجودة يشجع المنهج الإبداعي غير المحدود الذي ينطوي على حل المشكلات فيكشف خيارات التفكير البديلة والإجابات الصحيحة المتعددة ونفاذ البصيرة المبدع ، وهذه الأمور لا تُقيّم في الاختبارات المقتنة .

ووجد هولاند (١٩٦١) وهولاند وريتشارد (١٩٦٧) أنه لا توجد أي علاقة بين الإنجاز الدراسي والإنجاز غير الدراسي ، وأن الاعتماد على مقاييس كوامن القدرة الدراسية يؤدي إلى فقدان الكثير من ذوي النبوغ غير الدراسي . يشير ليون (١٩٧٦) كما ذكر ذلك جروان في كتابه " أساليب الكشف عن الموهوبين ورعايتهم " إلى أن السجلات المدرسية لكثير من الموهوبين والمتفوقين المشهورين تكشف عن مستويات لا تعكس قدراتهم كما ظهرت في مرحلة الرشد . وفي دراسة لدريوس (١٩٦١) على ثلاث مجموعات للتفوق تضم : مجموعة قادة اجتماعيين ، مجموعة مفكرين مبتكرين ، ومجموعة من المجتهدين في التحصيل .. تبين أن أقل

الدرجات كانت من نصيب المفكرين المبتكرين . ثم أشار إلى أن الاعتماد على اختبارات التحصيل وحدها يجعلنا نهمل هذه الفئة . وذكر هوفمن (١٩٦١) وبنيتلي (١٩٦٦) أن الاختبارات التحصيلية تحرم الإنسان المبتكر من فرصة عادلة للإفصاح عن قدراته الابتكارية ، فالاعتماد عليها يظلم المتعلم ذا المواهب الإبداعية .

كما أريد أنؤكد هنا أن الإبداع لا يقتصر على فئة نادرة من الناس ، بل هو نوع من التفكير موفور لكل شخص يكتسبه وينميه بالتدريب والتعليم (رنكو^٢ ، ٢٠١٢ ؛ ماكيننا ، ٢٠١٤) . وذكرت بارت (١٩٩٢) في كتابها الرائع " It's all in your head " : أنه لا علاقة بين الإبداع والذكاء ، وأن الإنسان العبقري شديد الذكاء ليس بالضرورة أن يكون من المبدعين ، فالإبداع يعتمد على ما نستفيد عملياً مما هو في داخل رؤوسنا . يقول وليام جلاسر صاحب مدرسة العلاج الواقعي (إحدى مدارس العلاج النفسي) في كتابه " كن مسؤولاً عن حياتك " : اكتشفت أن معظم الناس لديهم آراء دونية تجاه قدراتهم الإبداعية ، إننا نفكر في الإبداع كما لو كان موهبة خاصة يمتلكها

(٢) مارك رنكو : الرئيس السابق لرابطة علم النفس الأمريكية ، ورئيس تحرير مجلة بحوث الإبداع ، وموسوعة الإبداع الصادرة عن مطابع Academic Press ، كما عمل أستاذاً لعلم النفس في جامعة ولاية كاليفورنيا . وكتابه الإبداع الموجود في قائمة المراجع قصد رنكو منه أن يكون مرجعاً للباحثين والمهتمين في الإبداع .

القليل من سعداء الحظ لا نصيب لنا فيها أبدًا ، والحقيقة أننا جميعًا نتمتع بقدرات إبداعية أكثر مما ندرك . ويقول كين روبنسون^٢ في كتابه " صناعة العقل " : أؤكد أن الإبداع يمكن تعليمه وتدريبه وتطويره عند كل الناس ، وهو ليس حكرًا على طبقة أو فئة معينة أو حكرًا على العلماء والفنانين . إن الإبداع سمة من سمات الإنسانية يجب أن تشمل خطة الدولة تطويره عند أفراد المجتمع جميعهم من دون استثناء ، وأن يعطى كل فرد الحرية الكاملة للتفكير والاتجاه إلى الوسط الذي يجد فيه ذاته ، وأن يعطى حرية المغامرة والفشل والتجريب وحرية أن يكون كما يريد . يقول ريتشارد سانت جون في كتابه " ٨ صفات لتكون عظيمًا " الذي خصصت له فصلًا كاملاً في هذا الكتاب : أود التأكيد على أنني لست عبقرياً ، بل مجرد شخص عادي .

ويقول أيضاً : في بداية حياتي المهنية لم يكن باستطاعتي التوصل إلى فكرة جيدة ، لكن فيما بعد بدأت العمل مع أشخاص مبدعين وأخذت أراقبهم وأقلدهم في حل المشكلات والاستماع والملاحظة وتدوين الأفكار

(٢) البريطاني السير كين روبنسون Ken Robinson مؤلف ومحاضر ومستشار دولي في مجال تعليم الفنون للحكومة البريطانية والجهات غير الربحية وهيئات الفنون والتعليم . وكان مدير الفنون في مشروع المدارس (١٩٨٥ - ١٩٨٩) ، وأستاذ الفنون في جامعة ووريك (١٩٨٩ - ٢٠٠١) ، ومنح لقب فارس عام ٢٠٠٣ لخدماته في التعليم . يعيش حالياً في لوس أنجلوس وله مقاطع رائعة في التعلم والتحفيز والدافعية على اليوتيوب .

ومحاولة ربط الأمور ببعضها ، وبالتدريج أصبحت أفكاري أفضل وأفضل ، لذلك خذها نصيحة مني : بإمكان أي شخص أن يتصف بالإبداع ، عليه فقط أن يؤدي الأشياء نفسها التي يؤديها المبدعون .

ودعني يا صاحب التاريخ الدراسي المتدني أهمس في أذنك : ليست العبرة في البدايات بل في النهايات والخواتيم . ليس الذكاء ولا الشهادات ولا الألقاب ولا الأنساب من يصنع تاريخك ، بل هو حجم عطائك وإنجازاتك ، وصبرك ومثابرتك ، وعظيم عزمك وتركيزك على تطوير نفسك حتى اكتمال تلك الإنجازات . لذلك فإن العناد والإرادة والمثابرة أهم صفات العظماء والمخترعين التي ساعدتهم على الاستمرار في البحث والمحاولة والصمود حتى اكتمال مشروعاتهم . وهذا يفسر لماذا كان الالتزام في المهمة (المثابرة) هو أحد الدوائر الثلاث التي وضعها عالم الموهبة والتفوق الأمريكي جوزيف رنزولي في موديله المشهور للموهبة بعد الذكاء والإبداع فوق المتوسط . فالذكاء والإبداع لا قيمة لهما من دون المثابرة ، فالمثابرة سقاء لازم لبدور ذكائك وإبداعك وحياتها ونمائها ، إذا ما أردت يوماً أن ترى نتاجك وقد استوى ونضج وأقبل عليه الناس يثنون ويعترفون ويقطفون .

عام ٢٠٠٥ ألقى باراك أوباما - الذي كان وقتها عضواً في مجلس الشيوخ عن ولاية إلينوي - خطبة مدتها خمس دقائق بمناسبة افتتاح مكتبة لينكولن الرئاسة الجديدة في سبرينغفيلد قال فيها : أسرتني شخصية لينكولن من جوانب عدة .. لكن أهم تلك الجوانب هو نهوضه من الفقر، ودراسته الخاصة خارج المدارس والجامعات ، ثم تضلعه في نهاية المطاف في اللغة والقانون ، وفي قدرته على مغالبة الخسارة الشخصية والحفاظ على التصميم والإرادة في مواجهة الهزائم المتكررة ، فهذه الجوانب جميعاً تزيد إيماننا بأننا قادرون باستمرار على إعادة صنع أنفسنا لتناسب أحلامنا الكبرى (أوباما ، ٢٠٠٨) .

في كتابه " خطوات نحو القمة " قال زيجلر : إنني أومن بأن النجاح يحققه أشخاص عاديون لديهم تصميم غير عادي . ويقول الكاتب الأسكتلندي توماس كارلين : العبقرية قدرة غير محدودة على احتمال بذل الجهد . ويقول الدكتور القرني في كتابه " إشراقات " : لن يأتيك النجاح هدية ، ولن توهب المجد عطية ، ولكن بالإصرار والاستمرار تسبق الكبار . ويقول الكاتب والروائي الفرنسي أونوريه بلزاك : ليس من موهبة عظيمة من دون إرادة عظيمة . ويقول ماكسويل في كتابه " الموهبة لا تكفي أبداً " :

إذا أردت أن تلخص ما يجعل معظم الناجحين يرتقون فوق غيرهم ، يمكنك أن تفعل ذلك بأربع كلمات بسيطة : قليل من الجهد الزائد . ثم يقول في موضع آخر : الموهبة تعطي الأمل بالإنجاز ، ولكن المثابرة تضمنه . وقال الدكتور بشير الرشيد في كتابه " كيف تحقق أهدافك " : وقد عرفت أن المثابرة والإصرار تؤتي ثماراً يانعة وإن طال الزمن ، ولكن الانسحاب لا يخلف إلا ضعفاً .

في ليلة تكريم حاكم ولاية كارولينا الشمالية للمخترع الشهير أديسون ، يصارحه باستغرابه فيقول : أنت الآن في السبعين من عمرك ، كيف لهذه الأعوام المحدودة أن تكتشف وتخترع كل هذه الاختراعات (١٠٩٧ اختراعاً) ؟ فرد أديسون : يا سيدي لا أنسب لنفسي إلا اختراعاً واحداً هو الفونوغراف ، أما بقية الاختراعات فهي لعلماء آخرين يؤسوا من إكمالها وتركوها في آخر مراحلها ، فسرت بها خطوة أو خطوتين ثم نسبت لي .. ليست العبرة في البدايات بل في النهايات والخواتيم .

الإنسان الذي يمكنه إتقان الصبر ، يمكنه إتقان أي شيء آخر

رجل الصناعة الأمريكي

أندرو كارنجي



الطائرات لا تهبط إلا بالمطارات الجاهزة

ستأتيك الفرص .. فإن لم تكن مستعداً لها بالمهارات والعادات والصفات الإيجابية المنضبطة
ورغبة شديدة في التغيير والنجاح ، ستتعداك إلى غيرك ممن يملكون هذا الاستعداد

د. سعد الكريباني

سؤال محرج في الجو

أنت ربما لا تعرف السبب الذي دفع ريتشارد سانت جون؛ إلى تأليف كتابه " ٨ صفات لتكون عظيمًا " ، أليس كذلك ؟ دعني أطلعك على القصة . يقول ريتشارد : في طريقي وأنا في الطائرة إلى المؤتمر الشهير في كاليفورنيا مؤتمر التكنولوجيا والترفيه والتصميم (TED) ، وبينما أنا منهمك في العمل على جهاز الحاسوب الخاص بي ، إذ أنا بالفتاة المراهقة التي تجلس بجواري تفاجئني بهذا السؤال : هل أنت شخص ناجح ؟ قلت : لا لست ناجحًا ، لكن هناك أشخاصًا كثيرين ناجحين في يومنا هذا مثل أوبرا ، أو بطلي الطفل تيري فوكس الذي جرى آلاف الأميال بقدم صناعية وجمع ملايين الدولارات من أجل أبحاث السرطان ، أو بيل جيتس الذي يمتلك طائرة خاصة تجعله غير مضطر إلى أن يجلس بجوار فتاة صغيرة تطرح عليه الأسئلة . فضحكت ، ثم أخبرتها ببعض إنجازاتي في مجال المشروعات التجارية والرياضة . فقالت : إذاً أنت شخص ناجح . حسنًا هل أنت مليونير ؟

(٤) ريتشارد سانت جون : محلل ومؤلف وخطيب ناجح . في نهاية المرحلة الثانوية كان طالبًا متعثرًا وكسولًا وبالكاد يجتاز اختباره ، ولم يكن يعرف هدفه في الحياة . وفي أحد الأيام كان يسير بالقرب من مكتب استشاري التوجيه والإرشاد وكان الباب مفتوحًا ، فدخل المكتب وسأل الاستشاري : ما الذي يجب علي عمله ؟ أجابه الاستشاري : ماذا تحب ؟ قال : أحب رسم السيارات . فاقترح عليه أن يعمل مصممًا صناعيًا . لذا التحق ريتشارد الكسول بجامعة أونتاريو للفنون والتصميم بمدينة تورنتو الكندية ليكون أفضل طالب بدفعته . عمل في مجموعة التصميم العاملة في مجال البحث والتطوير في شركة نورتيل نيتوركس ولمدة عشر سنوات ، ثم أسس شركته الخاصة في مجال التسويق والاتصالات ، وعلى مدار ٢٤ عامًا ساعدت شركته الكثير من الشركات الضخمة التي تعمل بمجال التكنولوجيا على فهم طبيعة منتجاتها ثم عرضها على المستهلكين .

لم أعرف كيف أرد ، لأنه ليس من الكياسة التحدث عن حجم الأموال التي أملكها ، لكنني رأيت أن أتصف بالأمانة فقلت : نعم أنا مليونير ، لكنني لا أعرف كيف حدث هذا . فأنا لم أسع وراء كسب المال فهو لا يمثل أهمية كبيرة فيما يتعلق بي . فقاطعتني الفتاة قائلة : لكنه يمثل أهمية كبيرة فيما يتعلق بي ، فأنا لا أريد أن أبقى فقيرة أكثر من ذلك ، أريد أن أحقق بعض النجاح . سكنت الفتاة وتنهدت عن ضيق ثم قالت : لكن ذلك لن يحدث أبداً ، فأنا لست ذكية ، أنا لا أحصل على درجات عالية بالمدرسة .

قلت : وما المشكلة ؟ أنا أيضاً لا أتمتع بدرجة كبيرة من الذكاء وبالكاد كنت أنجح بالمدرسة ، ولم يحدث قط أن كنت أكثر الطلاب شعبية أو أكثر طالب واعد ينتظره النجاح . ما من أحد يظن أنني سأصبح ناجحاً في يوم ما ، حتى أنا لم أكن أعتقد ذلك . لم يكن لدي أية مواهب ، لكنني حققت نجاحاً بالغاً وأصبحت مليونيراً . يقول براين تريسي في كتابه خطة الرحلة : لقد تعلمت شيئاً غير حياتي : كل شخص ينتمي إلى الـ ١٠ ٪ المتميزين ، بدأ من بين الـ ١٠ ٪ الأقل تميزاً . أي شخص أداؤه متميز اليوم كان أداؤه يوماً ما سيئاً . وكما يقول المتحدث تي هارف إيكر : كل خبير اليوم كان كارثة يوماً ما .

ويقول كو (٢٠١٣) : كثير من الأشخاص الذين يبرعون للغاية في حياتهم الدراسية دائماً ما ينتهي بهم الحال وهم يعملون لدى أشخاص أصحاب أداء متوسط في المدرسة .

فإذا بالفتاة تفاجئني بأصعب سؤال : ما العوامل التي تؤدي حقاً إلى النجاح ؟ فقلت في ذهول و حرج : آسف لا أعرف .. لقد نجحت بطريقة ما ، وهذا كل ما في الأمر . انتهى نقاشي مع الفتاة عند هذا الحد ، لكن استياءً كبيراً قد هجم عليّ من عدم استطاعتي الإجابة عن سؤالها . لقد تركني سؤالها في تفكير عميق وعصف ذهني متلاطم باحثاً عن الإجابة . سألت نفسي متعجباً : حقاً كيف استطاع شخص مثلي بالكاد تمكن من الحصول على الشهادة الثانوية أن يحقق هذا النجاح ، بينما هناك أشخاص آخرون أعرفهم يتمتعون بمهارات وقدرات كثيرة لم يحققوا نجاحاً ملحوظاً ؟ تساءلت : هل هناك عوامل معينة تساعد الفرد على تحقيق النجاح ، سواء فعلها رجال الأعمال ، أم العلماء ، أم الإعلاميون ، أم الرياضيون ، أم العاملون بأي مجال آخر ؟ ما الصفات المشتركة التي يتقاسمها كل من بيل غيتس ، وأحمد زويل ، وأوبرا ، وكوبي براينت ؟ ما هو الجواب ؟ لا أعرف .

وبعد فترة طويلة من التفكير .. اهتديت إلى أفضل طريقة تجيب عن تساؤلاتي : المقابلات الشخصية . وعلى الفور قلت لنفسي : يجب أن أفوض شخصاً ما لإجراء هذه المقابلات ، مقابلات كثيرة مع أشخاص ناجحين في شتى ميادين الحياة . ثم فكرت : لماذا لا أبادر أنا بهذه المهمة ؟ فجاء الرد التالي : لأنها مهمة قد تستمر عقداً من الزمان ، وتستهلك فيها تركيزك وجهدك ووقتك . قلت لنفسي : كلا لن يستمر الأمر سوى شهرين ، كما إنني أتمتع بالمهارات اللازمة لأداء ذلك . لقد أسست شركة تسويق ناجحة من خلال حل الألغاز ، فأنا أحب تحليل الأمور المعقدة مثل المنتجات والخدمات التكنولوجية ، واكتشاف سبب عملها وأهميتها ، ثم أوضحها وأشرحها شرحاً سهلاً يفهمه الناس . لذلك أظن أن عملية حل لغز النجاح لنفسي وللناس تُعدُّ تحدياً ممتعاً للغاية .

بدأت حل اللغز ، وبدأت إجراء المقابلات مع الناس مستفيداً من عشر سنوات قضيتها في شركة نورتيل نيتوركس تعلمت فيها تقنيات المقابلات السرية والمتمثلة في : الصمت والإنصات ، التحلي بالموضوعية وتنحية آرائك وتفضيلاتك ، والاستشهاد بأقوال الآخرين بدقة . لقد أجريت

مقابلات مع بليونيرات ، رجال أعمال ، مديرين تنفيذيين ، محاسبين ، ممثلين ، أطباء ، مهندسين ، مخرجين ، رواد فضاء ، علماء ، رياضيين ، كُتّاب ، وحتى من فاز بلقب الأب المثالي . لقد أجريت أكثر من ٥٠٠ مقابلة شخصية ، وجمعت أيضًا آلاف قصص النجاح والمقابلات الأخرى من الكتب والإنترنت والمذياع والتلفاز وحللتها . لقد استغرق حل اللغز سنوات وليس شهرين كما كنت أظن ، لكن المهم أنني وجدت الإجابة . فبعد التجميع والتحليل اتضح أن هناك ثمانية عوامل صرح معظم الأشخاص بأنها ساعدتهم على النجاح أكثر من أي شيء آخر . ثمانية عوامل لا يولد الناجحون بها (ليست وراثية) ، بل هي عوامل وسمات يكتسبها المرء بالتعليم والتقليد والتدريب والتطبيق ، وهي كالآتي :

١- الشغف

الشغف هو نقطة البداية ، فالعظماء في كل المجالات يحبون ما يعملون . عندما أسأل الناجحين عما ساعدهم على النجاح ، تكون أول كلمة تخرج من أفواههم هي الحب أو الشغف بما يعملون . أطفال اليوم المتعثرون قد يصبحون أنشأتين الغد بمجرد أن يكتشفوا ما يحبون . اكتشاف ما تحب

أشبه بتركيب شاحن توربيني بمحرك سيارة ، تتعامل مع المحرك نفسه لكن مع فارق عظيم في القدرة والطاقة . كثير من الأشخاص الذين تربوا في ظروف يسودها الفقر يقولون إنَّ الشغف هو الذي دفعهم للنجاح الذي حققوه اليوم . أخبرني جراهام هوكس أنه نشأ في ظل ظروف قاسية من النواحي جميعها ، لكن الشغف غيَّر حياته من شخص فقير يعيش في كوخ مهجور إلى تصميم غواصة أحدثت ثورة بالعالم ، وإلى تأسيس خمس شركات تكنولوجية . يقول دونالد ترامب إمبراطور العقارات الشهير : أنا لست طموحاً في عملي ، كل ما في الأمر أنني شغوف به . وإذا أحببت ما تعمل ستنجز الكثير من المهام ، وبعد ذلك سيقول الناس : يا إلهي ، يا لك من شخص طموح !

بعد مقابلي لكثير من المليونيرات والبليونيرات وجدت أنهم جميعاً لم يخططوا ليصبحوا أثرياء ، بل شعروا برغبة في الانجراف وراء ما يعشقون وعمل ما يحبون . إذا لماذا يؤدي الاستماع لقلبك إلى ملء حافظة نقودك ؟ لأنك إذا عملت ما تحب ، ستجد نفسك تلقائياً تبذل قصارى جهدك وتركز وتثابر وتؤدي الأشياء الأخرى كلها التي تؤدي إلى النجاح والثروة .

أخبرني بيل جيتس أن المال لم يكن الحافز عندما أسس هو وبول ألن شركة ميكروسوفت ، حيث قال : لم نفكر أنا وبول قط في أنه من الممكن أن نجني الكثير من الأموال من هذا المشروع ، كل ما في الأمر أننا أحببنا إعداد البرامج الإلكترونية . ويقول الروائي ستيفين كينج : لقد ربحنا الكثير من الأموال من عملي في مجال الأدب القصصي ، لكنني لم أدون قط كلمة في صفحة من أجل أن أتناقض أجراً عليها ، بل أعمل بذلك لمجرد حبي لهذا الأمر وسعادتي التي أجدّها فيه .

٢- العمل

وفقاً لما قاله لاري بيدج أحد المشاركين في تأسيس شركة قوقل : لقد بدأنا العمل في قوقل منذ ثمانية أعوام أو تسعة عندما كنا في ستانفورد ، ومنذ ذلك الحين ونحن نعمل بمنتهى الكد للنهوض بهذه المؤسسة . نعمل على مدار ٢٤ ساعة ، فإنه لا يمكنك الاعتماد على الأفكار الملهمة وحدها ، إن الأمر يعتمد ١٠ ٪ أفكاراً مهمة و ٩٠ ٪ عملاً بك . كما إن بيل جيتس يعد مثلاً جيداً على هذه السمة ، إنه استمر يعمل بعدما أصبح ثرياً حتى العاشرة مساءً ، ولم يحصل على إجازة سوى ١٥ يوماً على مدار سبع سنوات .

تقول الإعلامية أوبرا وينفري : أذهب إلى العمل في الخامسة والنصف فجراً ، وأترك العمل في السابعة أو الثامنة مساءً .. مما يعني أنني لا أرى النور مطلقاً . نحن نميل إلى المبالغة في تقدير الموهبة وإهمال قدر العمل ، لأننا لا نرى كل الجهود التي تبذل خلف الكواليس . يرى الجمهور لاعب الجمباز وهو يسجل الرقم ١٠ على ١٠ ولا يرى عشرة الأعوام التي قضاه اللاعب في كفاح كي يصل إلى هذا المستوى . نرى الكتاب المكون من ٢٠٠ صفحة وليس إل ٢٠٠٠٠ ساعة التي قضاه المؤلف الموهوب وهو يتصبب عرقاً كي يخرج هذا العمل إلى النور . يعرف النجاح بمقدار الخطوات التي تتخذها وليس بمقدار المعرفة والقدرة التي تمتلكها (كو ، ٢٠١٣) .

٣- التركيز

النجاح يعني تقليل حجم المساحة التي تنظر إليها والتركيز على شيء واحد ، وليس التخبط بين كثير من الأمور . لكن انتبه إلى شيء مهم !! لا تسرع بعملية التركيز في بداية أي شيء سواء كان مهنة أم هدفاً أم مشروعاً ، فنحن نحتاج إلى ما هو عكس التركيز .. نحتاج إلى التفكير على نطاق واسع . لهذا السبب اخترعوا المدارس حتى نتعرض إلى كثير من

الموضوعات المختلفة ونكتشف ما سيشعل حماسنا . وصدق أو لا تصدق كل هذه الموضوعات التي تبدو غير مفيدة تعود فيما بعد لتساعدنا في الشيء الوحيد الذي سنركز عليه . عندما تركز أشعة الشمس في عدسة مكبرة يمكنك توليد طاقة تكفي لإشعال نار ملتهبة ، لذلك اتبع المبدأ نفسه وركز طاقتك كلها على شيء واحد ، لأنه سيزيد حماسك ويسرع بك نحو النجاح . كما أنني وجدت أن من يهتم ويحب دراسته أو عمله يجد التركيز مهمة سهلة عليه . كان بيل جيتس يعاني نقص القدرة على الاهتمام والتركيز جعله يحصل على درجات ضعيفة في المواد الدراسية التي لم تكن تثير اهتمامه ، وكان متعثراً جداً في الصف السادس وساءت علاقته بوالدته ، حتى وصل الأمر بوالديه إلى إرساله إلى أحد المستشارين النفسيين . لكن بمجرد أن وجد بيل الشيء الذي أثار اهتمامه الكمبيوتر والبرامج الإلكترونية ، ظهرت قدرته على التركيز فترة طويلة .

يقول ماكسويل في كتابه " الفضل البناء " : سئل بوب بترا الرئيس السابق لفريق نيوجيرسي ديفلز للهوكي عما يحقق النجاح . فأجاب : ما يميز الناجحين عن الفاشلين هو أن الناجحين يركزون دائماً على ما

يمكنهم فعله وليس على ما يعجزون عنه . فإذا كان اللاعب رامياً ماهراً ولكنه ليس بمتزلج عظيم ، نطلب إليه دوماً أن يركز على الرمية الرمية الرمية ، وليس أبداً على من يتزلج أفضل منه . فالفكرة هي أن تتذكر نجاحاتك . ويقول ماكسويل في كتابه " الموهبة لا تكفي أبداً " : وما أشبه الموهبة بلا تركيز بأخطبوط يرتدي حذاء بعجلات ، فمن المؤكد أن تكون حركته كثيرة ، ولكنك لا تعرف في أي اتجاه سيكون . التركيز يجلب لك قوة هائلة ، من دونه كثيراً ما ستشعر بالاستنزاف والعجز عن تحقيق الكثير ، وبوجوده يصبح لمواهبك وقدراتك وجهة وغاية يؤتيان ثمارهما .

٤- القوة الدافعة

من عادة الناجحين أنهم يدفعون أنفسهم نحو التحديات والصعوبات كي يتغلبوا على الخوف والشك والخجل . وهم بهذه الطريقة يعرفون ويكتشفون الأمور التي هم حقاً قادرون على فعلها . بعض الناجحين يدفع نفسه إلى التحديات ويواجه الخوف وعدم الثقة عن طريق إستراتيجية " لقد فعلت هذا من قبل " . أي لا تعش كثيراً في الماضي ، ألق نظرة إلى نجاحاتك وإنجازاتك السابقة ، تذكر مواقف مشابهة أحرزت فيها

نجاحاً ، ثم قل لنفسك : لقد عملت بذلك من قبل ويمكنك عمله مرة ثانية . بعض الناجحين يدفع نفسه إلى التحديات والطموحات الكبيرة عن طريق تحديد الأهداف . وهي إستراتيجية ساعدت راندال لارسن على تحسين مستواه الجامعي وتطويره تطويراً كبيراً . يقول راندال : لم أكن طالباً ممتازاً في الثانوية ، وفي الوقت نفسه كانت لدي رغبة شديدة في التحليق بالطائرات النفاثة ، لكن بلا شهادة جامعية يستحيل علي تحقيق ذلك . فما العمل ؟ أكدت الهدف داخل نفسي وحددته : سأصبح طياراً عسكرياً . وهذا التحديد هو الذي دفعني لخوض تجربة الجامعة التي أنهيتها في ثلاث سنوات - برغم التزامي أثناء الدراسة بدوام كامل ٤٠ ساعة في الأسبوع - وأصبحت طياراً عسكرياً ممتازاً ، وحصلت على الكثير من الأوسمة و ١٧ ميدالية جوية .

كذلك من ضمن طرائق دفع النفس هو وضع تحديات كبيرة يصعب الوصول إليها ثم محاولة التغلب على تلك التحديات . ومنها تحديد موعد محدد لإنجاز المهمة . ومنها أن تطلب إلى أصدقائك المقربين أن يكونوا كرماء في تحفيزك وتشجيعك على خوض التحديات

والصعوبات . كذلك من الطرائق التي تدفعك إلى الأمام أن توجد منافسة حقيقية مع آخرين . روجر بانستر هو أول عداء في التاريخ يحطم مسافة الميل الواحد في أقل من أربع دقائق . يقول روجر : أشك أنني كنت سأجري بهذه السرعة لو لم يكن جون لاندي و ويس سانتي يجريان خلفي ، فإن لم أجز بأقصى سرعة سيفعل لاندي أو سانتي ذلك . إن النجاح الذي حققته لم يكن ليتحقق لو أنني كنت وحيداً في ميدان السباق ، بل عندما وجدت أن هناك منافساً متحمساً يجري خلفي . في هذه اللحظة .. شددت أزري ودفعت نفسي بأسرع مما كنت أتخيل .

يقول ماكسويل في كتابه " ١٥ قانوناً لا يقدر بثمن للنمو " : سألني المؤلف الذي أحب كتبه إلمرتاونز : هل تعرف كيف تجعل محراك الجمر يسخن ؟ ضعه بجوار النار . ثم أكمل حديثه موضحاً أننا نشبه محراك الجمر ، إذا كانت الأجواء المحيطة باردة نكون باردين ، وإذا كانت ساخنة نصبح ساخنين . وقال : إذا أردت أن تنمو وتندفع للنجاح ، فأمضِ وقتك مع أشخاص عظماء ، زُر أماكن عظيمة ، اقرأ كتباً عظيمة ، استمع إلى

أشرطة عظيمة . جمل معدودة من المر لكنها دفعتني لإجراء لقاءات مع قادة من مختلف الولايات كانوا يتفوقون عليّ مهنيًا ، وقد غير ذلك من حياتي .

٥- الأفكار

العادة هي أن نخجل من الفشل والأخطاء ، لكن عندما يتعلق الأمر بالأفكار فاعلم أن الأخطاء تُعدُّ أمرًا مفيدًا ، لأنه من الصعب أن تتوصل إلى فكرة عظيمة من دون أن تقترح بعض الأفكار السيئة .. إنَّ الأخطاء والإخفاقات أساس الإبداع . يقول مايكل إيزنر المدير التنفيذي لشركة والت ديزني : لا يمكنك أن تنجح إلا إذا تعرضت للفشل ، ولا سيما الفشل الذريع . نحن نشجع أي عمل فاشل ، لأن هذا الفشل هو الذي سيمكنك من تحقيق نجاح منقطع النظير . عندما ذهب ألبيرت آينشتاين إلى التدريس في جامعة برينستون (تقع في مدينة برينستون في ولاية نيوجيرسي ، عمل فيها من ١٩٣٣ وحتى وفاته ١٩٥٥) سئل عما يريده من أدوات في مكتبه ، فأجاب : مكتب وبعض الأوراق وقلم رصاص وسلة مهملات كبيرة ألقي بها كل أخطائي .

لا يُعَدُّ اليوم بيع الذهب أو السيارات أو حتى العقارات طريقاً سريعاً للملايين ، بل هو بيع الأفكار ! وانظر إن شئت إلى مقدار المليارات التي يملكها مخترعو برامج الهوت ميل والفيسبوك والقوغل واليوتيوب ، وإلى القفزات العظيمة في ثروات مخترعي تطبيق الواتسآب والانستغرام والسناپ جات .

٦- القدرة على تطوير الذات

هناك طريقة رائعة تمكنك من التطور والارتقاء بمستواك للأفضل يمكن تلخيصها في ثلاث كلمات : التدريب ثم التدريب ثم التدريب . عندما سئل لانس آرمسترونج كيف تمكن من الفوز بسباق فرنسا للدرجات سبع مرات متتالية ؟ أجاب قائلاً : يتمثل الفرق في أنني أتدرب على مدار ١٢ شهراً بالسنة وليس ثلاثة أو أربعة أشهر . أذكر في بداية مشاركتي في أحد سباقات الدراجات الذي امتلأ بـ ١١١ متسابقاً ، أنني اجتزت خط النهاية بعد الفائز بنصف ساعة ، فبينما أقود الدراجة نحو التل الأخير قابلني الجمهور بالضحك والسخرية . لكنني أجبرتهم على التوقف عن السخرية بعدما طورت نفسي وبدأت الفوز بالكثير من البطولات .

يقول سميث ولاين وفريس في كتابهم " التدريب للقيادة " : التدريب عبارة عن إجراءات وخطوات إستراتيجية تضيف قيمة علمية ومهارات فردية للمتعلمين .

التدريب عمل تحويلي ينقل الشخص من حال إلى حال أخرى محدثاً تغييراً جوهرياً في رؤيته وسلوكه وتفكيره ومهاراته ، وهو أيضاً عمل تحفيزي يدفع المرء نحو التغيير المستمر . إنَّ الهدف الجوهري من التدريب هو اكتشاف أفضل ما لدى الناس من مواهب وقدرات ومهارات واستخراجها ، لذلك فإن التدريب يتشابه مع العلاج النفسي من حيث كونه يعيد السيطرة ويضفي قيمة إيجابية للذات البشرية . وأشار جنسن في كتابه " كيف توظف أبحاث الدماغ في التعليم " إلى أنَّ تعلم أي شيء بالقدر الكافي الذي يجعل الفرد يستطيع تطبيقه ويعرض منه نتائج موثوقة ، يحتاج إلى عملية ممتدة من التجربة والخطأ ، إضافة إلى التأمل . إنَّ مستوى الكفاءة الذي يحتاج إليه معظمنا يأتي بعد مئات من ساعات التدريب ، وليس بعد حضور دورة أو دورتين أو ثلاث يصبح المرء خبيراً .

٧- خدمة الآخرين

المقصود بكلمة خدمة هنا التفكير في الآخرين والعمل نيابة عنهم وتقديم شيء يرغبون فيه أو يحتاجون إليه ، سواء كان خدمة أم منتجاً أم

رأيًا . فالخدمة هنا تعني أداء المتوقع منك والالتزام بوعودك للآخرين .
ويغض النظر عن مجال عملك تُعدُّ خدمة الآخرين طريقة فعالة لتحقيق
النجاح . صرح جاك ويلش المدير التنفيذي لمؤسسة جنرال إلكتريك قائلاً :
نريد شركة لا تركز على أي شيء سوى خدمة العملاء . ولهذا بعض الشركات
تطلق على نفسها مؤسسات خدمية إيماناً منها بأهمية مبدأ وقيمة خدمة
الآخرين . لم يتمكن إيزادور شارب من تطوير فنادق الفورسيزونز من
خلال تفكيره في نفسه ، فلقد حدثني هذا المدير العام قائلاً : عليك دومًا
أن تقدم للعملاء ما يريدون وليس ما تريد أنت . تقول نيز هاليت المديرة
التنفيذية لشركة سمارت وايرلس : يكمن السر الحقيقي للنجاح في العمل
على تقديم شيء ما ذي قيمة ، فاذهب وابحث عن القيمة التي يمكنك
تقديمها . كن مترقبًا للعثور عليها وتقديمها كل يوم ، لأنه سبيلك للتغلب
على المنافسين . يمكنني إضافة أن تقديم القيمة هو الطريق للنجاح في أي
مجال وليس في مجال الأعمال التجارية فقط ، لذلك لا تفكر قائلاً : ما
الفائدة التي تعود عليّ من ذلك ؟ بدلاً من ذلك فكر قائلاً : ما القيمة التي
أقدمها للآخرين ؟ فكلما ارتفع مستوى القيمة التي تقدمها ارتفع شأنك .
يقول آنشتاين : كافح ليس من أجل النجاح ، بل من أجل تقديم القيمة .

كما إن خدمة الآخرين تمنحك السعادة ! يقول دانييل شوارتز مؤسس شركة ديناميكا : خدمة الآخرين تعود عليّ بالسعادة ، لأنه كلما شعرت بالفخر بما أؤديه لمجتمعي وللعالم زاد شعوري بالسعادة ، وهذا يضيف على حياتي معنى . وحدثني ليندساي شارب مدير أربعة متاحف بلندن قائلاً : الأشخاص الذين يحصلون على أقصى متع الحياة هم هؤلاء الذين يؤمنون بأن ما يفعلونه سوف يحدث فرقاً في حياة الآخرين ويساعدهم . يقول زيغ زيجلر : يمكنك الحصول على كل ما تريده بهذه الحياة إذا ساعدت فقط عدداً كافياً من الأشخاص على تحقيق أمانهم .

٨- المثابرة

المثابرة من الصفات المهمة في النجاح وهي تؤدي إلى نتائج عظيمة ، وغالباً ما تكون أكثر الشخصيات نجاحاً هي أكثر الشخصيات مثابرة . والمثابرة هي القدرة على الاستمرار برغم المصاعب والفشل والألم والرفض والنقد والسلبية والحقاقات . لقد صرح كل الناجحين الذين تحدثت إليهم أنهم قد فشلوا بطريقة أو بأخرى . لقد فشل أبراهام لنكولن في عمله مرتين ، وتعرض لانهيار عصبي ، وأخفق في المجال السياسي ثماني مرات ، لكنه ظلَّ

مثابراً حتى انتهى به المطاف بأن يصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . وهذا ونستون تشرشل أخفق في اختبار النحو في المدرسة الابتدائية ، وأخفق مرتين في اختبار قبول الجيش ، وبرغم ذلك أصبح رئيس وزراء بريطانيا . لذلك ما من عجب في كونه يصرح قائلاً : النجاح هو القدرة على الانتقال من فشل إلى فشل من دون أن تفقد حماسك .

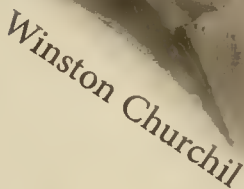
يقول أندرو ماثيوس في كتابه " اتبع قلبك " : سألت زيچ زيجلر قبل إحدى محاضراته : لا بد أنك قلت هذه المحاضرة آلاف المرات ، لكن كم أخذت من الوقت لتعد نفسك لمحاضرة اليوم ؟ قال : ثلاث ساعات . يقول أندرو : برغم نجاح زيجلر وبراعته في الحديث لكنه يحرص على أن يتحسن ، فحتى تبقى في القمة تحتاج إلى جهد إضافي يفوق موهبتك . يقول مدرب السلة المشهور جون وودن : لقد وضعت ثمانية قوانين للتعليم : الشرح ، والإيضاح ، والتقليد ، والتكرار ، والتكرار ، والتكرار ، والتكرار ، والتكرار . لذلك يتميز الطلاب المبدعون بأنهم متعلمون مثابرون لا يستسلمون بسهولة في المهمات التي توكل إليهم ، فهم يعملون فترات زمنية طويلة من دون اهتمام بنوم أو طعام (فلاك و ميدور : ١٩٩٧) . كذلك فإن العظماء من المخترعين اشتركوا جميعهم

في أربع صفات : المثابرة والعمل الجاد أولاً ، الفضول ثانياً ، دافع تحركه رغبة لعمل تطوير في العالم ، ثم أخيراً عادتهم في تسجيل وتدوين ملاحظاتهم واستنتاجاتهم وخواطرهم وأفكارهم حال ورودها أولاً فأولاً (بارت ، ١٩٩٢) .

والآن عزيزي القارئ .. هذا هو ملخص كتاب " ٨ صفات لتكون عظيماً " الذي ألفه ريتشارد سانت جون بعد مقابلة أكثر من ٥٠٠ شخصية ناجحة وتحليله لآلاف قصص النجاح من الكتب والتلفاز والمذياع . فهل سمعته يذكر صفة العبقرية ، الذكاء ، الموهبة ، الترتيب الأول ، لوحة الشرف ؟ لا أظنك سمعت هذا ، فكل الصفات التي ذكرها لتحقيق النجاح صفات مكتسبة يمكن تعلمها والتدرب عليها ، صفات لا تشترط عمراً ولا طولاً ولا جنساً ولا عرقاً ولا حاصل ذكاء مرتفع . قطار النجاح لم يفت وهو دائم الترحيب بك ، لكن وفر عناصره توهب لك تذكرته .

النجاح ليس سحراً ولا حظاً

لا يُصنع الكعك من دون مكوناته ، ولا يتحقق التفوق من دون عناصره

A charcoal-style portrait of Winston Churchill, shown in profile facing right. He is wearing a dark suit and a white shirt with a dark tie.

Winston Churchill

A charcoal-style portrait of Albert Einstein, facing forward. He has his characteristic wild hair and a mustache, wearing a suit and tie.

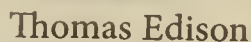
Albert Einstein

A charcoal-style portrait of Yousif AlKraibani, facing forward. He is wearing glasses and a dark, textured jacket over a dark shirt.

Yousif AlKraibani

A charcoal-style portrait of Hans Christian Andersen, shown in profile facing right. He is wearing a dark coat with a high collar.

Hans Christian Andersen

A charcoal-style portrait of Thomas Edison, facing forward. He is wearing a suit and a dark bow tie.

Thomas Edison

LEARNING DIFFERENCES **Not**
LEARNING DISABILITIES

They used their gifts, will you learn to use yours?

شوف له مدرسة ثانية

وُضعت هذه اللوحة التي أمامك على مدخل إحدى المدارس في مدينة بوسطن الأمريكية . اللوحة الأصلية تضم ست شخصيات وهم : ألبرت أنشتاين ، ونستون تشرشل ، توماس أديسون ، الكاتب والشاعر الدنماركي هانس كريستيان أندرسن ، الرسام الإيطالي المشهور ليوناردو دافنشي ، والنحات الفرنسي أوغست رودان . لكني حذف منها آخر شخصيتين وأضفت إليها شخصية خامسة سأخبركم بقصته لاحقاً .

كل واحد من هذه الشخصيات التي أمامك قد مر بتجربة وصم سلبية مبكرة خلال تعليمه . ولعل القارئ الكريم يعرف الكثير عن الشخصيات الثلاث الأولى وما لاقوه في مدارسهم من نعوت سلبية وتجارب قاسية ، والتي ذكرت جانباً منها في كتابي " كيف أصبحوا عظماء " ، لكن القارئ ربما لا يعرف الكثير عن الروائي الدنماركي هانس أندرسن (١٨٠٥ - ١٨٧٥) . فهو شاعر الدنمارك الوطني ، وواحد من الكتاب العالميين في مجال كتابة الروايات الذي ترجمت رواياته إلى أكثر من ١٥٠ لغة . من أشهر قصصه بائعة الكبريت ، جندي الصفيح ، عقلة الأصبع ، وفرخ البط القبيح .

شأنه أيضاً شأن الكثير من العباقرة الذين واجهوا في صغرهم الكثير من السخرية والنعوت السلبية ، فقد قيل عنه : بليد ، ثقيل الفهم ، غبي ، فاشل ، أخرق ، مرتبك ... والكثير من شاكلة هذا الوصم السلبي . كان متأخراً دراسياً ، أكبر التلاميذ سنّاً ، ويعاني عسر قراءة أدخله في حال اكتئاب طويل . ويرغم شهرة الكاتب ورواياته العالمية ، لن يكون الشخصية الرئيسة لهذا الفصل ، بل هو صاحب الصورة التي تقع في المنتصف الذي لاقى مثلما لاقى البقية من التصنيف المبكر والتهديد بالطرد واتهام بالتشتت وعدم التركيز . صاحب الصورة الخامسة هو ابني يوسف .. وإليك القصة .

في شهر ديسمبر عام ٢٠٠٦ ، وبعد انتهاء أول فصل دراسي لي في برنامج الدكتوراه في جامعة بول ستيت في ولاية إنديانا ، رجعت إلى الكويت للاطمئنان على أهلي وعائلي ولقاء أولادي ومتابعة بعض مصالحهم وتعليمهم . لقد تركت عائلي في الكويت في أول سنة دراسية لي في أمريكا حتى أتمكن من إيجاد سكن مناسب لهم ومدارس ممتازة قريبة من المنزل ومن الجامعة ، ثم أصبحهم بعد ذلك معي في بداية السنة الدراسية الثانية .

بعد ثلاثة أيام من وصولي إلى الكويت تلقيت اتصالاً من المدرسة الأمريكية ثنائية اللغة التي يدرس فيها ابني يوسف ، تخبرني السكرتيرة فيه بأن المستر براين ناظر الابتدائي يريد مقابلتي غداً في الساعة العاشرة صباحاً بشأن أمر ما يتعلق بيوسف . وعلى وفق الموعد المتفق التقيت بالناظر الذي أخبرني بأن يوسف الذي يدرس في الصف الخامس الابتدائي يظهر تأخراً في تحصيله الدراسي قياساً بزملائه ، ويتوقع أن يتعثّر في المرحلة المتوسطة حين ينتقل إلى الصف السادس إذا استمر طالباً في مدرسته الحالية نفسها . الواجبات كثيرة ، والكتب دسمة ، والاختبارات طويلة وصعبة ، ويوسف لا يستطيع مجاراة كل هذا الكم من التعلم كما تعكس ذلك درجاته في مواد الصف الخامس ، لذلك فمن الأفضل أن تبحثوا له عن مدرسة أخرى تكون أسهل في مناهجها من مدرستنا . وختم المستر براين حديثه معي بأنه يتوقع أن يكون يوسف يعاني صعوبات تعليمية .

الحقيقة أنني لم أكثرث كثيراً لتهم هذا الناظر وذلك لأمر عدة ، أولاً - يوسف سوف ينجح بإذن الله من الصف الخامس الابتدائي ، فلا

رسوب لطلبة الابتدائي كما ينص قرار وزارة التربية في تلك السنة .

ثانياً - يوسف سيكون في السنة القادمة أحد تلاميذ الصف السادس في مدارس يورك تاون في مدينة مونسي حين أصبح هو وأمه وإخوته إلى ولاية إنديانا ، ولن يكون بمشيئة الله في صفوف مدرسته الحالية السنة القادمة .

ثالثاً - يوسف ابني وأنا أعرفه تمامًا ، واسع الخيال ، غزير الإبداع ، مغامر شجاع ، كثير السؤال والفضول ، اجتماعي محبوب ، وصاحب حس فكاهي متميز .. وهذه كلها من صفات الموهوبين كما قرأت ودرست من خلال تخصصي في الماجستير عن تربية الموهوبين والمتفوقين . فتهم المستر براين لم تشككني أبداً في قدراته ومواهبه ، بل أسفّت لمدرسته التي قضى فيها سبع سنوات (من أولى روضة وحتى الصف الخامس) كيف تخلت بسرعة عن مسؤوليتها في علاج مشكلته من دون برنامج تعليمي فردي له يلبي حاجاته ويكشف عناصر مشكلته التحصيلية .

وحتى يطمئن قلبي على سلامة دماغ يوسف وذكائه وأنه لا يعاني صعوبات تعلم ، صحبتته في اليوم التالي إلى مستشفى الصباح في قسم

الطب التطوري لإجراء اختبار ذكاء له على مقياس وكسلر للذكاء .
 فحصل يوسف على معامل ذكاء مساوٍ لدرجة ١٠٠ ، وهذا يشير في مقياس
 هذا الذكاء أنَّ المفحوص متوسط الذكاء . ذهبت بهذا التقرير إلى أشهر
 مركز في الكويت لصعوبات التعلم لأخذ موعد ليوسف يجري فيه بعض
 الاختبارات الشفوية والتحريرية ، ثم موازنة درجتها بدرجة معامل ذكائه .
 فإذا حصل على درجة ضعيفة في تلك الاختبارات فهذا يعني أنَّ هناك
 تفاوتاً بين الذكاء ودرجة التحصيل ، وهذا دليل واضح وبرهان ساطع
 - كما يدعي البعض - أنَّ الطالب يعاني صعوبات تعليمية تعيقه وتمنعه من
 تحصيل ما يوازي معامل ذكائه .

بعد أيام .. وبعد الفحص على يد خبراء المركز ، تبين - كما ادعى
 الفاحصون - أنَّ يوسف يعاني صعوبات تعليمية في القراءة والكتابة
 في اللغتين العربية والإنجليزية ، وأنه يستحق شهادة إعاقة صعوبات
 تعليمية من المجلس الأعلى للمعاقين ، تتكفل الدولة على ضوء هذه
 الشهادة بدفع مبلغ سنوي مقداره سبعة آلاف دينار يغطي مصاريف
 تعليمه في المدارس الخاصة المعنية بصعوبات التعلم جميعها .

وعند تلك اللحظة أيضاً لم يَعْتَرِنِي أي شك في مواهب يوسف وقدرته على التعلم ، فالفاحصون قد تسرعوا بالحكم عليه ، ومقاييس الذكاء التي استخدموها قاصرة وعاجزة عن كشف كل الذكاءات والمواهب والقدرات التي يتمتع بها . لقد أذهلني مرة وهو في الصف الثالث الابتدائي عندما أمسك بعصا بلاستيكية مرنة وأعطاني ٢٠ فكرة في دقيقة واحدة عما يمكن أن تستخدم العصا فيه . قدرة إبداعية وخيال واسع أبهرني في تلك الليلة وَتَنَبَّأْتُ له بها أن يصبح مثل من يحيطون به في الصورة في إبداعهم وإنجازاتهم .

أتصدقون أنني استخرجت تلك الشهادة وحفظتها عندي من دون أن يعلم يوسف بخبرها حتى تاريخ مراجعة هذه السطور يناير ٢٠١٨ ، وذلك حتى لا يتأثر عقله وقدراته وإبداعه من هذا الوصم السلبي المبكر ، وحتى لا تكون شماعة أعداء له تمنعه عن استخراج أفضل ما لديه من مواهب وإمكانات . استخرجت تلك الشهادة وحفظتها حتى تكون دليلاً عندي على أن الاختبارات والخبراء كثيراً ما يخطئون في تشخيصهم ، وأن نبوءتي بولدي هي الأدق والأصدق .

شهر أغسطس ٢٠٠٧ صحت عائلتي إلى أمريكا ، وأصبح يوسف في الصف السادس في متوسطة يورك تاون في مدينة مونسي الذي أنهاه بنجاح من دون أي معاناة أو شكوى عليه ، وهكذا فعل في الصف السابع والثامن . أنهى فصول المرحلة المتوسطة الثلاثة جميعها بنجاح من دون أي شكوى من تعثر أو تصنيف قاسٍ متسرع . شهر يوليو عام ٢٠١٠ أنهيت برنامج الدكتوراه بفضل الله ومنته ، وعدنا إلى الكويت أنا والعائلة الكريمة . سجلت أبنائي مرة ثانية في مدرستهم القديمة ، وذلك رغبة من أولادي في الاستمرار فيها حيث الذكريات والأصدقاء وألفة النظام والمكان ، وشيء من التحدي في نفسي والمراهنة على نبوغ يوسف في المرحلة الثانوية ، وفي المدرسة التي أرادت مني نقله منها . عاد يوسف هذه المرة بالكفايات والمهارات التي عجزت مدرسته الأولى عن إكسابها إياه ، والتي كسبها من مدرسته الأمريكية في إنديانا . عاد وقد مهر كثيراً باللغة الإنجليزية ، فاللغة وعاء الفكر ، فإذا كنت متمكناً من لغة العلم الذي تدرسه فلا شيء يمنع عقلك من فهم هذا العلم واحتوائه . باحتراف اللغة صار من السهل على يوسف اللجوء إلى اليوتيوب واختيار أفضل الدروس والشروح في حل مسائل الرياضيات

والفيزياء والكيمياء من بين آلاف المقاطع المرفوعة عليه . وأذكر أنه لما كان في الصف الثامن في أمريكا وقد تعطلت لعبة البليستيشن ، أنه دخل على اليوتيوب وتابع بعض شروح تصليحها ، ثم طلب إلى شراء بعض الأدوات الكهربائية البسيطة الضرورية من موقع أمازون لتصليح اللعبة . بعد أيام وصلت الأدوات وفك اللعبة واستبدل القطع التالفة بأخرى جديدة ، ثم عادت اللعبة بمهارة يوسف تعمل من جديد . عاد يوسف من أمريكا وقد احترف الكتابة السريعة على الكمبيوتر التي تعلمها من المس لورين . واحترف التلخيص الذي اعتاد أن يرسله في ليالي الاختبارات عبر جواله إلى زملائه في الثانوية ليسهل عليهم الفهم والتحضير الجيد للاختبارات . كثيراً ما كنت أسمع في الليلة التي تسبق اختباراتهِ صوت نغمة الواتساب ترن في جواله ، فأسأله ممن كل هذه الرسائل ؟ فيقول : الشباب ينتظرون تلخيصي .

شهر مارس ٢٠١٤ وقبل أن يتخرج يوسف في الصف الثاني عشر ، حصل على درجة ٨٩ في اختبار التوفل الدولي ، وهي درجة مرتفعة قياساً بالمطلوب للقبول في معظم الجامعات الأمريكية ، وهي درجة ٧٩ .

أنهى يوسف الثانوية في العام نفسه بمعدل ٨٧ ٪ وكان من الطلبة المقبولين في خطة الابتعاث في برنامج الهندسة الميكانيكية إلى أمريكا . وبسبب حصوله على التوفل مبكراً ، فقد حصل على قبول أكاديمي سريع من جامعة بولدر في ولاية كولورادو وانضم إليها في شهر أغسطس . وأول ما اشتراه من أثاث كان سبورة كبيرة وضعها في صالة شقته ليشرح لكل من يطلب مساعدته مسائل الفيزياء والرياضيات والهندسة .

إذا لم تكن صعوبات تعلم كما تسرع الفاحصون ، بل كانت لغة لم تكتسب منعته من هضم الكم الهائل من المعلومات والواجبات والشروح ، أو ربما طرق تدريس عقيمة لم تلبَّ حاجته ولا تناسب أسلوب تعلمه ونمطه ، كما هو عنوان الصورة المختارة لهذا الفصل الذي يقول : " اختلافات في طرائق التعلم وليست صعوبات تعلم " . فعدم فهم الطالب لشرحك أيها المعلم لا يعني بالضرورة أنه يعاني صعوبات تعلم ، بل ربما يعني أنك لم تستخدم الأسلوب الأمثل لتعلمه وفهمه . أخبرنا أستاذي جورج بيتس في إحدى محاضراته أن ٩٠ ٪ من المدرسين يستخدمون طريقة المحاضرة الشفوية (لفظيون) ، بينما ٧٠ ٪ من الطلبة بصريون .

فهناك عدم تطابق أو تلاقٍ بين طريقة تعليم المدرس ونمط تعلم الطالب. فبعض الطلبة يتعلم من الاستماع أكثر ، وبعضهم يتعلم من المشاهدة أكثر ، وبعضهم من اللمس والتجريب أكثر (الوهر والحموري، ٢٠٠٢). أربعة أطفال من كل خمسة في سن السادسة واثقون من قدرتهم على التعلم نظراً لكونهم يستكشفون العالم بحواسهم جميعاً في جو تسوده المودة والحب ، في حين أن واحداً فقط من كل خمسة طلاب في سن السادسة عشرة يثق بقدرته على التعلم نتيجة وضع القيود على تفكيرهم وتعليمهم بطرائق لا تناسب أنماط تعلمهم (Rose & Goll، ١٩٩٢). لذلك لا أستغرب عندما كشف مايك شومكر في كتابه "النتائج الآن" عن إحصاءات خطيرة بنيت على ١٥٠٠ ملاحظة صفية ، وأوضحت أن هناك ٨٥ ٪ من الصفوف كانت نسبة الطلبة المنتبهين أقل من النصف . يقول المثل الصيني : أخبرني سوف أنسى ، أرني يمكن أن أتذكر ، أشركني سوف أتعلم .

لذلك أقصت الكثير من هذه الصفوف التي لا تحسن إلا الإلقاء الشفوي الكثير من العلماء والمبدعين الذين يستهويهم وتستثيرهم

الحركة واللمس والتجريب . فُصل أورفيل رايت من الصف الثاني المتوسط لسلوكه المشاغب ، ثم لحقه أخوه ويبلر الذي لم يدخل الثانوية ، لكنهما نجحا بعد ذلك في صنع أول طائرة تحمل إنساناً . ما هو سر التغيير ؟ سر التغيير في سلوكهما ونضجهما هو لعبة !! هدية أحضرها لهما أبوهما في صغرهما عبارة عن هليكوبتر صغيرة تطير بمساعدة سير من المطاط ، أدهشتها وأثارت فيهما التفكير والخيال والإبداع . فبعد أن فُصلا من المدرسة وعملاً معاً في صناعة الدراجات الهوائية وتصليحها حيث برعا جداً باستخدام أيديهما ، لم ينسيا أبداً تلك اللعبة التي كانت تطير ، والتي رسخت إيمانهما بأن الطيران ليس مستحيلاً على الإنسان . في يوم ١٧ ديسمبر ١٩٠٣ وبالقرب من مدينة كيتي هوك في ولاية نورث كارولاينا صنع الأخوان رايت أول طائرة تحمل إنساناً . أورفيل طار على ارتفاع ٣٦ متراً في ١٢ ثانية ، ويبلر طار على ارتفاع ٢٦٠ متراً في ٥٥ ثانية (بوليت : ٢٠٠٤) . أديسون لم تستوعبه المدارس إلا ثلاثة شهور كما تعلمون ، لكن كتاباً في العلوم مليئاً بالتجارب العملية أهدها أبوه إياه في عيد ميلاده الثامن ، أطلق يد الصبي وعقله وخياله في التجريب ، ووضعه على قمة المخترعين الكبار (الكريباتي ، ٢٠١٥) .

جيم كاري لم تستوعب ثانويته نشاطه الحركي وإبداعه الفكاهي فطرد منها ، لكن النوادي الكوميديّة استثمرت موهبته وخياله ، وكانت جسراً لعالميته وشهرته (بوليت ، ٢٠٠٤) . فالمدرس الذكي هو الذي لا تهمل دروسه أحداً ، يثير انتباه الجميع بوسائله التدريسية المتنوعة : فيها التمهيد الممتع المثير ، وفيها الإلقاء المتميز ، وفيها الصور والأفلام والجدول ، وفيها اللمس والتجريب والمشاركة والتلخيص . عند ذلك .. ربما يكون حكمنا على طلابنا أدق وأصدق .

في مدرسة شارتر الثانوية للهندسة المعمارية والتصميم (CHAD) Charter High School for Architecture and Design حتى الذي لا يحسن إلا الخريشة يمكنه أن يدخل الجامعة !! هذه المدرسة تقع في مدينة فيلادلفيا في ولاية بنسلفانيا الأمريكية ، معظم طلابها من الأحياء والمناطق الأكثر قسوة في فيلادلفيا . ثلاثة من كل أربعة طلاب بها من الأمريكيين ذوي أصول أفريقية ، ويمكن القول إن ٨٨ ٪ من مجموع الطلاب من الأقليات العرقية . قبل أن يأتي هؤلاء الطلبة إلى الصف الأول الثانوي لم يكن معظمهم قد سبق له الالتحاق بصف للفنون ، وثلاثهم

يقرؤون ويؤدون العمليات الحسابية كما يؤديها طلاب الصف الثالث الابتدائي . وبرغم من ذلك فإن ٨٠ ٪ منهم يواصلون دراستهم ويلتحقون بكليات ومعاهد وجامعات . في الوقت الذي تصل نسبة الحضور في المدارس العادية في فيلاديلفيا إلى ٦٣ ٪ ، فإنها تصل إلى ٩٥ ٪ في مدرسة شارتر التي تعد المدرسة الوحيدة في فيلاديلفيا التي لا يوجد بها أجهزة للكشف عن المعادن . فما سر نجاح هذه المدرسة ؟ يقول دانيال بينك في كتابه " عقل جديد كامل " : كان هدف تأسيس هذه المدرسة هو استخدام التصميم لتدريس موضوعات أكاديمية جوهرية . إن الطلاب يقضون مئة دقيقة كل يوم في استديو التصميم ، يأخذون دورات دراسية في الهندسة والتصميم الصناعي والألوان والتصوير . تمزج المدرسة التصميم بالرياضيات والعلوم واللغة والدراسات الاجتماعية وغيرها من المواد . على سبيل المثال .. عندما يدرس الطلاب الإمبراطورية الرومانية ، فبدلاً من الاكتفاء بالقراءة عن عملية نقل المياه أيام الرومان ، يصمم الطلاب نماذج للسواقي . تقول مديرة التطوير في المدرسة : تعد مدرستنا لكثير من طلابنا مكاناً آمناً في عالم شديد القسوة ، يجدون به كباراً يهتمون بهم ويتوقعون منهم الكثير ، لذلك فهم يشعرون دائماً بأنهم مهندسون ومصممون حقيقيون .

يقول الباحثان كونزيميس ومورجانتى-فيشر (٢٠١٤) : الذي تعلمناه مما يقارب ٦٠٠ دراسة تجريبية ومن أكثر من ١٠٠ دراسة ارتباطية أجريت على مدى ١١٠ سنة .. كي يقدم الطلاب أداء جيداً في المدرسة ، فإنهم يحتاجون إلى أن يشعروا بالقبول والانتماء ، وبأن لديهم علاقات إيجابية مع رفقائهم ومعلميهم ، ويعتقدون أن بإمكانهم أن يحققوا نجاحاً في وضعهم الدراسي والاجتماعي للمدرسة . وعندما يعرف الطلاب أنهم بالجهد يمكنهم أن يتعلموا - وحتى لو كانوا يواجهون صعوبة - فإن المدارس عندئذ تخرج أفراداً يعرفون أن لديهم قدرة وكفاية .

في اللحظة التي نعاقب أصحاب الخريشات الذين يجلسون في مؤخرة صفوفنا بالزجر أو الطرد بعد أن أصابهم الملل من أسلوب معلمهم الإلقائي الرتيب ، فإن مدرسة شارتر استوعبت اختلافات الناس في التعلم ووظفت هذه الخريشات والأيدي الموهوبة لمصلحة طلبتها ، ففهموا العلوم والرياضيات والمواد النظرية من خلال الرسم والتصميم ، ورفعت من قدر الذات والثقة من خلال الرسم والتصميم ، وفتحت أبواباً من الأمل لتعليم جامعي من خلال

الرسم والتصميم . هناك أكثر من ٩٣ ٪ من الطلبة اليابانيين ينتقلون إلى المرحلة الثانوية العليا ، و ٩٥ ٪ ممن يدرسون المرحلة الثانوية العليا يتخرجون فيها بنجاح ، برغم أن التعليم الإلزامي ينتهي عند الصف التاسع ، فالتعليم الثانوي ليس إجبارياً . وبرغم تلك النسبة العالية للنجاح من الثانوية ، إلا أن هناك فقط ٣٥ ٪ من خريجي الثانوية هم من يلتحقون بالجامعات أو بالمعاهد العليا ، والبقية تلتحق بالمعاهد المتوسطة والفنية (بيوشامب ، ١٩٩٩ ؛ عليم ، ٢٠٠١ ؛ كاتو ، ١٩٩٩ ؛ ليستما ، أوجست ، جورج ، وبيك ، ١٩٨٧) . ويبدو أن اليابان قد أدركت مبكراً اختلافات الناس في التعلم ، وأن العدد الكثير من طلبتها يستهويه عمل اليد ، ففتحت لهم تلك المعاهد التطبيقية والفنية . وربما يكون هذا الإدراك أحد الأسباب الرئيسة في احتلال اليابان للمركز الثاني اقتصادياً لمدة قاربت على الأربعين سنة خلف الولايات المتحدة الأمريكية قبل أن تزيحها الصين . في خامس دولة على العالم في التعليم ، في فنلندا ٩٥ ٪ من الطلبة يكملون المرحلة الثانوية العليا (الصف العاشر إلى الصف الثاني عشر) ، إلا أن نصفهم ٥٣ ٪ يختارون المسار النظري ، و ٤٧ ٪ يذهبون إلى المسار المهني ، وينتهي الأمر بالجميع بمعدل تخرج يبلغ ٩٥ ٪ (الدخيل ، ٢٠١٤) .

ودعوني الآن يا سادة أشرح لكم كيف يكون التشخيص الاحترافي لصعوبات التعلم المطبق الآن في أمريكا ، ذلك التشخيص المكثف جداً في علاجه ومراقبته ، والمتأني جداً في تصنيفه ، قبل التسبب والتسرع في صدمة الطالب وأهله . إن الاعتماد على الفارق بين معامل الذكاء والتحصيل الأكاديمي معيار وحيد في تشخيص الطالب بصعوبات التعلم ليس كافياً ، فهو مقياس يفتقد الدقة والمصداقية في تحديد الطالب الذي يعاني حقاً تلك الصعوبات ، وقد سبب الاعتماد عليه الكثير من الارتباك والمشكلات للتربويين والاختصاصيين . فهو معيار لا يوفر معلومات دقيقة عن أسباب تدني التحصيل الدراسي . فربما يكون الطالب من فئة الطلبة غير المنجزين الذين تنقصهم الدافعية للتعلم . وربما يكون هذا الطالب يواجه مشكلات اجتماعية وعاطفية شديدة في منزله . وربما افتقد الفاحص التطبيق الدقيق والعلمي للاختبارات التحصيلية أو مقياس الذكاء . كما أن الفارق بين معامل الذكاء والتحصيل الدراسي يظل مجرد نسبة أو رقماً مجرداً لا يساعد المعلمين على اقتراح أو تطوير خطط علاجية فاعلة تلبي حاجة الطالب التعليمية . وهو قصور ربما يفسر تنامي نسبة الأفراد من ذوي صعوبات التعلم الذين يمثلون أكثر من ٥٠ ٪ من الفئات الخاصة الأخرى .

(Kavale & Spaulding , 2008 ; Hallahan , Kauffman , 2006 ; Berkley , Bender , Peaster , & Saunders , 2009 ; Bender & Shores , 2007 ; Fletcher , Denton , & Francis , 2005) .

لذلك فإن القانون الفيدرالي الخاص بالأفراد من ذوي الحاجات الخاصة (IDEA) والمصدق عليه من الكونغرس عام ٢٠٠٤ نصّ على استخدام الاستجابة للتدخل العلاجي Response to intervention RTI أداة تشخيص لصعوبات التعلم بدلاً عن الأداة التقليدية المعتمدة على الفارق بين معامل الذكاء والتحصيل الأكاديمي ، فلعل الطالب لم يتلق التعليم المناسب الذي يلبي حاجته ويناسب طريقة تعلمه . الاستجابة للتدخل العلاجي برنامج علاجي علمي يعتمد على طرائق تدريس ذات فعالية وجودة عالية تدعمها البحوث الحديثة ، تلبي حاجة الطالب المتعثر وتكشف صعوبات تحصيله . ويعتمد أيضاً على جمع معلومات حول تطور الطالب المستهدف ، راصداً مدى استجابته للبرنامج العلاجي قبل إحالته لخدمات التربية الخاصة . الاستجابة للتدخل العلاجي برنامج يساعد التربويين على معرفة الصعوبات

التي يواجهها الطالب في مراحل مبكرة قبل تفاقم تلك الصعوبات في مراحل أعلى .

(Moore & Montgomery , 2008 ; Stecker ; 2007 ; Kavale & Spaulding , 2008) .

الاستجابة للتدخل العلاجي يوفر معلومات أدق وصورة أوضح عن تطور الطالب الدراسي ، بينما يغيب هذا الوضوح في مقياس الفارق بين معامل الذكاء والتحصيل الأكاديمي . إنَّ الاستجابة للتدخل العلاجي برنامج يوفر طرق تدريس فعالة أثبت البحث العلمي جدواها وتأثيرها على تعلم الطلبة جميعهم . وهؤلاء الطلبة ربما يكون فيهم الطلبة ذوو صعوبات التعلم ، غير المنجزين ، بطيئو التعلم . تُعدُّ الاستجابة للتدخل العلاجي أداة فعالة تحدد إذا ما كان الطالب فعلاً يعاني صعوبات تعليمية ، أم أنه طالب قد تلقى تعليمًا سيئاً .

(Moore & Montgomery , 2008 ; Stecker ; 2007 ; Kavale , 2005 ; Kavale & Spaulding , 2008) .

برنامج الاستجابة للتدخل العلاجي يحوي ثلاثة مستويات من التدخل على الطالب المتعثر أن ينتقل إليها جميعاً أو إلى بعضها قبل أن تقرر المدرسة سلامة الطالب من صعوبات التعلم أو وصمه بها وإحالاته إلى خدمات التربية الخاصة . يعتمد انتقال الطالب عبر هذه المستويات الثلاثة أو بعضها على مدى تطور الطالب واستجابته للتدخل في كل مستوى من هذه المستويات ، والذي يكون فيها المستوى الثالث أكثر تركيزاً وتكثيفاً في العلاج التدريسي من المستوى الثاني والأول ، والثاني أكثر من الأول . أو بمعنى آخر .. التدخل العلاجي يزداد تركيزاً وكثافة مع التدرج من المستوى الأول إلى الثالث ، حيث يميل المستوى الثالث أن يكون العلاج فردياً وأكثر علاجاً وأطول مدة (Lerner & Johns , 2009) . وإليك الآن آلية الانتقال إلى هذه المستويات بالتفصيل .

عندما يتأخر طالب ما في تحصيله الدراسي عن أقرانه في مادة ما ، أو يحصل على درجة تحصيلية أقل من علامة الأداء المستهدفة للمدرسة (Benchmark) ، فإن معلم تلك المادة يجب عليه أن يقرر بدء الطالب في المستوى الأول خطوة أولى في علاجه التحصيلي . وفي هذا المستوى

سيُلقى الطالب طريقة تدريس فعالة أثبت البحث فعاليتها العلاجية (evidence-based intervention) داخل صفه العادي ومع زملائه فترة محددة مدتها أسبوع أو أسبوعان ، مراعيًا فيها المعلم تطبيق طريقة التدريس حرفيًا كما وضّحها البحث العلمي ووضح خطواتها خطوة خطوة بلا تحريف أو اجتهاد . فإذا استمر الطالب في تحصيله المتواضع ، فإن المعلم له الخيار ، إما أن يجرب طريقة تدريس فاعلة أخرى أثبت البحث العلمي جدواها ، أو يحيل الطالب إلى المستوى الثاني من التدخل العلاجي . مع العلم أن مدرس الصف العادي هو المسؤول الرئيس عن التدخل العلاجي في المستويات الثلاثة كلها وليس معلم التربية الخاصة ، لكن ربما يشارك معلم التربية الخاصة في هذا التدخل بالتنسيق مع المعلم العادي .

(Hallahan , et al. , 2005 ; Moore & Montgomery , 2008 ; Stecker , 2007) .

في المستوى الثاني .. يتلقى الطالب تدريسًا مكثفًا بين مجموعة صغيرة من الطلاب (من أربعة طلاب إلى ستة) مدته ٣٠ إلى ٤٥ دقيقة يوميًا ، ولفترة محددة تتراوح من ٨ أسابيع إلى ١٢ أسبوعًا . بعد مراقبة دقيقة ومستمرة لمدى تحسن الطالب التحصيلي من فريق علاجي تحدده

المدرسة (ربما يتألف من معلم المادة، معلم آخر، الاختصاصي الاجتماعي، ومعلم التربية الخاصة)، إما أن يلاحظ هذا الفريق تحسناً جيداً في أداء الطالب فيعيد الطالب إلى المستوى الأول، أو أنه يلاحظ استمرار ضعف أو بطء الطالب في التحسن فيقرر الفريق إحالته إلى المستوى الثالث .
(Hallahan , Kauffman , & Pullen , 2009 ; Lerner & Johns , 2009 , Stecker , 2007) .

في المستوى الثالث .. سيتلقى الطالب المتعثر علاجه التدريسي المكثف في مجموعة صغيرة من الطلاب (١ - ٣ طلاب) . ولأنه أظهر تحسناً بطيئاً في المستوى الثاني، فإنه سيتمكث في هذا المستوى المكثف والفردى مدة أطول مما مكثه في المستوى الثاني . وفي هذه المرحلة، واعتماداً على مدى قرب الطالب أو بعده من درجة الأداء المستهدفة (the benchmark score) فإن الفريق العلاجي إما أن يبقى الطالب مدة أكثر في المستوى الثالث، أو يعيده إلى المستوى الثاني أو الأول، أو يحيله إلى خدمات التربية الخاصة .

(Hallahan , Kauffman , & Pullen , 2009 ; Lerner & Johns , 2009 ,

Stecker , 2007) .

ولاحظ الآن معي قارئتي الكريم .. لقد تمت الإحالة إلى خدمات التربية الخاصة بعد شهور من طرائق التدريس الفعالة ، بعد أن استنفد فريق العلاج وسائله الممكنة كلها في إبقاء الطالب ضمن فصول التعليم العادية ، بعيداً عن التصنيف الجارح المتسرع ، وبعيداً عن التسبب في كارثة نفسية مبكرة له ولأهله . هنا وبعد استنفاد كل ما نملك من تدخل علاجي وطرائق تدريس فعالة يدعم جدواها البحث العلمي ، نستطيع وبضمير مرتاح أن نشير بأصابع الاتهام إلى أن قصوراً في معالجة المعلومات في دماغ الطالب جعله يبدل الحروف ، ويقلب الأرقام ، ويعكس الكتابة ، ويتعسر في القراءة . ولا غرابة أن يجد ألفريد بنيه (مؤسس اختبارات الذكاء) بعض الطلبة وقد وضعوا في فصول المتأخرين دراسياً ، لأنهم هادئون جداً ، أو مترفون ، أو عدوانيون ، أو لديهم مشكلات في الكلام أو الرؤية .. لقد وجد أن بعض الفاحصين التربويين يخطئون في تقييم قدرات الطلبة ، ومن ثمّ الوصم السلبي المبكر والمدمر (Davis , Rimm , & Siegle , 2010) .

عام ٢٠١٥ احتل النظام التعليمي الفنلندي الترتيب الخامس بعد كوريا الجنوبية واليابان وسنغافورة وهونغ كونغ ، والسادس في

الرياضيات والعلوم . ورغبت كثير من الدول في استيراد هذا النظام إلى بلدانها بعد أن أثبت نجاحه وتميزه عبر سنوات طويلة .. فما هي أبرز مميزات هذا النظام ؟

أولاً - هدف التعليم في فنلندا هو تعليم الطالب كيف يتعلم ، وليس حشو رأسه بالكتب والمعلومات ، ولذلك فمجموع عدد الساعات الدراسية في الأسبوع في حدود ٢٠ ساعة فقط (يعني بمعدل ٤ ساعات يومياً شاملة فسحة اللعب وتناول وجبة الغداء) ، فلديهم أقصر يوم وعام دراسي في أوروبا كلها . ليس طول اليوم الدراسي هو ما يحسن الإنجاز الدراسي ، لكنه العقل اليقظ النشط الذي أبعده بالراحة والحركة عن السآمة والضجر ، فصار في اليوم الدراسي القصير شديد التركيز واسع الاستيعاب للمعارف والمهارات وكأنه إسفنجة جافة شرهة الامتصاص .

ثانياً - الواجب المدرسي الذي يجب أن يحله الطالب في البيت (سواء كان طالب مرحلة ابتدائية أم متوسطة أم ثانوية) في حدود العشرين

دقيقة فقط ، وذلك للمواد الدراسية مجتمعة . فالتعليم الفنلندي يحرص أن يستمتع الطالب بوقته ، ويعيش طفولته ، ويتوافر له مزيد من وقت اللعب يكتشف به العالم من حوله .

ثالثاً - المعلمون ينتقون من بين الـ ١٠ ٪ من أوائل الخريجين .. يعني انتقاء الأفضل للتدريس . يقول الدخيل في كتابه " تعلمهم " : تُعد برامج تدريب المعلمين الفنلندية انتقائية للغاية ، حيث تقبل طالباً فقط من كل عشرة طلبة يتقدمون إليها ، والنتيجة اختيار نخبة النخبة . ويجري تقييم المتقدمين للتدريس بناءً على سجلهم في المدرسة الثانوية العليا ، وأنشطتهم خارج المنهاج ، ونتائجهم في اختبار القبول الجامعي (الذي يجري في نهاية المدرسة الثانوية العليا) . وبمجرد أن يتخطى المتقدم هذه الجولة الأولى من التصفية ، تجري مراقبته في نشاط شبيه بالتدريس ومحاورته أيضاً ، ويُقبل فقط المرشحون الذين يتمتعون بأهلية واضحة للتعليم وبالأداء الدراسي العالي (الدخيل ، ٢٠١٤) . رابعاً - لا بد من حصول المعلمين على درجة الماجستير لممارسة مهنة التدريس .

خامسًا - فنلندا لديها اختبار قومي واحد وهو اختبار نهاية المرحلة الثانوية للقبول في الجامعة ، أما خلال المراحل التعليمية الثلاث (الابتدائية ، والمتوسطة ، والثانوية) فلا توجد اختبارات تحديد مصير (راسب أو ناجح) ، وإنما فقط اختبارات لتقييم أداء الطالب وتطور مستواه . وهذا يعني تأخير تصنيف الطالب ووصمه بالفشل ، والعمل أكثر على تطوير مهارته وتحصيله وبناء ثقته وذاته . وبات بإمكان التلاميذ والمدرسين التركيز على التعلّم في مناخ خالٍ من الخوف يحفز على الإبداع وركوب الأخطار ، ويوفّر للمعلمين حيّزًا واسعًا من الحرية الحقيقية في تنظيم الوقت نظرًا لعدم حاجتهم إلى التركيز على الاختبارات الفصلية أو الاختبارات السنوية . فالتعليم في فنلندا يركز على هدف تعليمي واضح في كل مواد التعليم الإلزامي ، وهو أن يحقق للطلبة مهارة تعلم كيفية التعلم (الدخيل ، ٢٠١٤) .

اليابان كذلك لا يوجد في مدارسها من الأول الابتدائي وحتى الثالث المتوسط رسوب أو إعادة ، فهدف المدارس في هذه المراحل هو التربية وغرس المفاهيم وبناء الشخصية اليابانية وليس التعليم والتلقين (الشقيري ، ٢٠١١) .

سادسًا - هناك ثلاثة معلمين أو ثلاث معلمات في كل فصل ، اثنان منهم يركزان على التعليمات ، والثالث يركز على من يجد صعوبة في تطبيق المعلومات . يعني لا أحد يُهمل في الفصل ، الجميع سيصل في النهاية إلى المحطة نفسها . لا مجال لتصنيفك بالفشل ، لا مجال لتأخرك ، لا مجال أن تتراكم عليك الصعوبات ، لا مجال لضعف ثقتك بنفسك ، فهناك دائمًا من يسانئك ويفهم طريقة تعلمك . والنتيجة لا يوجد في المدارس الفنلندية كلها نسبة نجاح متدنية ، عدد المنسحبين من الثانوية ٢ ٪ فقط موازنة بـ ٢٥ ٪ في أمريكا ، ومستوى عالٍ في الإنجاز الدراسي متطابق في مدن فنلندا جميعها ، لا فرق بين مدارس الشمال أو الوسط أو الجنوب أو الشرق أو الغرب . المعايير واحدة وجودة التدريس واحدة فأصبحت النتيجة واحدة في المدن كافة ، ولذلك فنسبة الطلبة في المدارس الحكومية ٩٧ ٪ ونسبتهم في المدارس الخاصة ٣ ٪ . زد على ذلك كله أنَّ الطالب في عمر ١١ سنة يتكلم ثلاث لغات (الفنلندية ، السويدية ، والإنجليزية) ، وفي عمر ١٣ سنة يزيدها رابعة ، إما الفرنسية أو الألمانية أو الروسية .

أيها المتعلم .. إياك أن يعجزك ويشلك وصم الخبراء لك ، فقد رأيت بنفسك قصور فحصهم وخطأ مقاييسهم وتسرع أحكامهم وقلة حيلتهم . فكل ما في الأمر أنهم لم يكتشفوا طريقة تعلمك ووسائل استثارتك وإفهامك ، فيئسوا منك وسارعوا باتهامك . فهون عليك ، ولا تكن هيلين كيلير العمياء البكماء الصماء التي تخرجت في الجامعة (بعمر ٢٤ سنة) وكتبت الكتب وتعلمت اللغات وحاضرت في الناس أكثر عزماً وطموحاً وأملأ منك ، ولا يكن إرك واينمار الأعمى الذي تسلق قمة إفرست أكثر إصراراً وثقة منك .. عارٌ عليك إن فعلت عظيمٌ . لا حجة ليأسك ، لا حجة ليأسك ، لا حجة ليأسك .

الإعاقة الحقيقية أن تصدق أنك معاق

د . سعد الكريباني



الإرادة القوية تجعل للقدم جناحين

مثل ألماني

أكثر من ٢٠ سنة لحل اللغز

براين تريسي هو أحد المتحدثين الملهمين في مجال القيادة والنجاح الشخصي والمهني في العالم اليوم ، وقد ألقى ما يزيد على ٥٠٠٠ خطاب وندوة بأكثر من ألف شركة ، بما فيها الكثير من كبريات الشركات العالمية . يعقد ندوات لـ ٢٥٠ ألف شخص كل عام ، ويلقي محاضرات في ٤٦ دولة في ست قارات . ألف براين ٤٥ كتاباً وأنتج أكثر من ٣٥٠ برنامجاً تعليمياً صوتياً ومرئياً ، وترجمت كتبه ودوراته إلى ٣٦ لغة نشرت في ٥٢ دولة . هذه باختصار فقرة تعريفية بالخبير الكندي المليونير براين تريسي ، فهل تعرف بدايته وقصة بحثه عن لغز النجاح ؟ إليك القصة من كتابه أقصى إنجاز ومن محاضراته :

ولدت في كندا عام ١٩٤٤ ونشأت في أسرة فقيرة لم يكن لديها المال الكافي لأي أمر سوى الضروريات القليلة جداً . لم يكن والدي يعمل بصفة منتظمة فكان في قلق دائم بشأن المال وتوفير حاجيات الحياة . ما زلت أذكر والداي وهما يرددان دائماً في صغري : لا يمكننا توفير ذلك ، لا يمكننا توفير ذلك ، لا يمكننا توفير ذلك . طوال عشر السنوات

الأولى من عمري كانت معظم ملابسي من الجمعيات الخيرية مثل " ذا قود ويل " . عندما بلغت سن المراهقة بدأت أدرك لأول مرة أنَّ هناك الكثير من الأسر تعيش في مستوى أفضل منا بكثير ، فلهم بيوت أفضل ، ملابس أجدد ، ولا يقلقون بشأن المال مثلنا ، بل يقدرون على شراء الكثير من الأشياء التي لم تكن أسرتي تحلم بها . في هذا الوقت .. في سن المراهقة بدأت أطرح هذه الأسئلة : لماذا ينجح بعض الناس أكثر من الآخرين ؟ لماذا يريح بعض الناس أموالاً أكثر ، ولديهم علاقات وعائلات أسعد ، ويعيشون في بيوت أجمل ؟ في الواقع لقد حيرني التفاوت في الثروة والسعادة والنفوذ الذي رأيته يكتنف العالم من حولي ، ودفعني شيء ما في داخلي للقول إنه لا بد من وجود أسباب وراء هذا التفاوت الواضح ، ومن ثم أصبحت مُصرّاً على اكتشاف الأسباب .

كان لدي الكثير من الوقت لأفكر في هذا السؤال نظراً لأنني كنت أقضي كثيراً من الوقت وحيداً . كنت فاشلاً كما ينعتنني الناس ، أتسكع مع رفقة سيئة من الأطفال ، وكنت أثرثر دائماً في محاولة لجذب

الانتباه . كبرت وزادت مشكلاتي السلوكية ، فقد كنت غاضباً من الحياة منتقداً لها بشدة من دون أن أعلم السبب ، وفي النهاية أصبحت منبوذاً للغاية . كنت دائماً ما أحصل على عقوبات احتجاز في أي مدرسة ألتحق بها من الصف السابع حتى الصف الثاني عشر . عندما كنت صغيراً قيل لي إنني لن أصبح شخصاً مهماً وإنني سأمثل خيبة أمل كبيرة لأبي وأمي . وكثيراً ما أسمع أولياء الأمور يقولون لأبنائهم : اهتم بدراستك وتحسين سلوكك ، هل تريد أن تصبح مثل براين .. لقد تجاوزت سمعتي السيئة أسوار المدرسة . فُصِلْتُ فصلاً مؤقتاً مرات كثيرة ، وطردت من مدرستين ثانويتين . في الثانوية الثالثة رسبت في ست مواد من أصل سبع ، فطردت على الفور ولم أحصل على شهادة الثانوية . طردت من الثانوية وعمري ١٦ عاماً ، لكنني اكتشفت أول اكتشاف لحل لغز النجاح ! لقد أدركت أنه إذا رغبت في أن تتغير أمور حياتي ، فالأمر منوط بي في أن أتغير . فإذا كنت أمقت كوني تعيساً ومنبوذاً وفي مشكلات دائمة ، فحل هذا الأمر كله بيدي . وهذا دفعني أكثر إلى بحث جدي عن إجابة السؤال : لماذا ينجح بعض الناس أكثر من بعضهم الآخر ؟

كانت أول وظيفة لي هي غسل الصحون في مطبخ فندق صغير ، ثم تنقلت من وظيفة عمالية إلى أخرى . عملت في مصانع نشر الخشب ، عملت في تقطيع الأشجار ، عملت في حفر الآبار ، عملت عامل بناء ، وعملت في أحد المصانع في خط تركيب الآلات . أذكر أنني عندما تركت وظيفة غاسل صحون - التي لم تكن وظيفة رائعة - أمضيت الأشهر التالية في التقدم لوظائف غسل صحون في فنادق أخرى . عشت في فنادق متواضعة جداً وصغيرة ، أو في شقق من غرفة واحدة ، وفي كثير من الأحيان كنت أنام في سيارتي أو على الأرض بجوارها . في عمر ١٨ عاماً وبعد العمل سنتين في تلك الأعمال المتواضعة استطعت أن أوفر قدرًا قليلاً من المال وذهبت لأرى العالم . سافرت وعملت في أكثر من ٨٠ دولة في ست قارات ، ومررت بمواقف وتجارب لا يمكن لمعظم الناس تخيلها . لقد كنت فقيراً معدماً ، أمضي من دون طعام وأنام على الأرض في مرات لا تعد ولا تحصى في بلاد بعيدة وغريبة .

عندما بلغت العشرين من عمري .. كنت أسكن في شقة صغيرة ولم يكن لدي عمل ، وكان منتصف الشتاء ودرجة الحرارة ٣٥ تحت الصفر .

كنت وحيداً في مدينة تبعد آلاف الأميال عن المكان الذي نشأت فيه .
 عندما بلغت ٢٣ عاماً .. كنت أعمل مزارعاً متنقلاً طوال النهار ، أنام
 في الليل على القش في الحظيرة . ثم اتجهت للعمل في المبيعات ،
 أعمل مقابل العمولة المباشرة ، فأتقاضى مرتبي كل ليلة كي أتمكن
 من تناول الطعام ودفع الإيجار اليومي . بعد ثماني سنوات .. عندما
 أصبحت في الحادية والثلاثين من عمري كنت أسكن مرة أخرى وحيداً
 في شقة صغيرة ، وكان الجو بارداً مرة أخرى ودرجة الحرارة ٣٥ تحت
 الصفر ، وكنت غارقاً في الديون وعاطلاً وبعيداً آلاف الأميال عن أسرتي
 وأصدقائي . بعد كل هذا العمل والسفر لم يتغير شيء !! أصبحت أكبر
 سنّاً وأعقل ، ولكنني أشعر بأنني أدور في حلقة مفرغة مهدراً الوقت
 والجهد . شعرت بالإحباط من هذا التقدم المتواضع برغم اعتقادي
 أنني أملك القدرة على فعل المزيد ، لكنني لا أملك أدنى فكرة عن كيفية
 استغلال هذه القدرة .

بعد ذلك .. اتجهت بقوة إلى خبرات الناجحين أقرأ وأسال وأستمع ،
 في رحلة بحث دؤوب للإجابة عن السؤال الذي ما زلت حائراً فيه :

لماذا ينجح بعض الناس أكثر من بعضهم الآخر ؟ ما زلت أعمل في المبيعات ، لكنني أصبحت قارئاً نهماً ، أقرأ كل ما يمكن أن يعطيني معنى وتفسيراً لما أراه من حولي . أصبحت عملياً للغاية ، أبحث عن تفسيرات لأمر محدد يمكنني فعلها على الفور لأحصل على نتائج أفضل . ثم يعد لدي صبر على النظريات والمبادئ المجردة . فكان سؤال الوعيد لكل فكرة جديدة : هل هذه فكرة ناجحة ؟ كنت أسأل نفسي على الدوام : لماذا بعض مندوبي المبيعات أكثر نجاحاً من الآخرين ؟ أخذت أقرأ كل ما وقعت عليه من كتب المبيعات ، واستمعت إلى كل أشرطة الكاسيت المتاحة ، وحضرت كل محاضرة صادفتها ، وسألت أفضل مندوبي المبيعات عن كيفية بيعهم وكيفية تعاملهم مع المشكلات التي يواجهونها . جربت كل شيء منطقي وعملت على تحسينه ، فبدأ حجم مبيعاتي يزيد تدريجياً ، وفي خلال ستة أشهر أصبحت أفضل مندوب مبيعات في شركتي . وسرعان ما علّمتُ أشخاصاً آخرين ما نجح معي من أمور ، فأصبح الكثير منهم من أفضل مندوبي المبيعات .

درست المبيعات والإدارة والأعمال كي أتعلم كيف أحقق مستوى معيشياً كريماً . أكملت الثانوية مساءً ، ثم الجامعة ، ثم تمكنت من الالتحاق

ببرنامج الماجستير في إدارة الأعمال وتخصصت في دراسة التخطيط الإستراتيجي والتسويق . فيما بعد أصبحت مستشاراً في الإدارة ، واستخدمت معرفتي وخبرتي في كسب ملايين الدولارات لعملائي أو توفيرها لهم . استخدمت كل ما تعلمته في تأسيس مؤسسة مبيعات مكونة من ٩٥ شخصاً في ست دول ، رأس مالها ٢٦٥ مليون دولار أمريكي ، أنا رئيسها التنفيذي . وأصبحت المؤسسة تحقق ملايين الدولارات في أعمال جديدة كل شهر . انتقلت من شقة مفروشة صغيرة من غرفة نوم واحدة إلى شقة تملك ، ثم إلى منزل أكبر بحمام سباحة وكراج سعة ثلاث سيارات . أصبحت أقيم في فنادق جميلة ، وأتناول الطعام في مطاعم فخمة في أعظم مدن العالم ، وقابلت أربعة رؤساء دول ، وتناولت الغداء أنا وزوجتي مع رئيس الولايات المتحدة .

يوجد اليوم الكثير من المعلومات العملية عن كيفية تحقيق النجاح في أي مجال من المجالات أكثر من أي وقت مضى ، ورغم ذلك ٥ ٪ فقط من الأشخاص يصبحون مستقلين مالياً في نهاية حياتهم المهنية !! السبب هو التوجهات الذهنية السلبية التي يحملها النسبة

الباقية من الناس عن أنفسهم والتي أعمتهم عن رؤية إمكاناتهم وقدراتهم الوفيرة واستغلالها ، والرضا بالعمل القليل برغم الاختيارات الواسعة لتغيير حياتهم للأفضل . حياتنا اليوم ما هي إلا مجموع الاختيارات التي أديناها - الجيدة منها والسيئة - وإذا أردنا أن يكون مستقبلنا مختلفاً فعلياً محو كل التوجهات السلبية التي نحملها عن أنفسنا ، ثم بعد ذلك اتخاذ خيارات أفضل .

يرجع السبب الرئيس في التحصيل المتدني ومن ثمّ الشعور بالإحباط إلى أنّ الناس لا تعلم كيف تخرج أفضل ما لديها من إمكانيات ، ومن ثم يهدرون سنوات من العمل بمستوى أقل بكثير من قدراتهم . على سبيل المثال .. تخيل أنّ شركة أبل أهدتك وأوصلت إلى بيتك أفضل جهاز كمبيوتر لديها بكامل أجزائه وأدواته ، لكن من دون كتيب تعليمات التشغيل وكتيب إيضاح عن البرامج التي حملتها لك في الجهاز ، وأنت شخص لا تعرف على الكمبيوتر أي معلومة مطلقاً .. فكم من الوقت تحتاج حتى تشغل الجهاز وتعرف برامجه وتجعله ينتج شيئاً ذا قيمة ؟ يتمثل الجواب في أنك حتى وإن كنت

شغوفاً ومتلهفاً للغاية على تشغيله ربما تستغرق سنوات حتى تتعرفه وتتعرف إلى برامجه ، وربما تكون قبل أن تصل إلى هذه المرحلة قد تركته وعدت إلى مزاولته عملك بالطريقة القديمة البطيئة نفسها . الآن لنعد إلى المثال نفسه .. لكن تخيل أنك تسلمت الكمبيوتر نفسه لكن هذه المرة مع كتيب سهل الاستخدام ومع خبير من شركة أبل يدريك على الجهاز خطوة خطوة ويطلعك على برامجه وأسراره ، فألى كم من الوقت تحتاج إلى تشغيله وتكون ماهراً في برامجه ؟ ربما في اليوم نفسه أو في أسبوع على الأكثر .. إنَّ جوهر الأمر يتمثل في أنك جئت إلى العالم من دون كتيب تعليمات ، برغم أنك تحمل في رأسك عقلاً مذهلاً جباراً معجزاً في ذاكرته وسرعته ومعالجته وتصميمه .

أعود بعد هذه النصائح إلى قصتي مرة أخرى .. في عمر الأربعين أدركت أنني استغرقت أكثر من ٢٠ سنة لأهرب من الفقر والقلق بخصوص المال ، ولأجيب عن تساؤلي الدائم : لماذا ينجح بعض الناس أكثر من بعضهم الآخر ؟ يمكنني تلخيص الإجابة في سبعة مبادئ ، وسبع قواعد ، وأربعة قوانين حققت لي السعادة والنجاح المستمر . النجاح علم له

مبادئ وقواعد وقوانين يمكن لأي شخص استخدامها لتحقيق السعادة والنجاح وتوفير آلاف الدولارات وسنوات من العمل الشاق . مبادئ وقواعد وقوانين استنتجتها بعد كل هذه الخبرات النظرية والعملية والحياتية ، وبعد دراسات ودورات وقراءة مكثفة عن الناجحين والمليونيرات : كيف بدأوا ؟ ماذا فعلوا ؟ كيف يفكرون ؟ متى وكيف يتخذون قراراتهم ؟ وأي نوع من الأشخاص هم ؟ أُخْبِرْتُ وأنا صغير أنه إن لم أحصل على تعليم جيد فلن أبلّي بلاءً حسناً في الحياة . آمنت بهذا فترة طويلة ، حتى وجدت بعد دراسة الناجحين والأثرياء أن المئات منهم فصلوا من الجامعة وأصبحوا الآن من المليونيرات والمليارديرات .

الحياة حيادية لا تهتم من تكون : طويلاً أم قصيراً ، ذكراً أم أنثى ، أسود أو أبيض ، متعلماً أو غير متعلم . الحياة فقط تهتم بأن تفعل ما يفعله الأشخاص الناجحون . النجاح يترك أثراً خلفه ، فإن تتبعته آثار الأشخاص الناجحين - بغض النظر عن المكان الذي بدأت منه - سوف تصل في النهاية إلى المكان نفسه الذي وصلوا إليه . لا تجعل أي شيء يوقفك عن سعيك خلف النجاح ، لا تجعل أي تجربة مررت بها في حياتك

تقف عشرة أمام إمكاناتك وطموحك . وإليك الآن باختصار مبادئ النجاح وقواعده وقوانينه التي سوف تهيك لنجاح تلقائي متوقع في كل نواحي حياتك ، تشعر معه بأنك شخص رائع ، ترى نفسك ترتفع وتصبح أكثر قيمة وأهمية ، وتحس بفخر ورضا وسعادة وحب واحترام لذاتك .

المبادئ السبعة للنجاح :

١- أن تشعر براحة البال : أن تشعر بسلام داخلي يحل في نفسك . لا تعارض بين قيمك وأفعالك ، لا تعارض بين مبادئك وسلوكك ، لا أحد تسمح له أن يخس حقلك . شعور بأنك شخص مقدر له نفع وقيمة في هذه الحياة . إنَّ مدى تمتعك براحة البال يعتمد على قدر الحب الذي تكنه لنفسك وللآخرين .

٢- أن تملك صحة جيدة : صحة تجعلك في أفضل طاقاتك وعطائك . فبغياب الصحة وإن حققت كل الأشياء التي ترغب في الحصول عليها فإنك لن تحصل على أي سعادة من هذه الإنجازات . إنَّ قدر الصحة والطاقة لديك يتوقفان على مدى حبك وقبولك لذاتك والآخرين .

٣- أن تملك علاقات جيدة : لاسيما مع الأشخاص الذين تحبهم ويحبونك ويهتمون بأمرك . علاقات حميمة قوية لا تقوم على المصالح والمكاسب ، بل علاقات متجردة من المنافع تمتد حتى آخر العمر . يقول نيدو كوبين في كتابه " كيف تحصل على أي شيء تريده " : أولئك الذين يمضون حياتهم بحثاً عن السعادة لا يعثرون عليها أبداً ، بينما أولئك الذين يبحثون عن معنى وهدف وعلاقات شخصية قوية يجدون أن السعادة تأتي إليهم ناتجاً فرعياً لتلك الأمور الثلاثة .

٤- أن تملك حرية مالية : أن تجني ما يكفي من المال يخلصك من التشاغل بكيفية جمعه وتوفيره وقضاء ضرورياتك وحاجاتك . فهناك ٨٠ ٪ من الناس منشغلون بمشكلات مالية طوال الوقت جعلتهم في همٍّ وسهر طوال الليل .

٥- أن تمتلك طموحات كبيرة ذات قيمة : يجب أن تكون أهدافك وطموحاتك قيّمة يمكنها أن تقدم إسهاماً نافعاً ومفيداً للعالم بأسره ،

فاطمح واحلم بأشياء عظيمة ، ولا تجعل ظروفك التي تعيشها تحد من مستواها وعددها . وضعك لنفسك طموحات كبيرة من شأنه أن يرفع تقديرك لذاتك وحبك لها ، وهو سبيل مجرب كي تشعر بشعور رائع تجاه نفسك .

٦- أن يكون لديك وعي ذاتي : وهو اكتشافك لماذا تتفاعل وتتصرف التفاعل والتصرف الذي أنت عليه تجاه الأشخاص والمواقف من حولك ؟ فالأشخاص الناجحون يفهمون أنفسهم ويفهمون لماذا يفكرون ويشعرون بالطريقة التي هم عليها . فحين تعي ذلك وتتفهمه ، يمكنك بعدها التقدم في نواحي الحياة الأخرى .

٧- أن يكون لديك كمال ذاتي : وهو شعورك بأنك بعد توفيق الله وعونه قادر على أن تكون الشخص الذي تريد ، وأن تدرك قدرتك الكاملة على إدارة حياتك وجعلها حياة سعيدة مهما كانت قساوة الظروف الواقعة عليك .

كانت تلك هي المبادئ السبعة للنجاح ، وإليك الآن قواعد النجاح التي يجب ألا تغيب عن بالك وأنت تسعى نحو النجاح . هي قواعد تنبيه في إغفائها ربما عثرتك أو إحباطك أو استسلامك ، وفي إجادتها وتطبيقها تيسير لنجاحك الباهر الذي حددته بين أناس ربما بالأمس قد حسدتهم . والقواعد هي كالآتي :

١- حياتك تتحسن حينما تتحسن أنت : لم تتحسن حياتي بالسفر والعمل الشاق ، وإنما بالمعرفة والسؤال والتدريب والاستماع إلى أهل الخبرة والاختصاص . لقد وصلت إلى قمة السلم في المبيعات بعد أن قرأت وتعلمت وطلبت النصيحة وحضرت الدورات الكثيرة وطبقت ما تعلمته وهذا هو المهم . وفعلت ذلك أيضاً حينما دخلت مجال العقارات والصناعة والاستيراد والتوزيع . أول شيء أفعله هو أن أسأل : كيف تعمل هذه الأمور ؟ كيف ينجح الناس في هذا المجال ؟ ثم بعد ذلك أقضي الساعات والساعات في الدراسة ، ثم أفعل ما يفعله الأشخاص الناجحون . لا تهدر طاقتك الإبداعية في اختلاق الأعداد ولوم الآخرين على مشكلاتك ، بل بادر أنت في تحسين أوضاعك التي تشعرك بالتعاسة .

٢- لا يهم من أين أتيت لكن إلى أين ستذهب ؟ : لقد قابلت وتحدثت إلى كثير من الرجال والنساء الذين حققوا نجاحات رائعة ، جميعهم يشتركون في صفة واحدة ، ألا وهي المعرفة الدقيقة فيما يرغبون في تحقيقه . جميعهم كانت لديهم صورة واضحة عما ستبدو عليه حياتهم وإنجازاتهم المثالية . وأنا على مدار السنين تعلمت مجموعة من الدروس لعل أهمها : أنه لا يمكنك أن تحقق هدفاً لا تراه . عندما تكون واضحاً تماماً بشأن نفسك وما تريده وإلى أين تريد أن تذهب ، فإنك ستحقق عشرة أضعاف ما يحققه الشخص العادي تحقيقاً أسرع .

٣- أي شيء يجب فعله ستفعله فعلاً شيئاً في البداية : لا شيء ينجح من المرة الأولى ، لا يمكنك أن تجيد شيئاً من أول محاولة ، فلا بد من الخطأ والتكرار . لا يمكن أن تخبز كعكة من دون أن تعم الفوضى بالمطبخ . لا يهم عدد المرات التي تفشل بها المهم أن تستمر . والمهم هنا أن تتبع طريقة نجاح تجربة مثبتة ، ثم تطبق الطريقة مراراً وتكراراً حتى تجيدها . خمن .. كم عدد مرات محاولات الشخص لتحقيق هدف جديد قبل أن يتخلى عنه ؟ الجواب أن المعدل أقل من

مرة واحدة !! وذلك لأن الكثير من الناس يحبطهم الفشل ، ولأنهم يتخلون عن هدفهم حتى قبل أن يجربوا مرة واحدة فقط . الفشل إذا تكرر مراراً ليس نحساً ، وإنما هو ممارسة متكررة لطلب النجاح . الفشل هو التوابل التي تعطي النجاح مذاقه الرائع (هولز ، ٢٠٠٠) .

٤- يمكنك أن تتعلم أي شيء تريده للحصول على هدفك : كل مهارات النجاح يمكنك تعلمها ، كل مهارات التجارة يمكنك تعلمها ، كل مهارات التسويق يمكنك تعلمها ، كل مهارات الإبداع يمكنك تعلمها . فكل شخص جيد فيها اليوم كان بالأمس لا يجيدها . وكما تعلم مئات الآلاف من الأشخاص ، يمكنك أنت أيضاً أن تتعلم .

٥- أنت حر في اختيارك : ليس ثم أي قوة تفرض عليك اختيارك ، الاختيارات والبدائل كثيرة فاختر لنفسك منها ما تشاء . إن لم تفعل هذا ، يمكنك فعل هذا ، وإن لم تفعل تلك ، يمكنك فعل هذه . لديك نطاق واسع من المهارات والإمكانات تمكنك من اختيار أشياء وفعلها ،

بطرائق ومهارات لا حصر لها ولا عد . عندما كنت أغسل الصحون ، كنت أعتقد أن السبيل الوحيد لكسب المزيد من المال هو العمل لساعات أطول وغسل صحون أكثر ، لكنني تعلمت أن الطريق الوحيد لتحسين حياتي هو العمل بطريقة أذكى . أن أستخدم المزيد من قدراتي الذهنية بدلاً من المزيد من قدراتي البدنية .

٦- كل مشكلة تواجهها هي فرصة لنموك : كل صعوبة تواجهها هي بذرة فرصة أو منفعة مساوية أو أكبر لتلك الصعوبة التي تعانك . إذا كانت الحاجة أم الاختراع فيبدو أن الألم هو أبو التعلم . يبدو أننا نحتاج إلى دفعة الإحباط والضغط وال فشل كي نسمح لأنفسنا برؤية الأفكار والطرائق الجديدة لأدائها . وفقاً لما ذكره ستانلي و دانكو في كتابهما " The Millionaire Next Door " فإن المليونير العصامي في أمريكا يستثمر ما يصل إلى ٢٢ عاماً من العمل الشاق والتضحية والتقلبات والصعوبات والإخفاقات الوقتية للوصول إلى ذلك القدر من الثروة . أما الذين يعتقدون أنهم سوف يقهرون هذا المعدل المتوسط ويقفزون إلى مقدمة الصف المالي ، فعادة ما يكونون غير مستعدين للعمل الشاق

الضروري لتحمل النهوض المتكرر من مواضع الفشل وتجاوز لحظات الألم والصعوبات ، ونتيجة لذلك ينتهي بهم الأمر إلى أن يكونوا في الصف الأخير طوال حياتهم . لا تدع ذلك يحدث لك .

٧- القيود الحقيقية هي تلك التي تفرضها أنت على نفسك : ليست هناك في العالم الخارجي أي قيود على نجاحك وإبداعك ، القيود دائماً توجد في داخلك . السيطرة على الخوف وتطوير الشجاعة شرطان أساسيان للحياة السعيدة والناجحة . عندما تلتزم بتطوير سلوك الشجاعة ستصل في النهاية إلى مرحلة ألا تكون للمخاوف أي سيطرة عليك ، وألا تؤدي دوراً أساسياً في اتخاذ قراراتك . سوف تحدد أهدافاً كبيرة وصعبة ومثيرة ، وستكون لديك الثقة بأنك تستطيع تحقيقها ، وستكون قادراً على مواجهة كل موقف بهدوء وثقة وسوف تنطلق كالصاروخ . المستقبل هو ملك المجازفين وليس لطالبي الضمان . الحياة معاكسة !! بمعنى أنك كلما كنت أكثر سعياً للضمان قل حصولك عليه ، لكن كلما زاد سعيك للفرصة زاد احتمال تحقيقك للضمان الذي تريد . لذلك تشير الخبرة التربوية في تربية الموهوبين نانسي جونسون إلى تغلغل

هذا الضمان في عقول الطلاب ، وتدعو التربويين إلى الانتباه إلى ذلك ،
والدفع بأصحاب المواهب من الطلاب لشيء من التجريب والمغامرة .
فتقول في كتابها " أوجه الموهبة " : كثير من الناس يعتقد أن الموهوبين
سينجحون في الحياة من دون توجيه ومساعدة ، لكني أقول ومن تجربة
وخبرة طويلة جداً إن هذا اعتقاد خطأ !! فهناك أعداد كبيرة من الموهوبين
أدركوا أن الأضواء والتميز ولوحات الشرف محفوفة في مدارسهم بالانتقاد
والأخطاء والسخرية ، فتملّكهم الخوف والتردد والصمت ، وتعلموا من
تكرار ذلك أن يكونوا عاديّين يرفضون التحدي والمغامرة .

كانت تلك هي مبادئ براين تريسي وقواعده للنجاح ، وبرغم روعتها إلا
أن قوانينه الأربعة التي أكمل بها منظومة النجاح في كتابه " أقصى إنجاز "
كانت هي الأجل والأروع ، وإليك الآن هذه القوانين الأربعة .

١- قانون السيطرة

ينص قانون السيطرة على أنك تشعر بشعور إيجابي تجاه نفسك وفقاً
لدرجة شعورك بالسيطرة على حياتك ، وأنت تشعر بشعور سلبي تجاه

نفسك وفقاً لدرجة شعورك بعدم السيطرة على حياتك .. ربما بسبب خضوعك لمشروعات الآخرين وأهدافهم . وقد اتفق الناس بصفة عامة على أن معظم الضغط والقلق والتوتر والأمراض النفسجسدية تظهر بسبب شعور الشخص بعدم السيطرة على حياته . ربما بسبب الديون ، أو المدير ، أو الصحة المعتلة ، أو العلاقات السيئة ، أو سلوك الآخرين . وتؤكد دراسة رندا وهوقس (٢٠٠٤) أن امتلاك مشاعر ضعيفة تجاه السيطرة على الحياة تؤدي إلى صحة رديئة ، اعتزاز بالنفس ضعيف ، إنجاز دراسي ضعيف ، مستويات عالية من التوتر ، وفرص أقل لتشافى النفس . وأن الأمهات اللاتي يشعرن بحاسة التحكم على حياتهن كان أطفالهن أقل مشكلات سلوكية .

إن السيطرة على حياتك تبدأ بأفكارك ، فهي الشيء الوحيد الذي لك سيطرة تامة عليه ، ومن ثم الأفكار تحدد المشاعر والسلوك . إن الانضباط الذاتي يبدأ بسيطرتك على تفكيرك ، لا يمكن لشخص أو موقف أن يحدد شعورك وسلوكك ، هي فقط أفكارك . يقول إيلينور روزفلت : لا يمكن لأحد أن يجعلك تشعر بالدونية من دون موافقتك . إن من أهم مسؤولياتك أن تجعل

حياتك تحت سيطرتك وأن تبقي عليها كذلك . فإحساسك بالسيطرة هو أساس لبناء المزيد من السعادة والنجاح في المستقبل . وربما أفضل وسيلة للسيطرة على حياتك هي أن تكون لديك أهداف محددة . فالأشخاص الذين يضعون أهدافاً واضحة تزيد احتمالات شعورهم بالثقة في تحقيق أهدافهم بنسبة ٥٠ % ، ويزيد شعورهم بالسيطرة على مجريات حياتهم بنسبة ٣٢ % . فوجود الأهداف في حياة الأشخاص يضيف على حياتهم معنى وغاية وعلى أفعالهم نوعاً من الأهمية ، كما أن الاستسلام يصبح ليس النهاية الجذابة لهم . والشعور بأن الحياة لها معنى وغاية يوفر على الأفراد الرضا عن حياتهم أكثر مما يوفره الدخل المرتفع بثمانية أضعاف . وهؤلاء الذين لا يتحركون إلى الأمام نحو تحقيق أهدافهم تزيد احتمالات توقفهم واستسلامهم في النهاية إلى خمسة أضعاف ، وتقل احتمالات شعورهم بالسيطرة والرضا عن حياتهم بثلاثة أضعاف (نيفن : ٢٠٠٤) .

٢- قانون السبب والنتيجة

إنّ هذا القانون مهم جداً لدرجة أن أطلق عليه " القانون الحديدي للكون " ، ونصّ هذا القانون على أن كل شيء يحدث لسبب ، سواء عرفت

هذا السبب أم لم تعرفه . يقول هذا القانون إنَّ هناك أسباباً معينة للنجاح ، وأسباباً معينة للفشل ، وأسباباً محددة للصحة والمرض ، وأسباباً محددة للسعادة والتعاسة . يقول المثل : إنَّ ما يزرعه الإنسان يحصده . فإذا أردت أن تحصد حصداً مختلفاً في أي مجال من مجالات حياتك في المستقبل ، فعليك أن تزرع بذوراً مختلفة اليوم . إذا أنتجت منتجات أو خدمات جيدة يرغب العملاء فيها ويحتاجون إليها ، ثم روجت لها ترويجاً جيداً سوف تنجح في بيعها ، وإذا لم تفعل ذلك فلن تنجح . إذا أعددت دروسك ، وركزت وشاركت مع أستاذك ، وسألت وقرأت وحللت واجباتك ، وراجعت وحفظت ، فإنك بلا شك ستنجح وتتفوق . من جد وجد ومن زرع حصد .

هناك أشخاص ليسوا بذكائك ومهاراتك نفسها ، لكنهم يبلون بلاءً حسناً أفضل منك بكثير !! السبب : لأنهم يتبعون طريقة نجاح مثبتة النتائج . كان هناك شخص في شركتي يجني أكثر مما يجنيه الآخرون بعشر مرات ، كان يبيع المنتج نفسه ، من الشركة نفسها ، بالسعر نفسه ، للأشخاص أنفسهم ، بالشروط نفسها ، لكنه يجني من المال أكثر مما يجنيه عشرة أشخاص !! سألته : هل تفعل فعلاً مختلفاً عني ؟

فأخبرني وطبقت ما أخبرني به . فإذا بي أحصل على نتائج أفضل ، بل أصبحت أفضل مندوب مبيعات في شركتي . المسألة ليست سحرًا .. ابذل الأسباب الصحيحة تجد النتيجة المرغوبة .

٣- قانون الاعتقاد

يقول قانون الاعتقاد إن كل ما تعتقده وتشعر به يصبح واقعك . وكلما زاد اعتقادك في صحة أمر ما ، زاد احتمال أن يكون هذا الأمر واقعياً فيما يتعلق بك . على سبيل المثال .. إذا كنت تعتقد أن قدرك هو أن تكون ناجحاً في الحياة ، فمهما حدث لك سوف تستمر في المضي قدماً نحو أهدافك ولن يوقفك شيء . وإذا اعتقدت أن النجاح ضرب من الحظ أو المصادفة ، فسوف تثبط همتك وتصبح سريع الإحباط سريع الاستسلام . إن معتقداتك هي التي تضعك إما على طريق النجاح أو الفشل .

في أحد الأيام .. سمعت قصة شاب من قرية صغيرة تخرج في الثانوية بمجموع ممتاز ، ثم تقدم للالتحاق بإحدى الجامعات الحكومية ، وكجزء من إجراءات الالتحاق كان عليه إجراء اختبار الكفاءة الدراسية مثل بقية

المتقدمين للجامعات الأمريكية ، وبعد بضعة أسابيع تسلم خطاباً من إدارة الالتحاق تخبره بأنه أحرز ٩٩ ٪ في الاختبار ، وأنه قُبِلَ في الجامعة . كان الشاب مسروراً لقبوله ، لكن كانت هناك مشكلة واحدة ، لقد استنتج الشاب عن طريق الخطأ أنَّ نسبة ٩٩ ٪ هي نسبة معامل الذكاء لديه ، وقد علم أنَّ متوسط الذكاء هو ١٠٠ ، فشعر بأنه لن يكون قادراً على أداء المهام الجامعية نظراً لذكائه المحدود . طوال النصف الدراسي الأول وهو يرسب في المواد كلها تقريباً ، فاستدعاه مرشده العلمي وسأله عن سبب مستواه الضعيف . فقال : لا يمكن لأحد لومي ، درجة ذكائي هي ٩٩ ٪ فقط . كان أمام المرشد ملف الطالب فسأله : لماذا تقول ذلك ؟ فقال الطالب : هذا هو المكتوب في خطاب القبول . أدرك المرشد العلمي سوء الفهم الذي حدث ، وأخذ يفسر له الفرق بين معامل الذكاء والنسبة المئوية . قال المرشد : ٩٩ ٪ تعني أنك حصلت على مجموع مساوٍ أو أعلى من ٩٩ ٪ من الطلاب في هذا الحرم الجامعي . أدرك الشاب خطأه فتغير اعتقاده ، وعاد إلى محاضراته بإحساس جديد من القوة والثقة . في نهاية الفصل الدراسي كان على قائمة المكرمين ، وفي النهاية كان من العشرة الأوائل على الدفعة عند التخرج .

معظم معتقداتك المحجمة للذات ليست صحيحة بالمرّة ، إنها مبنية على معلومات سلبية استوعبتها وقبلتها على أنها صحيحة . وبمجرد تسليمك بصحتها فإن اعتقادك يجعلها حقيقة فيما يتعلق بك . وكما قال هنري فورد : إذا اعتقدت أن بإمكانك القيام بأمر أو اعتقدت أنك لا يمكنك أدائه ، فأنت محق في كلتا الحالتين . لذلك نصيحتي أن ترفض قبول الأمور التي تحد من قدرتك ، فمن المحتمل أن تكون قادراً على فعل أكثر مما فعلته من قبل بمراحل كبيرة .

٤- قانون التوقعات

يقول قانون التوقعات إن كل ما تتوقعه بثقة يصبح نبوءة ذاتية التحقق فيما يتعلق بك . أي أن ما تحصل عليه في الحياة ليس ما ترغب فيه بل ما تتوقعه . في كتابه " Pygmalion in the classroom " ذكر الدكتور روبرت روزنثال الأستاذ بجامعة هارفارد تجربته التي أجراها في منطقة خليج سان فرانسيسكو في أواخر ستينيات القرن العشرين التي أظهرت وأكدت تأثير توقعات المدرسين على التحصيل الدراسي للطلاب . استُدعي ثلاثة مدرسين إلى مكتب الناظر الذي قال لهم : أنتم أفضل ثلاثة مدرسين في

المدرسة كما لاحظت على طريقة تدريسكم ، وكمكافأة لكم سوف نعطي كل واحد منكم فصلاً من أنجب الطلاب في المدرسة ، وأتوقع منكم معهم تقدماً بمعدل ٢٠ إلى ٣٠ ٪ في الإنجاز الدراسي . أبقوا الأمر سرّاً على اختياركم لتدريس هذه الفصول ، ولا تجربوا الطلاب بأنهم اختيروا بصفة خاصة لهذه الفصول الثلاثة المتقدمة . خضعت الفصول للمراقبة وخضع المدرسون للمتابعة طوال السنة الدراسية . كان المعلمون يدرسون بمزيد من الالتزام والصبر ، وكانوا يقضون المزيد من الوقت بعد المدرسة في تعليم الطلبة تعليماً منفرداً . وعندما يعاني طالب سوء فهم شيء ، كان المعلم يفترض أن المشكلة في طريقة تدريسه وليست في الطالب . في نهاية السنة ، تصدرت الفصول الثلاثة المراكز الأولى - ليست على نطاق المدرسة بل على نطاق المنطقة التعليمية بأسرها - وحققت هذه الفصول تقدماً بمعدل ٢٠ إلى ٣٠ ٪ في الإنجاز الدراسي .

انتهت التجربة وأوضح الناظر للمدرسين الثلاثة أنّ الأمر كان تجربة للدكتور روزنثال من جامعة هارفارد ، وأنّ التلاميذ لم يكونوا متميزين على الإطلاق ، وأنّ أسماءهم قد اختيرت عشوائياً من بين

تلاميذ المدرسة كلها . أصابت الدهشة المدرسين الثلاثة ، لكنهم بعد ذلك أرجعوا هذا التقدم إلى خبرتهم وتميزهم التدريسي . قال الناظر : حتى أنتم اخترتم عشوائياً من بين معلمي المدرسة . إذاً ما الذي حدث ؟ لقد كانت توقعات الناظر من المدرسين واضحة : إنكم مدرسون ممتازون ونتوقع منكم نتائج ممتازة في فصول هؤلاء الطلبة المتفوقين . بناءً على ذلك تعامل المدرسون مع التلاميذ على أنهم طلبة في غاية الذكاء وتوقعوا منهم أداءً ممتازاً . في كلتا الحالتين كانت التوقعات مبنية على معلومات خطأ ، وبرغم ذلك صدقت التوقعات !! لقد صدقت لأنها جاءت من مصدر موثوق ، وهذا مهم للغاية ، فالتوقعات ترتبط ارتباطاً مباشراً باحترامك لصحة المصدر . كلما زاد احترامك وإعجابك بشخص ما ، زاد تأثيره على توقعاتك بشأن نفسك .

لقد درّس المعلمون تدريجاً ممتازاً ، وتعلم التلاميذ بمعدل أعلى من أي معدل حققوه في السابق . وقد انتقل أحد تلاميذ التجربة من معدل ذكاء يقدر بنحو ٩٠ إلى معدل ذكاء يقدر بنحو ١١٢ درجة . أي أنه حقق قفزة تقدر بنحو ٢٢ نقطة على مقياس الذكاء خلال سنة واحدة كان

فيها تحت تأثير مدرس يحمل له توقعات إيجابية . وتجربة بعد تجربة أظهرت النتائج أنه عندما يتوقع المدرسون الأداء الجيد من الطلبة ، فإنهم يعملون بجهد ويكونون عند حسن ظن توقعات مدرسيهم . في إحدى الدراسات قال نحو ٩٠ ٪ من المساجين الذين أجرى بعض علماء النفس محاورات معهم إن آباءهم وأمهاتهم طالما رددوا على مسامعهم في أثناء تنشئتهم مقولة : في يوم من الأيام سوف ينتهي بك الأمر في السجن . إن لك تأثيراً هائلاً على شخصية الناس وسلوكهم ولاسيما الذين يتطلعون إليك بعين الاحترام من أجل التوجيه والتعقيب . كلما كنت أكثر أهمية في حياة شخص ما ، زادت قوة تأثير توقعاتك على أدائه . لذلك توقع الأفضل دائماً من الآخرين هو أكثر سلوك تشجيعي يمكنك استخدامه مع من حولك ، فالناس سوف يحاولون دائماً ألا يخذلوك .

والآن عزيزي القارئ .. وبعد أن قرأت منظومة براين تريسي للنجاح التي صاغها بعد رحلة بحث طويلة عن أسباب النجاح امتدت إلى أكثر من ٢٠ سنة ، تجربة وعملاً وبحثاً ودراسة واستماعاً للناجحين والخبراء ، هل

تتذكر أن تلك المبادئ والقواعد والقوانين تضمنت شهادات تفوق أو تحصيل أكاديمي متميز أو معامل ذكاء مرتفع ؟ هل اشترطت تلك المنظومة أن تكون جامعياً أو وحيهاً أو حسيباً أو غنياً ؟ الجواب بالطبع لا ، فمنظومته صالحة للجميع بغض النظر عن تاريخهم التعليمي وظروفهم الاقتصادية وموقعهم الجغرافي ، وبغض النظر عن الظروف كلها والأعداء التي يضعها الفرد عائقاً في طريقه لتحقيق النجاح . كل شيء قابل للتعلم ولم يفت الوقت أبداً ، فقط اتبع خطوات الناجحين وأسباب نجاحهم وستجد النتيجة نفسها . والنصيحة النبوية الكريمة تقول : " قل آمنت بالله ثم استقم " . إن أظهرت إعجابك بأمر ، فطبّق مباشرة ولا تسوّف .

يأتي النضج الحقيقي عندما تدرك أنه لن يأتي أحد لإنقاذك

أنت قائد سيارة حياتك والمهندس الذي يصمم مصيره

برايين تريسي

كتاب : أقصى إنجاز

اليابان ١٩٤٥



من رحم الآلام والمصيبات تولد الأرواح والبشارات

د. سعد الكريباتي

سؤال أحرصني وغير حياتي

يوليو عام ٢٠٠٤ وبعد انتهاء يوم حافل بالأنشطة والتدريب من أيام البرنامج الإثرائي الصيفي للطلبة الموهوبين في جامعة نورثرن كولورادو ، قدمت عرضاً على حسابي لأستاذي في برنامج الماجستير والمشرف العام على البرنامج الإثرائي جورج بيتس^٥ لاحتساء القهوة التي يحبها في كافتيريا الجامعة . فالإشراف على برنامج إثرائي لـ ٢٥٠ طالباً موهوباً من ولايات أمريكا كافة من الصباح إلى المساء ليس عملاً سهلاً ، بل يحتاج إلى كوب كبير من القهوة الأمريكية يروق مع ارتشافه الببال ويروق به خاطر ، ولذلك وافق على العرض مباشرة . لم يكن جورج بيتس أستاذاً عادياً ، فهو أحد الأعلام الكبار في مجال التفوق والموهبة كما عرفته في الهامش ، وهو نموذج في التدريس الفعال الجاذب الذي تختلط به المشاعر والأفكار والفكاهة والاستثارة والفائدة . نادراً جداً ما كان يجيب عن أسئلة الطلبة جواباً مباشراً ، كان ينتهج أسلوب أرسطو في الرد ، فيسأل المسائل بعد سؤاله مباشرة : وماذا تعتقد أنت ؟ (what do you think?) ، محاولاً إكسابك بعض

(٥) George Betts : الرئيس الحالي للجمعية الوطنية للأطفال الموهوبين . أستاذ سابق في جامعة نورثرن كولورادو ، كلية التربية ، تخصص الإرشاد النفسي (عمل فيها ٣٥ عاماً) . المؤسس والمدير السابق لمركز أبحاث وتعليم الموهبة والتفوق والإبداع ، والبرنامج الإثرائي الصيفي للموهوبين في الجامعة نفسها (Summer Enrichment Program) . صاحب ومطور موديل المتعلم الذاتي الذي يطبق في أكثر من ٣٥ ولاية أمريكية وفي دول أخرى حول العالم . يُعدُّ متحدثاً عالمياً وخبيراً تربوياً في مساعدة المدارس والمناطق التعليمية والولايات والمنظمات الدولية في تطبيق وتأسيس برامج الموهوبين . كما مثل أمريكا هو وجوزيف رنزولي في مؤتمر الموهوبين المنعقد في ألمانيا عام ٢٠٠٣ . نال الكثير من الجوائز القومية ، واختارته الجمعية الوطنية للأطفال الموهوبين عام ٢٠٠٣ واحداً من ضمن الـ ٥٠ رائداً الأكثر تأثيراً في تاريخ تربية الموهوبين .

مهارات التفكير العليا مثل : التركيب ، والربط ، والتحليل ، والنقد . كان أستاذاً استثنائياً بشهادة زملائه وطلابه جميعهم .

في الكافيتريا وبعدما شعرت بصفاء ذهنه وراحة باله وهدوئه ، سألته هذا السؤال الذي طالما انتظرت الفرصة المناسبة لطرحه والاستمتاع بسماع إجابته : دكتور جورج .. ما هي قصتك ؟ وكيف دخلت في عالم تربية الموهوبين ؟ أنت تعلم أنه في نهاية هذا الشهر وبعد انقضاء هذا البرنامج العملي الإثرائي في تدريس الموهوبين ، سيكون تخرجي في جامعة نورثرن كولورادو وحصولي على شهادة الماجستير في التربية الخاصة ، وأنا أود قبل رجوعي إلى الكويت أن أعرف من أفضل أساتذتي تفاصيل قصته ، وما الذي جذبه إلى عالم الموهوبين والمتفوقين ؟ فقال : إذا إليك القصة كاملة .

كنت طالباً عادياً جداً ، ولم أكن من المتفوقين في كل مراحل التعليم . تخرجت في الثانوية بمعدل ١,٩ من ٤ نقاط ، يعني معدل أقل من المتوسط . ورغم صعوبة فرصة الحصول على قبول جامعي مع هذا المعدل المتواضع ،

إلا أن محاولة الحصول على الشهادة الجامعية كانت فكرة دائماً ما تتردد على خاطر . وحتى أرفع نسبة الأمل في جعل الجامعات التي أرسلها تنظر إلى أوراقى بجدية أكثر متجاوزة ذلك المعدل الضعيف ، كان لا بد لي من الحصول على شهادات تزكية من مدرستى الثانوية . فكتب التزكية لها وزن في معايير القبول الجامعي ، لأنها كثيراً ما تكشف عن زوايا وأبعاد في شخصية الطالب لا تكشفها درجاته المدرسية وتحصيله الدراسي ، ولا سيما عندما تأتي من خبير تربوي أو أستاذ له سمعته المرموقة .

توجهت إلى مرشدتي في الثانوية السيدة هندرسون لأخذ كتاب التزكية منها ، لكنها رفضت طلبي ، وقالت لي وهي تضحك ساخرة : لا تضيع وقتك في المراسلات مع الجامعات ، هل تريدني أن أريك درجاتك الضعيفة وسجلك الحافل بالتنبيهات والإنذارات ؟! ربما العمال الذين يرصفون الطريق العام هذا الصباح هم الأنسب لك .. وبالمناسبة فإن العمل معهم لا يحتاج إلى رسائل تزكية . خرجت من الثانوية غاضباً ممتعضاً من قسوة السيدة هندرسون وهذه السخرية الصريحة ، ورفضها منحي رسالة التزكية التي أريد .

بعد أشهر من البحث والمراسلات .. جاءني القبول الجامعي من جامعة فيلبس التي تقع في مدينة إند في ولاية أوكلاهوما . قُبلتُ في قسم التاريخ الذي أعرف أنني بعد تخرجي فيه أنني سأعاني محدودية الفرص التي سأجدها في سوق العمل التي تطلب هذا التخصص ، ربما فقط وظيفة معلم في مدرسة متوسطة أو ثانوية . لم أجدُ على الرُفُض ، فمعدلي الضعيف أجبرني على قبول هذه الفرصة التي ربما بضياعها سيضيع معها الحلم الجامعي . عام ١٩٦٦ تخرجت في قسم التاريخ بمعدل ٢,٣٠ من ٤ نقاط ، يعني بمعدل فوق المتوسط بقليل .

عملت معلماً للتاريخ بمدرسة ثانوية ، وكنت مغرماً جداً بالشيوعية وتاريخها وقادتها ومفكرها وتفاصيلها .. كنت أعرف كل شيء عن الشيوعية . وفي إحدى المرات وأنا منشغل في أحد الفصول في شرحي عن الشيوعية .. رفعت تلميذة يدها وقالت : دكتور جورج لدي سؤال أود طرحه عليك بعد الدرس . فقلت : طبعاً وبكل سرور . وقلت لنفسي : لا بد أن درس اليوم كان رائعاً وأثار فضول الطلبة بمعرفة المزيد عن تاريخ الشيوعية وفلسفتها . بعد انتهاء المحاضرة ، أخذت مفكرتي إلى حيث

تجلس الطالبة ، وقلت لها : أي نقطة في درس اليوم لم تفهميها في حديثنا عن الشيوعية ؟ فقالت : أستاذ بيتس سؤالي هو : أبي قد طلق أمي .. ما الذي عليّ فعله الآن ؟! صعقت من سؤالها ، ولم يسعفني أي جواب ، ولم أزد عن قول : ليس لدي أي معلومة أو جواب .

ذهبت إلى البيت مهموماً وقد عجزت عن مساعدة تلك البنت الحائرة ، وعن الإتيان بإجابة أو حل ولو مؤقتاً وبسيطاً لمشكلتها الحياتية . كيف لمعلم مثلي أن يعجز عن حل تلك المشكلة ؟! هذه مشكلة واحدة من مئات المشكلات التي تعج بها البيوت والحياة ، والتي حتماً عاجلاً أم آجلاً سيواجهها الطلاب ويبحثون عن مصدر قريب منهم يثقون به لحلها . وما أجمل أن يكون ذلك المصدر القريب هو المعلم الذي يسعده انفراج أزمت طلابه ! وتسعده اللحظات التي يشاركون بها تقديم الحلول والمقترحات لمشكلاتهم وهمومهم ! هذه البنت واحدة من كثير من طلابي الذين سيحتاجون إلى مساعدتي ومشورتي ، والشيوعية وتخصصي الحالي يبدو أنهما لا يجعلاني كفاً لحل مشكلات الطلاب الحياتية ، فما العمل ؟

قررت بعد تلك الليلة أن آخذ شهادة ماجستير في علم النفس والإرشاد النفسي . لعلّي بهذا التخصص أكون أكثر فهمًا للناس ومشكلاتهم ، وأكثر احترافية في تقديم الاستشارات والاقتراحات العلاجية للمستترشدين . والعجيب أنني وجدت نفسي في هذا التخصص ، ووجدتني مولعاً وشغوفاً في مجال تقديم الاستشارات ومساعدة الناس وخدمتهم . لقد وجدت شغفاً في تخصصي الجديد ملاً حياتي بهجة وسعادة وحيوية .

عام ١٩٦٩ تخرجت في جامعة نورثرن كولورادو بشهادة الماجستير في علم النفس والإرشاد النفسي بمعدل امتياز (٣,٦ من ٤ نقاط) .

قبل إنهائي دراسة الماجستير .. جاءتني الدكتوراة برول والدكتوراة شوا من قسم الإرشاد في كلية التربية ، وقالتا لي : جورج أنت أفضل إنسان رأيناه خلال مدة عملنا في الجامعة في تخصص الاستشارات - طبعا كان كلامهما مفاجأة لي ولم تصدق أذنائي هذه التزكية الكبيرة منهما -

وقالتا لي : يجب عليك أن تأخذ الدكتوراه في الإرشاد النفسي ، وسوف تتحمل جامعة نورثرن كولورادو عنك الرسوم والكتب الدراسية كلها ، وسيكون لك معاش شهري ٢٥٠ دولاراً . يجب أن تحصل على الدكتوراه ، نحن في حاجة إليك وإلى خدماتك ومواهبك في القسم .

لم أجد أي مبرر لرفض العرض المغربي الذي قدمته لي رئيسة القسم والفرصة الذهبية التي سأحصل بها - وبالمجان - على التخصص الذي وجدت نفسي وسعادتي به ، فقبلت العرض وشكرت رئيسة القسم والدكتورة شوا على ثقتهم الكبيرة بي . بدأت الدراسة في جامعة نورثرن كولورادو ، وعام ١٩٧٢ حصلت على شهادة الدكتوراه في الإرشاد النفسي بمعدل ٤ من ٤ ، حصلت على الدرجة الكاملة .

حملت شهادتي مباشرة إلى مرشدتي في الثانوية المس هندرسون ، لأجعلها تشاهد بنفسها ذلك الشاب الغبي عديم النفع - كما كانت تعتقد - كيف أخرجَ الشغف منه قدراته ومواهبه الكامنة ، ويحصل على أعلى شهادة علمية بتفوق وامتنياز كامل . حكمك عليّ ليس صحيحاً يا سيدة هندرسون ، فالكثير من الطاقات والذكاءات والمواهب لا تكشفها المدارس ولا تعرف كيف تستثيرها من نفوس أصحابها ، بل ربما تكون مصدر إعدامها وإقصائها . مس هندرسون .. أرجو ألا تتسرعوا في أحكامكم ، أعطوا الطلاب آمالاً أكبر وفرصاً أكثر للتعلم . الفشل لا يعني نهاية العالم ، إنه يعني أن المتعلم لم يصل بمهاراته بعد إلى درجة الإتقان المطلوبة ، أو يعني

أن طرائق تعليمكم لا تتفق مع طرائق تعلمه ، أو أن مدارسكم أصبحت له مصدر ملل وسامة لا يجد فيها التحدي والاستثارة .

انتهت قصة أستاذ الموهبة الأمريكي جورج بيتس عند هذا الحد ، وجاء دورك أيها القارئ لتخبرنا عن سبب تحول هذا الأستاذ ذي التقديرات المنخفضة إلى بروفسور لامع في عالم التفوق والموهبة ! من خريج مرحلة ثانوية تقديره أقل من المتوسط ، إلى خريج برنامج دكتوراه تقديره امتياز ٤ من ٤ !! ما الذي حدث !؟

هناك خمسة أسباب رئيسة يفسر الواحد منها أو الاثنان معاً سبب نجاح بعض العظماء في حياتهم . والسر خلف تغيير نمط حياتهم وطموحاتهم ، برغم فقرهم وظروفهم وتحصيلهم التعليمي القليل أو الضعيف . خمسة أسباب كان الواحد منها هو المحرك والدافع الحقيقي للعظماء في سعيهم الحثيث خلف النجاح وصبرهم على تحصيله وبلوغه ، واختيارهم لسرعة الصعود الصاروخي بدلاً عن المشي السلحفائي . خمس نقاط تحول مصيرية شقت عن قدرات دفيئة ، ومكان ثرية مذهلة غير

مُقدِّرة . نقاط تحول استطاعت أن تكسر القيود وتتجاوز السدود ، وتصنع من الإنسان نجماً مرتفعاً عن القاع إلى القمة . خمس نقاط تستخرج من الإنسان طاقاته الكامنة الحقيقية ، وتلهب فيه حماسة غير عادية ، تتجاوزاً التوقعات المحدودة وسقف الأمانى المأمولة .

نقطة التحول الأولى : الصدمة

وهي ما تفسر التغيير الذي طرأ على حياة جورج بيتس بعدما صدمه سؤال الطالبة صدمة أثارت تفكيره ومشاعره ، وقلبت موازينه وكيانه . صدمة أجبت بداخله رغبة حقيقية لاتخاذ قرارات حاسمة لتغيير تخصصه ونمط حياته ، والتفكير في مدى نفعه وتأثيره على مجتمعه . صدمة أمدته بالطاقة والحيوية والحيلة ، وشيء مختلف غير عادي في التفكير والسعي والطموح ومستوى النتيجة . وهذه النقطة تحديداً تفسر أيضاً التغيير الذي حصل في حياة عبدالرحمن السميّط (رحمه الله) .

عام ١٩٨١ تلقى الطبيب الباطني في مستشفى الصباح الدكتور عبدالرحمن السميّط (رحمه الله) تبرعاً من إحدى المحسنات الكويتيات

موضي السورزوجة الشيخ جابر الأؤمد (رؤمهما الله) تطلب إليه أن يبني لها مسؤءاً في بلد مؤتاج . فاختار السميؤ دولة ملاوي الواقعة في قارة إفريقيا لبناء المسؤ فيها . وفي ملاوي وفي أول زيارة له لبلد أفريقي كانت الصدمة التي غيرت حياته !! رأى الملايين من البشر يقتلهم الجوع والفقر والؤهل والمريض ، رأى الناس عراة لا يجدون ما يسترهم ، رأى الإمام لا يقرأ الفاتؤة ، ورأى المساجد صغيرة مبنية من القش الذي تنهشه الأبصار عند اشتداد جوعها . رأى قارة منسية تمامًا من ذاكرة المسلمين ، تسابق إليها المبشرون الأوروبيون ، فنشروا الكنائس والصلبان ، وؤؤلوا الآلاف بالمساعدات والمال إلى المسيؤية .

صدمة ؤولت السميؤ (رؤمه الله) من العمل الخيري المحلي المؤدود إلى العمل القاري المتنامي غير المؤدود . صدمة أشعلت حماسه ورفعت سقف طمؤؤه وعمله وصبره ، فراح يبني هنا ويدعو هناك ويؤبع ويؤزع ويؤفر وينفذ . صدمة أؤدته بعد توفيق الله ومنه وفضله وهدايته بوقود غير ناضب من الحراك الدعوي الذي استمر ثلاثين سنة في القارة السمراء أسلم خلالها ١١ مليون شخص ، بنى ٥٧٠٠ مسؤ ، وزع ٥١

مليون نسخة من المصحف الشريف و ٦٠٥ مليون كتاب إسلامي ، بنى ٨٤٠ مدرسة قرآنية ، ١٢٤ مستشفى ومستوصفاً ، ٨٦٠ مدرسة تعليمية ، أربع جامعات ، ٢٠٤ مركز إسلامي ، ٢٠٠ مركز لتدريب النساء على الأعمال الحرفية ، وكفالات بالآلاف لدعاة وطلاب علم وأيتام . متناسياً خلال هذا العمل الدعوي الضخم والممتد عبر تلك السنين كل آلامه وأمراضه . فرغم أنه يعاني مرض السكري وارتفاع الضغط والكوليسترول ونزفاً في الشبكية وآلام في الظهر والساقين وخشونة في الركبة وجلطات في الساق والقلب والمخ ، إلا إنه بعون الله وكرمه قد تسامى على جراحاته وصبر واحتسب واستمر في دعوته ونشاطه يجوب مدن إفريقيا وقراها شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً . يقول عبدالرحمن السمييط (رحمه الله) : أجريت لي ١٣ عملية جراحية ، ثلاث منها في القلب ، لكنني مجرد ما أجلس مع الأيتام أنسى تلك الأمراض والآلام .

يقول وضاح خنفر المدير السابق لقناة الجزيرة : مكثت في إفريقيا ١١ عاماً ، فما نزلت بلدة ولا قبيلة إلا وجدتهم يذكرون السمييط بالخير . ويقول الصحفي الكويتي المعروف فؤاد الهاشم عنه : ذهبت برفقته إلى

إفريقيا وشاهدت بنفسى إنجازاته التي تعجز عن تنفيذها حكومة دولة الكويت على أرضها . قال عنه بيل جيتس بعد وفاته : لم تسنح لي الفرصة اللقاء به ، غير أنني تمكنت في الأشهر القليلة الماضية من التعرف إلى هذا الرجل الاستثنائي والمميز .

نقطة التحول الثانية : الألم

شهد العام ١٩٤٧ التحاق الصبي البدوي علي بن إبراهيم في شركة النفط السعودية العملاقة أرامكو للعمل مراسلاً في أحد أقسامها براتب شهري مقداره ثلاثة ريالاً سعودي (أقل من دولار واحد) . في السنة نفسها وفي يوم من أيام صيف مدينة الظهران الحارة ، شعر المراسل الصغير ذو الـ ١٢ ربيعاً بالعطش الشديد ، فتوجه إلى برادة الماء يروي ظمأه ويطفئ ثورة عطشه . فما أن وقف أمامها بغترته البالية وبنطاله الرث ، حتى لمح أحد المهندسين الأمريكيين فنهره وطلب إليه مغادرة المكان ، فهذه البرادة مخصصة للمهندسين وليس للعمال البسطاء . شعر علي بن إبراهيم بالإهانة والألم ، وابتعد عن المكان وهو يحدث نفسه بإكمال دراسته والحصول على شهادة الهندسة . عمل مراسلاً ، ثم طباعاً ، ثم موظفاً في

الحسابات ، ثم جاءت الفرصة التي يرصدها عام ١٩٥٦ وعمره ٢١ عاماً .
 ففي ذلك العام اشترك في برنامج التدريب العالي للشركة وابتعث إلى
 الكلية الدولية في بيروت ، ثم الجامعة الأمريكية فيها ، ثم جامعة لاهاي
 بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة ، التي حصل منها عام ١٩٦٢ على
 شهادة البكالوريوس في الجيولوجيا . وفي عام ١٩٦٣ نال درجة الماجستير
 من جامعة ستانفورد بولاية كاليفورنيا في علم المياه الجوفية والجيولوجيا
 الاقتصادية . بعد عودة علي بن إبراهيم إلى السعودية عمل جيولوجياً في
 إدارة التنقيب حتى عام ١٩٦٧ ، ثم عين ناظراً لقسم الإنتاج عام ١٩٦٩ ، ثم
 نائباً لرئيس الإنتاج وحقق الماء عام ١٩٧٥ ، فرئيساً لفرع ما وراء البحار ،
 فنائباً أول للرئيس لشؤون عمليات الزيت ، ثم نائب الرئيس التنفيذي
 للأعمال ، ثم عُيِّن رئيساً لأرامكو عام ١٩٨٣ أول رئيس سعودي لها .

تلك كانت قصة علي بن إبراهيم النعيمي الذي أصبح بعد ذلك وزيراً
 للبترول والثروة المعدنية منذ العام ١٩٩٥ وحتى ٧ مايو ٢٠١٦ ، والسؤال
 بعد تلك القصة المختصرة : ما الذي أشعل طموح ذلك المراسل الصغير
 وجعله يتقد إصراراً وعزيمة لينتقل من قاع الوظائف إلى قممها ؟

ما الذي جعله يتصبر على هذه الرحلة الطويلة التي امتدت ٣٦ عاماً من عام ١٩٤٧ حتى بلوغه رئاسة أرامكو عام ١٩٨٣ ؟ الجواب هو الألم الذي شعر به من إهانة ذلك المهندس الذي طرده من أمام برادة الماء . فبعد رجوع النعيمي من أمريكا وتقلده لأحد المناصب التنفيذية الكبيرة ، دخل عليه ذلك المهندس الأمريكي وبيده طلب إجازة يريد توقيعه ، فلما دخل على النعيمي عرف كل منهم صاحبه ، فقال له النعيمي مواسياً : لا تظن أنني سأنتقم منك وأرفض توقيع إجازتك ، بل سأوقعها لك شكراً لك وامتناناً لفضلك ، فلولاً فضل الله عليّ وكرمه ثم إهانتك لبقيت مراسلاً بسيطاً خاملاً ، همُّ طعامه وكفاف يومه . كان ألم إهانتك شديداً أشعرتني بضرورة التغيير وألهمني الصبر والإصرار ، واستطاع أن ينتزعني من أرض الخمول ويعلوبي إلى آفاق الطموح .. فشكراً لك مرة ثانية .

قصة ثانية عن دور الألم في التغيير كما رواها الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٨ / ١٩٩) .. في الأندلس عام ٤١٠ هـ بعد أذان العصر ، يخرج وزير الدولة العامرية الشاب الشاعر علي بن أحمد بن سعيد من قصر أبيه في قرطبة ويدخل أحد مساجدها ليصلي الفرض فيه ، ثم يتجه

بعد ذلك إلى المقبرة ليشهد صلاة الجنازة على أحد المسلمين . دخل المسجد بعد أذان العصر فجلس ولم يصل تحية المسجد ، فقال له رجل في المسجد : قم فصل . فقام وصلى . فلما رجع الناس من صلاة الجنازة ، سار الوزير الشاب إلى المسجد نفسه ليصلي ركعتين نافلة فيه ، وكان الوقت لا يزال عصرًا لم تغرب الشمس بعد . فلما هم بالتكبير قال له رجل في المسجد : اجلس فليس هذا وقت صلاة ، هذا وقت كراهة . فانصرف حزينًا يشعر بخزي شديد من جهله ، هذا يقول له صلّ وذاك يقول له اجلس لا تصلّ . كيف لوزير مثله وابن وزير معروف ، بلغ من العمر ٢٦ عامًا لا يعرف مثل هذه الأحكام الفقهية عن الصلاة !! فخرج من فوره وعار الجهل يخنقه يقصد مؤدبه الأستاذ الذي رباه ، فلما لقيه قال له : دلني على دار الفقيه أبي عبدالله بن دحون . فلما التقى الفقيه ابن دحون وأعلمه بما جرى في المسجد والخجل والإحراج الذي أصابه من ذلك ، هوّن عليه الأمر ونصحه أن يبدأ بموطأ مالك . فبدأ يقرأ عند ابن دحون موطأ مالك ، ثم كتابًا آخر ، ثم كتابًا ثالثًا ، وهكذا تتابعت قراءاته ومذاكراته للكتب عند ابن دحون وغيره من العلماء حتى مضى على حاله تلك ثلاثة أعوام ، وبعدها .. لم يكتفِ بتحصيل الفقه وامتلاك أدواته ، بل بدأ يناظر العلماء .

والآن .. هل عرفتم من هو علي بن أحمد بن سعيد هذا ؟ إنه الإمام ابن حزم الأندلسي مجدد المذهب الظاهري ، أكبر علماء الأندلس وأكثر علماء الإسلام تصنيفاً وتأليفاً بعد الطبري ، الفقيه الحافظ المتكلم الأديب ذو المعارف والفنون صاحب التصانيف . من كتبه الإيصال والخصال والمجلى والمحلى ، نقل عن سلطان العلماء الشيخ العز بن عبد السلام قوله : ما طابت نفسي بالفتوى حتى اقتنيت المغني والمحلى . وقال العز أيضاً : ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم وكتاب المغني لابن قدامة . وزاد الذهبي معلقاً على قول العز بن عبد السلام : صدق الشيخ ، وثالثهما السنن الكبرى للبيهقي ورابعهما التمهيد لابن عبد البر ، فمن حصل هذه الدواوين وكان من أذكياء المفتين وأدمن المطالعة فيها فهو العالم حقاً (سير أعلام النبلاء ١٨ / ١٩٣) .

بذلك الألم الذي سببه حادث المسجد بدأت رحلة ابن حزم في طلب العلم ، ثم وصوله إلى تلك المكانة العلمية البارزة التي وصفها الذهبي مفصلة في كتابه سير أعلام النبلاء . ولعل قصة الإمام أبي جعفر الطحاوي (من أكبر علماء الحنفية) ، مع خاله أبي إبراهيم المزني

(من أبرز علماء الشافعية) التي ذكرتها في آخر صفحات كتابي " كيف أصبحوا عظماء " يمكن أيضاً أن تعكس تأثير الألم على التغيير الجاد الذي يطرأ على حياة الإنسان .

ولا يقتصر تأثير الألم في تغيير الأفراد ، بل يمكن أن يتجاوز ذلك حتى على مستوى الأمم . كانت اليابان منذ أواخر القرن التاسع عشر تحتل مكانة عظمى بين الدول . عام ١٨٩٥ هزمت الصين وأجبرتها على الاستسلام ، فانتزعت منها تايوان ، واضطرتها إلى دفع غرامات حرب لها ، وأجبرتها على فتح موانئها للسفن اليابانية . عام ١٩٠٤ فاجأت الأسطول الروسي وحاصرته في ميناء بورت آرثر في منشوريا وحطمتها في معركة تسوشيما عام ١٩٠٥ ، وحولته من ثالث قوة بحرية على العالم إلى سادس قوة بعد أن أغرق اليابانيون له ٢١ سفينة ، واستولوا على ٧ سفن ، وقتلوا وأسروا منه أكثر من ١٠ آلاف جندي روسي . وبعد هذه الهزيمة .. تنازلت روسيا لليابان عن النصف الجنوبي لجزيرة ساخالين الروسية (تقع قبالة الساحل الشرقي لسيبيريا وطولها ٩٧٠ كم) . كان الانتصار الياباني غير المتوقع كبيراً ، حيث إنها المرة الأولى في العصر

الحديث التي تنتصر فيها قوة آسيوية على قوة أوروبية عظمى ، وهو ما عزز مكانة اليابان بين دول العالم بوصفها قوة عظمى يحسب لها ألف حساب . لم يُوقف سطوة اليابان حدًّا ولا أحد ، بل إنها احتلت كوريا عام ١٩١٠ ، وساعدت حليفها بريطانيا على إنهاء الوجود الألماني في الصين ومهاجمة أسطولها خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) . احتلت عام ١٩٣١ الإقليم الشمالي للصين المعروف بمنشوريا (المنطقة الغنية بمواردها الطبيعية ولاسيما الحديد والفضة) ، واجتاحت الصين بأكملها عام ١٩٣٧ (الجميلي ، ٢٠١٤) .. فيا لها من قوة عالمية عظمى .

بعد هذا النفوذ وبعد هذه السطوة والمكانة العالمية .. كانت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) التي كانت اليابان طرفاً فيها مع ألمانيا وإيطاليا (دول المحور) ضد بريطانيا وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفيتي (قوات الحلفاء) . كانت خسائر اليابان في هذه الحرب فادحة جداً : في ليلة واحدة فقط ١٢ مارس ١٩٤٤ قامت الطائرات الأمريكية بإحراق مدينة طوكيو العاصمة وقتلت من سكانها ١٠٠ ألف شخص ، في شهر مارس ١٩٤٥ احتلت القوات الأمريكية جزيرة أوكيناوا (أقصى محافظة يابانية جنوبية)

وخسرت اليابان فيها ١٨٥ ألفاً من العسكريين والمدنيين ، والكارثة الكبرى هي إلقاء القنابل الذرية على مدينتي هيروشيما وناجازاكي . ففي السادس من أغسطس عام ١٩٤٥ عند الساعة ٨:١٥ صباحاً ألقت طائرة أمريكية من طراز بي ٢٩ القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما التي أحدثت انفجاراً يعادل ١٣ ألف طن من مادة " تي إن تي " ، قطر كرة ناره اتسعت إلى ٣٧٠ متر . قتل الانفجار في لحظاته الأولى ٦٦ ألف شخص ، بعضهم تبخر من شدة الحرارة التي بلغت ٦٠٠٠ درجة مئوية في نقطة الانفجار التي أذابت الصخور والمعادن بعضها على بعض (ينصهر الحديد عند ١٥٣٨ درجة مئوية) . إضافة إلى ٦٩ ألفاً من الجرحى والمشوهين . بعض من نجا من الانفجار في لحظاته الأولى لا تعرف من أطرافه المبتورة وجلده الذي يتدلى من وجهه وأطرافه إن كان هذا وجهه أو قفاه . كانت الناس مصدومة مفزوعة تتهاذى في الطرقات كأشباح محروقة لا ملامح لها . لا يوجد أي كائن يتنفس على قطر ٣,٥ كم من نقطة الانفجار ، ونسبة الدمار في المباني التي أصبحت كطبعة أو ظل على الأرض أكثر من ٩٠ ٪ . مع نهاية العام ١٩٤٥ ارتفع عدد القتلى إلى ١٤٠ ألفاً ، ثم ٢٠٠ ألف قتيل في نهاية ١٩٥٠ ، وذلك بسبب الأمراض السرطانية التي سببتها القنبلة الذرية وإشعاعاتها القاتلة على هيروشيما .

بعد ثلاثة أيام .. وقبل أن تستفيق اليابان من كابوس هيروشيما ، أسقطت أمريكا في صباح التاسع من أغسطس القنبلة الذرية الثانية على مدينة ناجازاكي التي أحدثت انفجاراً فاق انفجار هيروشيما يعادل ٢١ ألف طن من مادة " تي إن تي " ، وصل عدد ضحاياه في يومه الأول إلى ٧٥ ألف قتيل . ولولا كثرة التلال التي تحيط بمدينة ناجازاكي وعدم انبساط أرضها مثل هيروشيما ، لكان الضحايا أكثر بكثير من هذا الرقم . في اليوم العاشر من أغسطس أعلنت اليابان استسلامها للحلفاء مخلفة وراءها أكثر من ثلاثة ملايين قتيل ، أعداداً لا تحصى من الجرحى والمشوهين ، الآلاف بلا مأوى ولا ملجأ ، ومدن ومزارع ومحاصيل مدمرة دماراً كاملاً أو شبه كامل (الجميل ، ٢٠١٤) .

كان الألم والانكسار الذي شعرت به اليابان لا يوصف .. ألماً من الاستسلام المذل وفقدان قوتها التي استمرت عقوداً استطاعت من خلالها في يوم من الأيام احتلال كوريا والصين ومنغوليا وفيتنام ولاوس وكمبوديا وماليزيا وإندونيسيا وتايلند ، وألماً من تدمير بنيتها التحتية وقتل وتشويه الملايين من شعبها . ألماً ومصائباً جلاً يمكن لليابان وبكل سهولة أن تتخذه

عذراً مقبولاً لاستسلام طويل ، ومسوغاً منطقياً لقبول تخلف تعليمي واقتصادي ممتد لدهور . لكن اليابان لم تفعل ذلك ، ولم تسلك سلوك الفاشلين في التبذير ، بل قررت أن يكون ذلك الأثم هو محركها الرئيس للتغيير ، والسبب الفعال لاستنهاض الإرادة والإصرار من نفوس شعبها وشبابه . فكرت اليابان تفكيراً إستراتيجياً تسامى على الخراب والدمار الحالي الذي حل بها ، وتخيّل المستقبل المنشود الذي تريد العيش به ورسمه وتحقيقه للأجيال . وقد ذكرت تلك الرؤية الواضحة التي حددها القادة اليابانيون لشعبهم مفصلة في كتابي " كيف أصبحوا عظماء " .

على المستوى الاقتصادي .. عادت هيروشيما إلى ما كانت عليه اقتصادياً قبل سقوط القنبلة النووية خلال ١٠ سنوات فقط (الجميلي ، ٢٠١٤) . يقول ايسامو ميدازاكي رئيس معهد دايوان للأبحاث الأمنية : بحلول عام ١٩٥٥ تجاوز الاقتصاد الياباني مستويات ما قبل الحرب ، ثم حقق نمواً قدره ١٠ ٪ بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٦٧ أسرع بثلاث مرات من الاقتصاد الأمريكي . ثم استمر النمو الاقتصادي في التصاعد حتى أصبح في المرتبة الثانية على العالم (كاتو ، ١٩٩٩ ؛ الجميلي ، ٢٠١٤) . يقول أستاذ

الاجتماع في جامعة تسوكوبا (أحد مؤلفي كتاب خفايا المعجزة اليابانية) :
 لا شك أنَّ الشباب الياباني قد قرأ كتابين مؤثرين وهما " مساعدة الذات "
 لساموئيل سمايلز ، وكتاب " الحض على التعليم " للفيلسوف والمربي
 الياباني يوكيتشي فوكوزاوا . فبتشجيع من مثل هذه النوعية من الكتب
 جَهِدَ اليابانيون أنفسهم في إتقان روح الكد والإصرار والطموح التي كانت
 وراء قوة اليابان وحضارتها (كاتو ، ١٩٩٩) .

بعد خمسة أيام من استسلام اليابان .. كتبت صحيفة أساهي ، وهي
 من كبريات الصحف اليابانية : إيمان اليابان المفرط بالقوة العسكرية كان
 خطأً فادحاً على المجالين الداخلي والخارجي ، ويجب أن تكون سياساتنا
 من اليوم وصاعداً متأصلة على التعاون الدولي وحب السلام . ثم كتبت
 صحيفة اليوميري - هوتشي بعد عشرة أيام من الاستسلام : يجب أن
 يكون هناك إيمان قاطع بأن الهزيمة العسكرية ليس لها علاقة بقيم
 المجتمع . إنَّ الهزيمة العسكرية يجب أن تكون نقطة انطلاق للارتقاء
 بأفكار اليابانيين وإزالة الأفكار غير المنطقية التي غلظت الفكر الياباني
 بالاستفادة من التحليل الموضوعي ، والتحلي بالشجاعة لمواجهة الهزيمة

والاعتراف بها . لذلك توجهت اليابان إلى إنماء القطاع الاقتصادي المدني بدلاً من القطاع العسكري ومؤسساته . لقد أنفقت اليابان عام ١٩٣٨ نحو ١٦ % من الناتج القومي على القطاع العسكري ، في حين أنها بعد الحرب لم يتجاوز الإنفاق العسكري الـ ١ % (الجميلي ، ٢٠١٤) .

على المستوى التعليمي والثقافي .. كانت نسبة الطلبة اليابانيين الذين يواصلون تعليمهم الثانوي قبل الحرب العالمية الثانية ١٨ % ، أما بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٥٥ فارتفعت إلى ٥٠ % ، ثم إلى ٧٠ % سنة ١٩٦٥ ، ثم إلى ٩٠ % سنة ١٩٧٥ . وهذه السرعة في التغيير تُعدُّ كبيرة بموازنتها مع أمريكا حيث تطلب الانتقال من نسبة ٥٠ % إلى نسبة ٩٠ % لمن يواصلون تعليمهم الثانوي ٤٠ سنة (كاتو ، ١٩٩٩) . اليوم وصل عدد جامعات اليابان وكلياتها أكثر من ٨٠٠ جامعة (نظام أربع سنوات وست) ، مسجل فيها نحو ثلاثة ملايين طالب . في مدينة كيوتو اليابانية البالغ سكانها مليوناً ونصف المليون (المدينة السادسة من حيث تعداد السكان) التي يفتخر أهلها بأن جامعاتهم فاز منها ستة علماء بجائزة نوبل في العلوم ، هناك ٣٨ جامعة حكومية وخاصة ، عدا

الكلديات المتوسطة والمعاهد الفنية والتقنية (مطبّقاني ، ٢٠١١) . توجد مكتبة في اليابان للمكفوفين فيها ٧٠ ألف كتاب بما فيها القرآن الكريم بلغة برايل (الشقيري ، ٢٠١١) .

نقطة التحول الثالثة : إشباع حاجة

نحن جميعاً مدمنون حاجات ولدينا توق وسعي دائم لإشباعها لتحقيق حال مثلى من التوازن الداخلي . فوفقاً لنظرية الاختيار أو مدرسة العلاج الواقعي (إحدى أشهر مدارس الإرشاد النفسي) التي أسسها الدكتور وليام جلاسر فإن سلوك الإنسان المعقد منه والبسيط هو سلوك هادف مدفوع لإشباع خمس حاجات : حاجات البقاء (الأكل والشرب والجنس والسلامة البدنية) ، حاجة الانتماء ، حاجة القوة ، حاجة الحرية ، وحاجة الترويح . ولا يرتاح الإنسان ولا يسكن حتى يحققها ويعيد لعالمه الداخلي توازنه وشبعه . وعدم تحقق تلك الحاجات سيتسبب في توتر الإنسان وإحباطه وتوليده سلوكيات ملحة (ربما تكون بناءة أو مدمرة) هدفها إشباع حاجاته وإنقاص توتره وإحباطه . وتنوع سلوك الإنسان وابتكاره وإبداعه هو انعكاس لإلحاح تلك

الحاجات، فالاختراعات البشرية جميعها هي ثمرة إلحاح الحاجة بعد اصطدامها بعائق أو عوائق، ولذا قيل الحاجة أم الاختراع (الخليفي، ٢٠١١؛ بشير، ٢٠٠٥؛ بشير، ٢٠٠٨؛ جلاسر، ٢٠١٠؛ جلاسر، ٢٠١٣؛ هول، ٢٠٠٩).

كان غاندي واسمه الحقيقي موهانداس (١٨٦٩ - ١٩٤٨) تلميذاً عادياً خجولاً يخشى مرافقة الناس والحديث معهم، جبناً يخشى الأشباح والأفاعي والظلام، لكنه تحول بعد ذلك إلى قائد قوي ملهم مؤثر سار خلفه الهنود بدياناتهم وانتماءاتهم جميعها.. فما سر هذا التحول في شخصية هذا الزعيم ؟؟

بعد أن أنهى غاندي دراسة المحاماة في بريطانيا وعاد إلى الهند ممارساً عمله محامياً في المحاكم، طلب إليه أحد التجار الهنود متابعة قضية له في جنوب أفريقيا. رحل غاندي إلى هناك عام ١٨٩٣ وعمره ٢٤ عاماً حيث صدمته التفرقة العنصرية والمعاملة والظلم الذي يشعر به الهنود، والقهر والامتهان الذي يمارسه البيض ضدهم.

فالهنود يعاملون مواطنين من الدرجة الثانية من دون حقوق ولا حريات ، ولا ينادون إلا بالأجراء (Coolie) وهي كلمة هندية الأصل معناها حمّال أو شيّال . وكانت الكلمة تشمل الهنود جميعاً بلا تمييز بين الأقدار والمهن . لقد عانى غاندي شخصياً تلك التفرقة العنصرية ، فعند ذهابه إلى إحدى المحاكم وهو يرتدي العمامة الهندية أمره القاضي أن يخلعها وإلا لن يسمح له بالمرافعة ، فرفض وغادر المحكمة (كانت هذه الحادثة من أسباب شهرة غاندي) . وفي مرة سافر بالقطار على الدرجة الأولى التي لم يكن مسموحاً لغير البيض بالسفر عليها ، فلم يعجب البيض ذلك واستعانوا بمفتش التذاكر لطرده وجره إلى مقاعد الدرجة الثالثة ، فلما رفض المغادرة ، رُمي من القطار هو وأمتعته . يقول غاندي عن تلك الليلة : كنا في فصل الشتاء والجو قارس البرودة ، كنت أرتجف طوال الليل وأنا أنتظر القطار التالي ، وحين وصل صعدت طبعاً إلى الدرجة الثالثة . وفي الفندق يُمنع من حجز غرفة له ويُطرد ، والكثير من أشكال الإذلال والتفرقة العنصرية التي ولّدت بداخله إصراراً على رفع الظلم والقهر عن المظلومين ، وإشباع حاجة ناقصة له ولأبناء شعبه ، وهي الحرية .

نجح غاندي في إنهاء قضية موكله في شهر، لكن الهنود طالّبوه بالبقاء كي يدافع عن حقوقهم، فجلس في جنوب إفريقيا ثلاث سنوات، ثم رجع منتصف سنة ١٨٩٦ إلى الهند لينقل إليها ما رآه من الظلم في جنوب إفريقيا عبر الصحافة والمنابر الخطابية. فكانت لخطبه ومقالاته صدى قوي في العالم أزعج البيض في جنوب إفريقيا. ولذلك عند عودته بعد شهر إلى جنوب إفريقيا، وبمجرد أن نزل من السفينة حتى قذف بالحجارة والبيض ثم ضرب ضرباً مبرحاً، ولولا لطف الله بتدخل سيدة إنجليزية زوجها يعمل في الشرطة لاغتاله المتظاهرون ذلك اليوم. عاش غاندي في جنوب إفريقيا نحو ١٥ عاماً، واجه فيها الضرب والإهانة والسجن، لكنه ظل يرفض القوانين الجائرة بالعصيان المتّسم بالحب والهدوء!! يقول غاندي: أدرك تماماً صعوبة نبذ العنف في عالم لا يحكمه إلا العنف، لكن اللجوء إلى العنف خطأ سياسي فادح، فالوسائل الجائرة وغير العادلة لا تفرز عدلاً أبداً. لا بد من اللجوء إلى وسائل القوة غير العنيفة مثل الخطب والخطابات والمقالات والمسيرات، وقبول ثقافة الاعتقال والتعذيب والسجن الانفرادي، والصبر على كل ألوان الأذى وتحملها من دون أي رد عنيف عليها. كان علينا أن نظهر لمن هم في السلطة أننا أصحاب قضية يجب الانتباه إليها، وأننا

عازمون على الانتصار بهذا العصيان السلمي مهما كان مستوى القمع ومهما كانت التضحيات التي نقدمها . لذلك اتخذت كلمة " ساتيا جراها " شعاراً لنا ، وهي كلمة من النصوص الهندوسية تعني : اقبض بنواؤك على الحقيقة التي تؤمن بها (أتارد و كاباسا ، ٢٠٠٨ ؛ الشامي ، ٢٠١٢) .

وقفت حكومة البيض بأؤهزتها البوليسية في جنوب إفريقيا حائرة عاجزة أمام هذه الثورة السلمية العنيدة ، فنجحت سياسة غاندي وتحسنت حياة الهند هناك ، مما جعل صيته يصل إلى الهند الذين يرزحون تحت استعمار الإنجليز في بلده الهند . عاد غاندي إلى الهند عام ١٩١٤ مع بداية الحرب العالمية الأولى ، واختاره الهند زعيماً لهم وأطلقوا عليه لقب المهاتما وتعني الروح العظيمة . حدد غاندي لأتباعه أربعة مبادئ : أن يقولوا الصدق دائماً ، ألا يأكلوا إلا القدر الضروري من الطعام ، ألا يمتلكوا شيئاً لا ضرورة له ، ألا يحاربوا أو يكرهوا الناس الآخرين (الشامي ، ٢٠١٢) .

بدأ غاندي يكتب المقالات الملهبة ضد الحكومة الإنجليزية التي أرادت أن تكون الهند مزرعة لهم ، وعصى قانون الإنجليز الذي يمنع صناعة الملح لإجبار

الناس على شرائه من الحكومة وأتباعها . فسار بأتباعه من مدينة أحمد آباد إلى البحر مشياً مدة ثلاثة أسابيع ، قطع خلالها مسافة ٣٣٠ كم للوصول إلى شاطئ ذلك البحر . تابع العالم مسيرة الملح يوماً بيوم لحظة بلحظة ، والجماهير الهندية تخرج من قراها تهتف لغاندي أو تنضم لأتباعه ، حتى وصلت الجماهير إلى البحر ، وصنع غاندي بنفسه حفنة من الملح ، معلناً بهذه الحفنة عصيانه لقوانين الإنجليز الجائرة وبداية كفاحه الحقيقي من أجل استقلال الهند . وقفت إنجلترا في طريق استقلال الهند واستخدمت في ذلك البطش والتنكيل ، كما حدث في ميدان مدينة أمريتسار عندما حصد رصاص الإنجليز ودباباتهم أرواح ٤٠٠ شخص أعزل كانوا قد تجمعوا في الميدان احتجاجاً على قانون منع التجمعات العامة . وبرغم كل ذلك بقي غاندي مستمراً في سياسته السلمية ومقابلة العنف بالحب . فأصبح الإنجليز في غاية الاستياء من سياسته التي بارت بها بضائعهم ، وكشفت للعالم طغيانهم ووقوعهم الدائم في فخ المخالفة لحقوق الإنسان ، فاضطروا تحت ظروف هذا الكساد والإحراج إلى إعلان استقلال الهند عام ١٩٤٧ (أتارد وكاباسا ، ٢٠٠٨ ؛ الشامي ، ٢٠١٢) . لقد كانت الحرية حاجة ملحة جداً في نفس غاندي تحمّل لأجلها القمع والحرمان والآلام ، وصنعت منه رمزاً للزعامة والصبر والإلهام .

وهكذا كان تأثير نقص الحاجات في شخصية عنتره بن شداد ، وانتقاله بسببها من طبقة العبيد الرعاة إلى ثلة الفرسان المعدودين !! فشجاعته وإقدامه في الحرب والطعن ما كان إلا لإشباع حاجتين أساسيتين في نفسه : الحرية والانتماء . إنكار شداد لأبوته ونسبه لأمه الجارية السوداء أشعره بأنه نكرة لا قيمة له ، لا انتماء ولا نسب ولا حسب ، حاله كحال بقية عبيد بني عبس ورعيانهم . وهذا تسبب في رفع سقف توتره وإحباطه وتذمره ، وبحثه عن شيء يوارى به نسبه من جهة أمه وينال به اعتراف شداد بأبوته وانتمائه لقبيلة بني عبس وفرسانها وأسيادها ، لذلك امتلك عنتره قلب أسد ، فصال وجال في الحرب والنزال ، وحمى سائر نسبه بالسيف والطعان . قال عنتره :

إني امرؤ من خير عبس منصبا شطري وأحمي سائري بالمنصل

فشطره أي نسبه من جهة أبيه خير نسب ، فأبوه شداد هو أمير الحرب في عبس ، أما سائره أي شطره الآخر (نسبه من جهة أمه الجارية السوداء) فإن الشجاعة والإقدام كفضيلة بتورية هذا العيب .. فكانت تلك السيرة في الشجاعة وتلك المعلقة الشعرية الخالدة التي علقت في صدور الناس .

ويبدو أنَّ التوتر المصاحب للحاجات غير المشبعة نافع جداً لصاحبه في إعطائه جرعة من النشاط والإصرار والإبداع في بحثه عن إشباع تلك الحاجات ، مكتسباً من ذلك التركيز على الفرص وقوة البأس والمقاومة وعدم اليأس . وهذا ربما يفسر لماذا ٨٠ ٪ من أثرياء العالم هم من العصاميين الذين صنعوا ثرواتهم بأنفسهم . فالحاجة إلى المال وإشباع حاجة التقدير والترويج جعلتهم في يقظة مركزة نحو فرص الثراء من حولهم ، وجعلتهم في ديناميكية مستمرة لتطوير مهاراتهم وعلاقاتهم ومعلوماتهم . ولذلك ينصح الآباء بأن يدركوا أهمية فيتامين لام لأبنائهم ويمنحوه إياهم !! فيتامين لام هو كلمة " لا " التي يجب أن يعتاد الآباء قولها لأبنائهم كرسالة واضحة بأن ليس كل ما يطلبه الأبناء سَيُنْفَذ ، لا بد من الحرمان الحميد . إنَّ الحرص على الإشباع الدائم لحاجات الأبناء سَيُخَفِّض توترهم ، وهذا يعني أنهم سيصبحون مستقبلاً أقل حيلة وذكاء ومهارة ، وأكثر كسلاً وبلادة وأنانية ، كما إنهم لا يكثرثون بما يملكونه من مقتنيات فهم في توقع دائم للمزيد من الهدايا والعطايا والدلال . إنَّ إشباع الحاجات الدائم سيصيب الأبناء بنوع خاص من الإدمان اسمه طلب الأشياء في مقابل لا شيء ، فيجعلهم

أكثر تطفلاً وأكثر اعتماداً وعالة على الآخرين . لقد أخفض الإشباع الدائم توترهم الذي هو سر تألقهم وحيويتهم ، وسر سعيهم الحثيث نحو تحقيق الإنجازات والنجاحات وصيد الفرص الثمينة المتوافرة . تذكر أن قول " لا " ربما يعصر قلبك ودموعك في حينها على أبنائك .. لكنه يمنحك ويمنحهم ضحكة تدوم طوال العمر .

حوالي ثلاثة أرباع مساحة اليابان غابات جبلية لا تصلح للزراعة ، لذلك اكتظ السكان البالغ عددهم ١٣٠ مليوناً على طول شواطئها الممتدة على المحيط الهادي ، فأصبح السمك طعاماً رئيساً لليابانيين وأصبحت صناعة صيده من الصناعات المهمة والنشطة جداً فيها . فاليابانيون يصطادون نحو ١٥ ٪ من الثروة السمكية في العالم في المرتبة الثانية بعد الصينيين . قبل عقود مضت .. شحّت الأسماك في شواطئ اليابان ولا يوجد ما يكفي من الأسماك للأسواق المحلية ولطلب الناس ، فصنعت شركات صيد الأسماك سفناً كبيرة تبحر إلى مناطق أبعد وتصيد كمية أكبر . لكن المشكلة أنّ هذه السفن تحتاج إلى أيام عدة حتى تعود إلى الشواطئ لبيع السمك غير الطازج الذي عافه المستهلك الياباني

ولم يستسغ طعمه . وللتغلب على هذه المشكلة زودت السفن بمجمدات تحفظ السمك من التلف وتحافظ على مظهره لحين عودة تلك السفن من مسافاتها البعيدة . لكن أيضاً لم يعجب المستهلك الياباني الذي يستطيع تمييز طعم السمك الطازج من السمك المجمد . هذه المرة جاء الحل مُبتكراً ، فقد زُوِّدَت السفن بأحواض مائية تبقي السمك حياً حتى عودتها إلى الشواطئ وبيع السمك طازجاً كأنه صيد اللحظة . لكن الصيادين لاحظوا أن المستهلك ما زال يحجم عن شراء أسماكهم ! ما زال هناك مذاق مختلف بين السمك الطازج وسمك الأحواض .. لماذا حدث هذا الاختلاف ؟! عند وضع السمك في الأحواض ، فإنه بعد فترة يقل نشاطه ويفتر وتباطأ حركته ، وهو ما جعل المتذوق الياباني يكتشف هذا ويعرف أن هذه سمكة بحر طازجة وتلك سمكة حوض .. فما العمل ؟ وضع الصيادون في كل حوض للأسماك سمكة قرش صغيرة ، تتغذي على بعض أسماك الحوض وتبعث الرعب والحيوية بالأسماك الباقية وكأنها في بيئة طبيعية فيها المفترس والفريسة ، مما جعل الأسماك في توتر شديد دفعها للحراك والنشاط الدائم ، فكان ذلك الطعم الذي أَرْضَى المستهلك الياباني صاحب المذاق الصعب .

أريدك أن تدرك أيها المتعلم من هذه القصة .. أنَّ التوتّر لا يقتصر أثره في تغيير كيمياء الجسم واتزانه وحيوية خلاياه وأنسجته ، بل إنه يتجاوز ذلك بكثير . إنَّ وجود درجة معقولة من التوتّر في حياتك يجعلك أكثر تركيزاً وبقظة وسعيًا وطموحًا ، وأكثر دأبًا وحيلة وإبداعًا . إنه ترياقك ضد اليأس والخمول والتسويف وعدم المبالاة ، وريحك القوية التي تدفعك إلى التقدم والإقدام والمغامرة .

نقطة التحول الرابعة : التشجيع

كان التشجيع وما زال الأداة الفاعلة للتغيير والتطوير ، والصوت اللازم للبناء واستنهاض الهمم والأمم ، والحدث الفارق الأهم في حياة الكثير من العظماء والعلماء . الأسد يتظاهر بالألم فيزأر ويتلوى وشبله الصغير يعض ذيله ، يبني ثقته في نفسه ويشجعه على الافتراس والاعتماد على نفسه . الطيور تقف عند فراخها تدفعها من أعالي الجبال تنزع الخوف من قلوبها وتشجعها على الطيران والاستقلال عنها . الطبول تقرع في الحروب تشجع المقاتلين على الاستبسال والصمود ، جماهير كرة القدم يسميها البعض اللاعبين الثاني عشر لأهميتها في بث روح الحماسة وتشجيع اللاعبين على الفوز والتسجيل .

عندما جاءت لحظة مناصحة فرعون ومواجهته بالحق والرسالة، شكى موسى وهارون ﷺ لله تعالى خوفهما من فتك فرعون وغدره ، فكان التشجيع ﴿ لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴾ طه ٤٦ . عندما نَسِدُ كتائب الأعداء ومقاتليهم الأفق ويتسلل خوف الهزيمة إلى بعض المؤمنين ، يكون التشجيع الإلهي أيضًا حاضرًا ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴾ البقرة ٢٤٩ ، وقال تعالى ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفًا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ الأنفال ٦٥ ، وقال تعالى ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تأمنون فإنهم يأمنون كما تأمنون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً ﴾ النساء ١٠٤ . عندما خاف الصديق ﷺ على صاحبه في الغار ، كان التشجيع من النبي ﷺ سريعاً ومريحاً : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما . متفق عليه واللفظ لمسلم .

لم يتفرض الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) لطلب العلم منذ نعومة أظفاره وإنما كان يتردد على السوق للبيع والشراء ، حتى نصحه الإمام المحدث عامر الشعبي (رحمه الله) ورَغَّبَهُ في طلب العلم . فقد قال الشعبي له مرة :

عليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء ، فإنني أرى فيك يقظة وحركة . قال أبو حنيفة : فوقع قوله في قلبي وتركت الاختلاف إلى السوق وأخذت في طلب العلم ، فنفعني الله بقوله (المكي ، ١٩٠٣ ؛ الهيثمي ، ١٩٨٣) . وأشار الحافظ الذهبي - إمام الحديث وإمام الجرح والتعديل - أن سبب اجتهاده في العلم هو كلمات تشجيع سمعها من شيخه القاسم بن محمد البرزالي . قال الذهبي : البرزالي هو الذي حُبب إليَّ علم الحديث فقد قال لي مرة : " خطك يشبه خط المحدثين " . فأثر قوله فيَّ وسعيتُ في الطلب والتحصيل (ابن الملقن ، ١٩٩٠ ؛ السدحان ، ١٩٩٩ ؛ العسقلاني ، ١٩٩٣) .

قال الشيخ علي الطنطاوي (رحمه الله) في كتابه (فكر ومباحث) : إن التشجيع يفتح باباً للعبقريات المخبوءة حتى تَظْهَر وتُثْمِر وتُؤْتِي أَكْثَلَهَا ، وَرُبَّ وَلَدٍ مِنْ أَوْلَادِ الصَّنَاعِ أَوْ التَّجَارِ يَكُونُ إِذَا شُجِّعَ وَأُخِذَ بِيَدِهِ صَارَ عَالِماً مِنْ أَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ أَوْ أَدِيباً مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْبَاءِ . ومن هذا الباب قصة الشيخ علي كزير الذي كان خياطاً في سوق المسكية عند باب الجامع الأموي . كان إذا فرغ من عمله ذهب وجلس في الحلقة التي تحت القبة فاستمع إلى الشيخ حتى يقوم فليحق به فيخدمه . وكان الشيخ يعطف عليه

ويشجعه ويحثه على القراءة ، حتى صار معيداً يقرأ بين يدي الشيخ في الحلقة ، ولبت على ذلك أمداً . فلما مات الشيخ وحضر الوالي والأعيان درس المدرس الجديد لم يجدوا المعيد ، ففتشوا عنه فإذا هو في دكانه يخيظ ، فجأؤوا به فقرأ الدرس وشرحه شرحاً أعجب به الحاضرون وطربوا له . فعُيِّنَ مدرساً ولبت ١٥ عاماً يدرس تحت قبة النسّر ، وبقيت الخطبة في أحفاده إلى اليوم .

ويحكي الطنطاوي (رحمه الله) في الكتاب نفسه قصة عن نفسه فيقول :
 عندما كنت طالباً في المدرسة كنت آخذ أبياتاً قديمة فأغير قوافيها وأبدل كلماتها وأدعيها لنفسِي . كنت أنظم أبياتاً من الشعر أو أسرقها كما ينظم كل مبتدئ ويسرق ، حتى اجتمع عندي كثير من القطع ، فعرضتها على أستاذ العربية وكان تركياً اسمه إسماعيل حقي أفندي ، يعلمنا النحو العربي . فلما قرأ شعري الذي كتبت سخر مني وسبني وتهكم علي . وجاء من بعد أخي أنور العطار الذي كان ينظم كما كنت أنظم ، حتى إذا اجتمع عنده كثير من القطع عرضه على الأستاذ محمد كرد علي بك - رئيس المجمع العلمي العربي - فأقام له حفلة تكريمية ١١ . فكانت النتيجة

أنني عجزت عن الشعر، حتى لنقل البحر بقمي أهون علي من نظم خمسة أبيات، وأن أخى أنور العطار غداً شاعر الشباب السوري (الطنطاوي، ١٩٨٨).

سمعت الممثل الكويتي أحمد الصالح (رحمه الله) في مقابلة له في تلفزيون الكويت مع الشاعر بدر بورسلي (برنامج حنين) وهو يتحدث عن أيام دراسته في المعهد الديني يقول: في الصف الأول الثانوي كان الذي يعلمنا الفقه أستاذاً مصرياً اسمه محفوظ، وكان يناديني دائماً "يا مُتْعَب" لشقاوتي في الفصل. ولأن زميلي الذي يجلس بجانبني وهو أحمد سليمان الرومي (رحمه الله) كان سريع الضحك، يظن الأستاذ محفوظ أنني المتسبب في ضحكه عن عمد حتى أضيع وقت الدرس وأصرف انتباه الطلاب عن شرحه، ولذلك قابلني بنفرة وصد، وحظيت منه بذلك النداء وذلك اللقب "يا مُتْعَب". حتى جاء اليوم الذي عرض على اللوح مسألة في المواريث وقال للطلاب متحدياً: من يحل هذه المسألة؟ فعجز الطلاب جميعهم عن حلها، أما أنا فأخذت الورقة والقلم وأخذت أجمع وأطرح وأقسم وأضرب حتى أتممت المسألة وأجبت عنها كاملة. قدمت الحل للأستاذ محفوظ الذي قرأه بتمعن وحرص ثم نظر إليّ مبتسماً وهو يقول: يا سلام.. إجابة

صحيحة يا أحمد ، ومن هذا اليوم لن أسمىك يا متعب ، بل سأسمىك " أبو المواريث " . ومن ذلك اليوم وذلك اللقب والوسام الذي شرفني به الأستاذ صرت منضبطًا جادًا ، لا يرى مني إلا ما يعجبه ويرضيه .

تظهر الأبحاث كما سيقول لك أي مدرس ، أن التشجيع لا يؤدي فقط إلى تحقيق نتائج أفضل في أعمال الطالب المدرسية وإلى تحسين سلوكه ، بل كذلك يجعل الرحلة الدراسية رحلة أسعد وأكثر توفيرًا لمشاعر الرضا وتحقيق الذات (مارتين ، ٢٠٠٥) . وإن الإبداع الذي يملكه كل أحد لا يظهر ولا يتنامى إلا بالتشجيع والرعاية التي تعزز الثقة والاستقلالية ، وهما عنصران مهمان في مساعدة الطلاب على الإبداع والنبوغ (فراير ، ١٩٩٦) . قال باراك أوباما في كتابه (جراحة الأمل) : أظهرت الدراسات التي أجريت حديثاً أن أهم عامل في تحديد إنجاز الطالب ليس لون بشرته أو من أين أتى ، بل من علّمه ودّرّسه .

يروى وزير التربية السعودي السابق الدكتور محمد الرشيد قصة سمعها من معلم يعرفه اسمه عوض الزايدي ، يقول فيها هذا المعلم :

حين كلفت بتدريس مادة القرآن الكريم للصف الثالث الابتدائي ، طلبت إلى كل تلميذ أن يقرأ لأعرف مستواهم . فلما وصل الدور إلى أحدهم وكان قابلاً في آخر زاوية في الصف ، قال الجميع بصوت واحد : ما يعرف يقرأ يا أستاذ ، ما يعرف . آلمني الكلام وأوجعني منظر الطفل الذي احمر وجهه . دق الجرس وخرج التلاميذ للفسحة وبقيت مع هذا الطفل أناقشه لعلني أساعده ، فأتضح لي أنه محبط وغير واثق من قدراته حتى هانت عليه نفسه . اطلعت على ملفه وعرفت أنه من أسرة ميسورة مستقرة ويعيش مع أبيه وأمه وأخوته . فاستنتجت أن الدمار النفسي الذي يعانيه سببه تراكم إحباطات وإحراجات داخل المدرسة مصدرها زملاؤه ومعلموه . عندها فكرت جدياً في انتشار هذا الطفل مما هو فيه ، فغيرت مكانه وأجلسته أمامي في الصف الأول ، وقررت أن أعطي هذا التلميذ تميزاً يتحدى به الجميع ، لعل الثقة التي افتقدتها تعود إليه . كتبت له جملة صعبة النطق وأفهمته معاني كلماتها حتى يتخيلها ويسهل عليه حفظها . قلت له احفظ هذه الجملة ولا يطلع عليها أحد من أسرتك ولا من زملائك ، وراجعتها معه مرات خلصة عن أعين التلاميذ .

في أحد الأيام قلت للتلاميذ : عندي لكم قصة جديدة . فسردت عليهم قصة من خيالي من أجل أن أدخل فيها الجملة الصعبة التي حفظها ذلك الطالب وفهمها . قلت لهم : إنَّ هناك جماعة يقال لهم القراقبة يذبحون البقر ، وكان عند علي القرقي بقرة يربطها أمام باب بيته في القرية ، كانت أكبر وأسمن بقرة في القرية كلها . كان الكل يتمنى أن يأتي الحج ويذبح علي القرقي بقرته ليشربوا من مرقها ويأكلوا من لحمها . لكن المشكلة أنَّ أهل القرية عندهم عادة هي أنهم إذا ذبحوا الأضاحي يطبخون رقابها ، ويضعون المرق في أوان تجمع في المكان الذي يتعايدون فيه . فدخل الشباب وأخذوا يتذوقون المرق من كل إناء ، فصاح أحدهم مفتخراً بذكائه : عرفتُها ، عرفتُها !! فقالوا له : ماذا عرفت ؟ قال : أنا عرفت مرققة رقبة بقرة علي القرقي من بين مراق رقاب أبقار القراقبة . وبعد هذه العبارة قلت للتلاميذ : من الذكي الذي يعيد هذه العبارة ؟ ففوجئوا جميعاً وطلبوا إليَّ إعادتها ، فأعدتها لهم . حاول أذكى الصف ولم يستطيعوا ، فقلت لهم : هذه لا يستطيع أن يقولها إلا ذكي فهم معناها ، فأين الذكي فيكم ؟ أقول ذلك وعيني ترمق ذلك التلميذ ، فإذا نظرت إليه خفض يده لأنه يخشى الإخفاق ،

فثقتة في نفسه معدومة ولاسيما وهو يرى أنَّ فلاناً وفلاناً من الأذكياء يتعثرون . لكنني إذا أعرضت بصري عنه رفع إصبعه عالياً . وبعد أن عجز الجميع ، طلبت إلى هذا الصبي أن يقول الجملة وهو جالس في مكانه لخوفي عليه إذا خرج ونظر إلى التلاميذ أصابه البكم الاختياري من شدة خجله وحساسيته . فقالها وهو جالس على كرسيه فصفقت له ، وإذا بي أنا الوحيد المصفق ، فالتلاميذ لم يصدقوا ما حدث لأن الطالب قالها بصوت خافت . طلبت إليه إعادتها مرة ثانية وهو واقف مع رفع الصوت وأنا أبتسم وأقول له : أنت البطل ، أنت أذكى الطلاب . فوقف وأعاد الجملة ورفع صوته ، فصفقت له أنا ومن حوله من الطلاب . فقال الآخرون : قالها يا أستاذ !! قلت : نعم قالها لأنه ذكي . ثم قلت له : أخرج أمام السبورة وقلها مرة أخرى . وأنا طبعاً أشحذ همته وشجاعته .. أنت الذكي أنت البطل . فخرج وقالها والجميع منصتون يستمعون في ذهول . ثم طلب إليَّ التلاميذ أن أمره بأن يعيدها لهم . فرفضت طلبهم وقلت لهم : اطلبوا أنتم إليه . وهدفي من ذلك أن أشعره أنه مهم وأنه أحسن وأذكى من الجميع ، وأنَّ التلاميذ يخطبون وُدّه ، وأنَّ التلعثم الذي كان يصيبه أصاب زملاءه جميعهم في هذا الموقف .

طلبوا إليه الإعادة مرة أخرى ، فأخذت بيده وقلت لهم : أتعبتموه وهو يعيد لكم وأنتم لا تحفظون . لأنني على ثقة أنهم سيطلبون إعادتها منه مرات كثيرة . فتركت ذلك له حتى يزداد ثقة بنفسه . دق الجرس وجاء وقت الفسحة ، فلم يخرجوا من الصف إلا بهذا الطالب معهم وأخذوا ينادونه باسمه ويمشون من أمامه ومن خلفه وكأنه قائد أو لاعب كرة يحمل الكأس والفريق من حوله . فخرجت خلفهم وشاهدت التلاميذ ينادون إخوانهم وأصدقاءهم في الصفوف العليا ويجتمعون حول هذا الطالب النجيب وهو يعيد لهم ويصحح . زادت ثقته في نفسه وكثر أصدقاؤه وزادت شعبيته بعد أن كان نسياً منسياً . في اليوم نفسه طلبت إلى الطالب أن يعرض هذه الجملة على أبيه وأمه وإخوته ومعارفه جميعهم وأن يتحداهم بإعادتها . هذا الطالب حفظ القرآن الكريم كاملاً ، تخرج من الثانوية بنسبة ٩٦ ٪ ، التحق بالجامعة قسم الرياضيات وتخرج بامتياز مع مرتبة الشرف ، ثم عُيِّنَ معيداً في إحدى الكليات السعودية ، وحصل على قبول للدراسات العليا في واحدة من أعرق الجامعات العالمية (الرشيد ، ٢٠٠٨) .

نصيحة أيها المعلم .. انتق كلمات التشجيع وانثرها مغلفة بالحب والصدق والحماسة ، وستراها يوماً حصداً يانعاً باسقا في حياة طلبتك

ومستقبلهم ، وفضلاً واعتراً خالداً لك على حسن الرعاية والاهتمام ،
وسقاية بذور العظمة التي وهبهم الله إياها .

نقطة التحول الخامسة : الرغبة والشغف

أحياناً كثيرة تتقاطع اثنتان أو ثلاث من تلك النقاط الأربع السابقة
مع بعضها البعض لتوليد رغبة في التغيير وتحقيق شيء ما ، وأحياناً
قليلة تكون غير ذلك ! أحياناً تولد الرغبات ويجهل الشخص حقيقة
مصدرها ودافعها ، ويعجز عن تفسيرها وموطن نشأتها . بل ربما
تتحول إلى شغف تصاحبه الحماسة والاندفاع والإصرار وعدم اليأس .
فالشغف رغبة متعطشة يصاحبها مشاعر قوية وأمل وفرح وحب
عارم للعمل والإنجاز. يقول ماكسويل عن أهمية الشغف في كتابه
" الموهبة لا تكفي أبداً " : عندما تشغف بشيء تصبح مفعماً بالطاقة ،
ولن تكون في حاجة إلى أن تبذل جهداً للتحلي بالإصرار ، وإنما ستجده
بداخلك وجوداً تلقائياً . سيساعدك الشغف على الاستمتاع بالرحلة بقدر
ما سيساعدك على الاستمتاع ببلوغ وجهتك ، ومن دون الشغف يصبح
الإنجاز طريقاً طويلاً وشاقاً .

ويمكن أن تكون القصص التي ذكرتها في كتابي " قصص أعجبت طلابي " أمثلة على هذا النوع من الرغبات وذلك الشغف . مثل قصة العامل عبدالنواب الروضان في حفظه للقرآن الكريم بالقراءات العشر ، وقصة الأمي محمد العماني وتحوله إلى خبير ومستشار كبير في علم البرمجة والخدمات التكنولوجية ، وقصة أحمد الشايع صاحب الشهادة المتوسطة وابن المؤذن الفقير الذي صار مليونيراً كبيراً ورئيساً للكثير من شركات الخدمات والاستثمارات . ويمكن أن تشاهد الفيلم الرائع بامتياز (Rudy) حتى تعيش الشغف الحقيقي وتعرف عن قرب ما أتحدث عنه . يقول رودى روتيجر الذي تخرج في الثانوية بمعدل مقبول ، والذي أخذ قصة الفيلم الحقيقية منه : إذا كنت تؤمن بحلمك بحق ستحصل عليه ، ولكن ينبغي أن تكون شغوفاً به وأن يكون لديك التزام تام بتحقيقه ، وإذا ما اجتمع لديك الشغف والالتزام فلن تحتاج إلى خطة معقدة لتحقيقه . رودى وأبوه وإخوته الكبار كلهم عمال في مصنع واحد ، لكن شغفه بلعب كرة القدم لمصلحة فريق جامعة نوتردام تخطى كل العوائق ، وأكسبه روحاً من الإرادة لا تعرف التوقف أو الاستسلام . حقق رودى حلمه وتخرج في جامعة نوتردام ، وأصبح النموذج الملهم

لإخوته الصغار في النجاح والمثابرة ، مما ساعدهم جميعاً على التخرج في الجامعات ، بعد أن كان مصيرهم العمل في المصانع مع الأب والإخوة الكبار . رودي هو الفيلم رقم واحد في حياتي . أنصحك أيضاً أن تشاهد الفيلم العجيب والرائع (Cool Running) الذي أخذت قصته من قصة حقيقية وقعت في جامايكا وانتهت في كندا لأبطال أولمبيين في رياضة الزلاجة . لأنك ستدرك وأنت تشاهد معاناة هؤلاء الجامايكيين ومغامراتهم وجهد مدربيهم الأمريكي أهمية الرغبة والشغف في تغيير الأفراد وصناعة الأبطال ، وأهميتها في دفع المرء للتجريب والمغامرة ، وتغلبه بها على مخاوفه وتردده وشكوكه .

يقول نابليون هيل في كتابه " فُكِّرْ وحقق مزيداً من الثروة " :
 إن نقطة البداية للإنجازات جميعها هي الرغبة القوية ، فمعها تولد الحماسة والإثارة والأمل ويولد الحراك والدأب الدائم والنتائج العظيمة .
 أما الرغبات الضعيفة فلا يتمخض عنها إلا الفتور والكآبة والأعذار والتسويق والنتائج الضعيفة . النار الصغيرة لا يصدر منها إلا كمية قليلة من الحرارة ، والجمرات المطفأة لا يمكنها أن تشعل الحرائق .

في ختام هذا الفصل بودي أن أسأل هذا السؤال : لماذا ننتظر الكوارث والصدمات والآلام حتى نتغير أو نسعى جادين إلى النجاح ؟ لا نلعب الرياضة إلا عندما تقول لنا أجهزة الطبيب أننا في خطر ، لا يدرس الطالب إلا عندما يكون على حافة الرسوب ، لا نبدع في منتجاتنا ولا نطور برامجنا ولا نصدر قرارات حاسمة إلا عندما تكون شركائنا على حافة الإفلاس ، لا نتعلم مهارات الاتصال والتعامل مع الآخرين إلا عندما نفقد زبائننا !!

الجواب : لا تنتظر الصدمة والألم حتى تتغير ، بل اسأل الله التوفيق والسداد وجرب وصفات النجاح وعناصره التي أكدها أهل الممارسة العملية والخبرة والاختصاص ، فهي متاحة للجميع ولا تشترط انغماسك في الألم للبدء في تطبيقها . اختبر قوانين النجاح الأربعة ، مارس الصفات الثماني للناجحين ، اتبع الخطوات الثلاث للعظماء .. فهي العصارة والاستنتاج الحكيم بعد طول مكابدة وتجربة لأحداث الحياة ونواميسها المختلفة .

حتى تنجح .. يجب أن تكون رغبتك في النجاح أكبر من خوفك من الفشل

بل كوسي

ممثل ومؤلف وناشط أمريكي



هناك قناعة راسخة في كوريا الجنوبية - الدولة الأولى في التعليم -
أنَّ الأطفال جميعًا يملكون القدرة على إحراز النجاح ، وتباين القدرات
يعوضه الوقت المبذول على الدراسة

د. عزام الدخيل

من كتابه تعلومهم : نظرة في تعليم الدول العشر
الأوائل في مجال التعليم عبر تعليمهم الأساسي

ذكاءات وليس ذكاءً واحداً

هناك تعارض واضطراب كبير في تعريف الذكاء بين العلماء !! يرى أول من ابتكر مقياس للذكاء الفرنسي ألفريد بينيه أن الذكاء : " سلوك معقد التكوين متعدد المظاهر، يفصح عن نفسه في أربع قدرات عقلية هي : الفهم والابتكار والنقد والقدرة على التوجيه الهادف للسلوك " . ويرى تيرمان أستاذ الموهبة ومطور اختبار ستانفورد - بينيه أن الذكاء : " قدرة على التفكير المجرد " . بينما ديفيد وكسلر صاحب مقياس الذكاء واسع الصيت واسع الانتشار يقول : إن الذكاء " قدرة عقلية للفرد على العمل في سبيل هدف ، وعلى التفكير والقدرة على التعامل بكفاءة مع البيئة " . وعرف الرائد في مجال الذكاء والإحصاء تشارلز سبيرمان (عالم النفس الإنجليزي صاحب معامل الارتباط المشهور) الذكاء بأنه : " قدرة فطرية عامة تؤثر في أنواع النشاط العقلي جميعها مهما اختلف موضوع هذا النشاط وشكله " . ويرى أنه كلما استطاع الفرد استنباط علاقات أكثر تعقيداً وتجريداً ، كان أذكى وألمع . أما الألماني وليم شتين الذي اقترح مفهوم معامل الذكاء Intelligent Quotient وهو حاصل قسمة العمر العقلي على العمر الزمني

مضروب في مئة ، فقد عرف الذكاء بأنه : " القدرة على التكيف المقصود
 حيال الظروف الجديدة " . (العزة ، ٢٠٠٠ : المعايطة والبواليز ، ٢٠٠٠ :
 معوض ، ١٩٩٣) .

كذلك هناك اضطراب كبير في تعريف الموهوب !! تقول مؤسّسة
 مجال تربية الموهوبين وأول عالمة نفس فيه ليتا هولنجورث : " إنه الذي
 يتعلم بقدرة وسرعة تفوق بقية الأطفال في المجالات كافة " . وتقول
 الجمعية الأمريكية للدراسات التربوية : " الموهوب من يظهر امتيازاً
 مستمراً وأداءً مرموقاً في أي مجال له قيمة " . في أي مجال وليس
 في المجالات كافة كما تقول هولنجورث . أما مكتب التربية الأمريكي
 صاحب التعريف الفيدرالي الأشهر في الولايات المتحدة ، فقد حدد
 المجالات ، فقال عن الموهوب : " هو من يمتلك قدرات ومهارات عالية
 الأداء تشمل : الذكاء العام ، تخصصاً دراسياً معيناً ، التفكير الإبداعي ،
 المهارات القيادية ، ومهارات وفنون بصرية وحركية ويدوية " . لكن أستاذ
 الموهبة والعالم الأشهر في تربية الموهوبين والمتفوقين جوزيف رنزولي
 حصرها في ثلاث صفات فقط وليست خمس ، فقال في تعريفه عن

الموهوب : " هو الفرد ذو المساهمات القيمة للمجتمع ويمتلك ثلاث سمات : ذكاء فوق المتوسط ، التزام بالمهمة (مثابرة) ، وإبداع " . وجاءت أستاذة الموهبة وخبيرة تطوير برامجها ومناهجها لندا سيلفرمان بِبُعْدٍ جديد لتعريفها يتضمن معرفة عن الذات وشيئاً من الذكاء العاطفي . فقالت عن الموهوب : " مَنْ يُظهر تطوراً متميزاً فيه مقدرته المعرفية المتقدمة مع قدراته الكثيرة المرتفعة ، لتخلق تجاربه الداخلية والوعي الذي يختلف اختلافاً نوعياً عن الناس العاديين " . ويبدو أنَّ الاضطراب الواضح في تعريف الموهبة وبعض التعاريف الفضفاضة قد أربكت التربويين والباحثين ، فلجأ علماء الموهبة إلى لغة الأرقام الحاسمة لفض ذلك النزاع اللفظي الواسع بينهم . فقال رنزولي : الموهوب هو الذي حاصل ذكائه ١١٠ درجة وأكثر في مقياس الذكاء العام ، وقال تراكسلر : بل حاصل ذكائه ١٢٠ ، وقالت سيلفرمان : ١٣٠ ، وقال تيرمان : ١٤٠ ، ثم أوصلتها هولنجورث إلى ١٨٠ (جونسون ، ١٩٨٩ : ديفيز ، رم ، وسيغل ، ٢٠١٠ : سيلفرمان ، ٢٠٠٠ : كولانجيلو وديفيز ، ٢٠١٢) . فلم تحسِّم الأرقام الاختلاف ، وظل الاضطراب بين التعاريف وبين العلماء قائماً .

عام ١٩٨٣ ومن وسط ذلك الجدل والنظرة الضيقة لمفهوم الذكاء والموهبة ، كان لأستاذ علم النفس في جامعة هارفارد هوارد جاردنر^(٦) في كتابه " أطر العقل " رأي آخر ! إنها ذكاءات وليس ذكاءً واحداً !! هذا ما توصل إليه بعد ١٥ عاماً من البحث والدراسة . الذكاء مظلة كبيرة تتسع المتعلمين جميعهم ولا تُقْصِي أحداً ، إنها أطراف متعددة وألوان ودرجات مختلفة وليس طيفاً واحداً متطابق اللون والدرجة . فأكد في نظريته " الذكاءات المتعددة " التي طارت بها الركبان شرقاً وغرباً واشتهرت في العالم أليماً شهرة ، أنَّ للذكاء أشكالاً متعددة وليس ينحصر في شكل أو شكلين . فلا يوجد إنسان أكثر ذكاءً بصورة كاملة من إنسان آخر ، والذكاء يعبر عن نفسه بطرائق متنوعة جداً . والتركيز على أنَّ الذكاء هو فقط تمييز في الجانب اللغوي أو في حل المسائل هو قصور لا يفسر النجاحات الأخرى التي يحققها بعض الناس في غير هذه الجوانب ، مثل : الرسم والرياضة والقيادة والتعامل مع الآخرين . قال جاردنر إنَّ الذكاء له سبعة أشكال ، ثم زاد عليها ذكاءً ثامناً ، ثم تاسعاً وعاشراً حتى اقترح أكثر من ١٠٠

(٦) هوارد جاردنر : له مئات من الأبحاث العلمية المنشورة ، وأصدر ٣٠ كتاباً ترجمت إلى ٣٢ لغة حول العالم ، وتلقى الكثير من الشهادات الفخرية والجوائز والأوسمة من أكثر من ٣١ جامعة وكلية حول العالم . شارك لسنوات كثيرة في رئاسة مشروعات بحثية مهمة وإدارتها لجامعة هارفارد مثل قود بروجكت و بروجكت زيرو (من ١٩٧٢ وحتى ٢٠٠٠) الهادف لتطوير التعليم ، ثم تطورت الاستفادة منه لفهم طبيعة الذكاء ، والتفكير ، والإبداع ، ومجالات ومفاهيم تربوية أخرى . استفاد الكثير من الباحثين حول العالم من البحوث والبيانات التي جمعها هوارد وزملاؤه خلال عملهم في بروجكت زيرو ونشروا مئات المقالات والأبحاث وعقدوا العدد الكثير من المؤتمرات وورش العمل .

شكل للذكاء ، كما أخبرني بذلك أستاذي جورج بيتس عام ٢٠٠٤ نقلاً عن جاردنر عندما قابله مرة في أحد المؤتمرات . لكن المشهور من هذه الذكاءات ثمانية ، وهي الأكثر كتاباً ونشراً وتداولاً في كتب الباحثين والتربويين .

وللمعارك أبطال لها خلقوا وللدواوين حُسابٌ وكُتَّابُ

مع الذكاءات المتعددة لم يعد التعثر في الرياضيات والعلوم واللغويات آخر الأمل في التعلم ، أو بداية اليأس من نجاح الابن أو التلميذ ، فمجالات التعلم كثيرة والطرق إلى الاحترافية والتفوق في الحياة واسعة غير محدودة . بل حتى إحالة بعض الطلاب إلى خدمات التربية الخاصة أصبحت متأنية ، والحكم من التربويين والمختصين على طلابهم أصبح حذراً إذا ما رأوا منهم صعوبات تعليمية أو فرط حركة أو قلة انتباه . فربما ذكاءات الطالب لا تتناسب مع وسائل التدريس وطرائقه المحدودة ، فكان منهم الملل وأحلام اليقظة وضعف الاستيعاب . وربما ذلك يفسر انسحاب ١٨ - ٢٥ ٪ من الطلبة الموهوبين من التعليم الثانوي ، حيث لا متعة ولا تحديات ولا مجالات تعليمية توافق اهتمامات هؤلاء الموهوبين (سيلفرمان ، ٢٠٠٠) .

وفقاً لنتائج المشروع الرائد للمؤلف والباحث التربوي جون غودلاد ، والمعنون بـ " دراسة وضع التعليم في المدارس " الذي استخدم فيه باحثون لمراقبة ألف غرفة صف في الولايات المتحدة في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ، تبين أن نحو ٧٠ ٪ من الوقت الذي يقضى في تلك الغرف يستهلكه المعلم في الحديث ، أما النشاط الأكثر الذي يليه فكان الطلاب وهم يؤدون مهام كتابية (غودلاد ، ١٩٨٤) . لذلك فإن البحث يظهر أن ١٠ - ٢٠ ٪ من طلبة الثانوي يرسبون ، وهم يُعدّون من الطلبة الموهوبين (ديفز ، رم ، وسيقل ، ٢٠١٠) .

إذا كانت الأداة الوحيدة التي لديك هي المطرقة

فإن كل شيء حولك يبدو مسماراً

لقد ضاق جاردنر ذرعاً بمحدودية مقاييس الذكاء وضيق حكمها وقسوتها على المفحوص عندما يخفق في حل بنودها ، فهي غير عادلة لا تعكس كثيراً من الذكاءات والإمكانات التي يتمتع بها الأفراد . لذلك فهو مراراً وتكراراً ما يعبر عن استيائه هذا في كتبه ومقالاته ولقاءاته .

قال في كتابه " أطر العقل " : الذي دفعني لاستخدام مصطلح (الذكاءات المتعددة) هو رغبتني في تقديم نموذج للذكاء أكثر قابلية للتطور ، وأرفض كونه موروثاً يمكن تقييمه من خلال مقابلة تستمر لمدة ساعة ، أو من خلال اختبار ورقة وقلم . وقال : إذا اخترنا الطلاب بمقاييس الذكاء فسوف نخسر أكثر من ٧٠ ٪ من الطلاب . أنا لا أرتاح لكلمة موهوبين لأنها تحد من فرصة البحث عن ذكاءات بقية الطلبة وفرصتنا لاكتشافهم ومساعدتهم على تنمية تلك الذكاءات .

لا يعقل ومن غير المنطقي اختزال الفرد بجوانب شخصيته وقدراته العقلية المختلفة إلى مجرد رقم يمثل في واقع الأمر جزءاً يسيراً منه . ألا توجد مواهب أخرى تُسهم في لصق صفة الذكاء عليه ؟ (الطرزي ، ٢٠٠٠) . قال رئيس جمعية علم النفس الأمريكية السابق ورائد البحث في الذكاء الإنساني جوي جيلفورد : إنَّ اختبارات الذكاء تقيس نحو ١٢ قدرة عقلية فقط ، في حين أنَّ العقل مكون من ١٢٠ قدرة ، وأنَّ فحص مضمون اختبارات الذكاء يكشف أنها ذات طبيعة إبداعية ضئيلة جداً (الملحم ، ٢٠٠٣) . يقول الدكتور كين روبنسون في

كتابه "صناعة العقل" : السؤال التقليدي الذي نسأله دائماً : ما هو مستوى ذكاء هذا الشخص؟ في حين أننا يجب أن نسأل : ما هو مجال الذكاء عند هذا الشخص؟

توماس آرمسترونج صاحب المؤلفات الرائعة عن الذكاءات المتعددة والغنية بكثرة التدريبات والإستراتيجيات التعليمية التي تنمي تلك الذكاءات ، يقول في كتابه " أنت أذكى مما تعتقد " : هناك الكثير من الناس الذين فشلوا في اختبارات الذكاء ولم يحققوا أرقاماً عالية فيها ، لكنهم في المقابل كانوا أذكىاء ومنتجين ومبدعين في مجالات الحياة المختلفة . وهذا يشمل الرسامين ، متسلقي الجبال ، مندوبي المبيعات ، مكتشفي الطبيعة ، ومخترعي الآلات . ويقول عبدالرحمن كلنتن في كتابه " رحلة مع الموهبة " : لقد دلت الأبحاث المتخصصة على أن أكثر من ٧٥ ٪ من مجموع الطلبة المتصفين (بالمشاغبين) يمكن تصنيفهم من ذوي المواهب المتخصصة التي تحتاج إلى جهد كبير لتعرفها، كما أن المقاييس المقننة غالباً ما تعجز عن اكتشاف هؤلاء الموهوبين .

يقول دانيال جولمان في كتابه المشهور " الذكاء العاطفي " : إذا ما تابعنا خط سير حياة الطلاب الـ ٩٥ من خريجي جامعة هارفارد دفعات أربعينيات القرن الماضي الذين حصلوا على أعلى الدرجات في اختبار معامل الذكاء ، فإننا سنجد أنهم لم يصلوا إلى ما وصل إليه زملاؤهم الذين حصلوا على أقل الدرجات فيما يتعلق بالأجور والإنتاجية والمناصب الإدارية والتنفيذية . وليس هذا فحسب .. بل لم يحققوا ما يشبع آمالهم في حياة أفضل ، أو السعادة مع أصدقائهم وعائلاتهم . يقول كلنتن (٢٠٠١) : بمراجعة أدبيات علم الموهبة والتفوق ، نلاحظ وجود فروق متميزة لدى أفراد قد لا يحصلون على درجات مرتفعة في اختبارات الذكاء أو الاختبارات التحصيلية ، لكنهم أسهموا إسهاماً متميزاً في خدمة البشرية .

في كتابها " أوجه الموهبة " تقول المفكرة التربوية الأمريكية والناشطة في مجال الموهبة والإبداع نانسي جونسون : يجب أن تعاد اختبارات الذكاء وعملية الكشف عن الموهوبين كل سنة ، فهناك مواهب تتبدل وتولد وتنمو وتزدهر عند كل فرد ، وبإعادة تلك الإجراءات والاختبارات ربما نكشف عن موهوب ونجم جديد . معظم عمليات الكشف عن الموهوبين

تستخدم درجات محددة وحاسمة في اختبارات المقننة ، لذلك فإني أنصح الفاحصين بأن يكونوا أكثر مرونة وأكثر انفتاحاً ، وأن يستخدموا عدة وسائل ومعايير وطرائق في كشفهم عن الموهوبين . وسائل أخرى مثل : المقابلات الشخصية ، درجات الطالب الأكاديمية ، مقابلات مع الآباء والمعلمين والأقران ، اختبارات إبداعية ، الاطلاع على أعمال ومشروعات سابقة فنية وأدبية وعلمية ، وتكليفات بمهام في مواقف معينة .

اقترح جاردنر وغيره من المؤلفين والباحثين عشرات من الذكاءات مثل : اللغوي ، البصري ، الإيقاعي ، الحركي ، الاجتماعي ، الذاتي ، البيئي ، الروحي ، الوجودي ، الأخلاقي ، القيادي ، الجمالي ، العملي ، القصصي ، الشمي ، الميكانيكي ، القيمي ، الحدسي ، الدعابي ، الاستفزازي ، الاستدلالي ، الاستقرار ، التحليلي ، الطبخ ، معالجة المعلومات ، حل المشكلات ، الذكاء الإبداعي (الذي قد يكون متضمناً في الذكاءات جميعها كما يقول جاردنر) .. وذكاءات أخرى كثيرة . لكنني في هذا الفصل سأعرض فقط إلى الذكاءات الثمانية المشتهرة عند جاردنر ، والمشتهرة عند من نقل عنه من الباحثين والتربويين .

قد يمتلك الفرد واحداً من هذه الذكاءات أو اثنين أو ثلاثة أو جميعها ،
وهذه الذكاءات هي :

١- الذكاء اللغوي : وصاحب هذا الذكاء يتميز بجمال لغته ووفرة مفرداته ، يحب التخاطب والمناقشات ، يحب القراءة والكتابة وتعلم اللغات ، تستهويه رواية القصص والاستماع إليها ، يحب الشعر ويضطرب لسماعه وإلقائه ، له القدرة على تذكر الأسماء والأماكن والتواريخ . ومن أعجب من رأيت في هذا الذكاء هو العم الفاضل عبدالعزيز سعود البابطين ، الملياردير العصامي الذي لم يكمل الثانوية والذي بدأ تجارته بـ ٦٥ روبية فقط أعطاها له والده . التقينا به في ديوانه ضمن برنامج رحلتنا " قافلة التجار الشباب " لينقل للشباب المشاركين في رحلة التجارة إلى الصين تجاربه ونصائحه في العمل الحر ، وأهم ما يجب أن يتحلى به التاجر من صفات وأخلاق . كان حديثه لنا شائقاً لا يُمل ، فيه الأحداث والقصص والشعر والأدب وجمال الطرفة والفكاهة . استمرت الجلسة مع العم بوسعود ساعتين ، وتمنيت لو طالت حتى أذان الفجر من فرط المتعة والتشويق وجمال السرد والعبارة . ومن الشخصيات العالمية كاتبة روايات

هاري بوتر الإنجليزية جوان رولينغ ، كانت مطلقة وأماً لطفلة واحدة تتلقى إعانة شهرية من الدولة قدرها ١٤٠ ديناراً كويتياً ، اضطرها ضيق ذات اليد إلى العمل في فرنسا مع منظمة العفو الدولية ، ثم معلمة للغة الإنجليزية في البرتغال . لكن باستغلال ذكائها اللغوي أصبحت مليارديرة ، وبيع من رواياتها أكثر من ٤٠٠ مليون نسخة (أكثر ثروتها من أفلام رواياتها السبعة) . كذلك الكاتبة الإنجليزية المشهورة أغاثا كريستي ، التي اشتهرت بكتابة روايات الجرائم والقصص البوليسية . فبرغم مشكلاتها وهي صغيرة في التهجنة والقواعد ، إلا أن خيالها الإبداعي الخصب وحبها للقراءة ، نهضا بلغتها ووفرة إنتاجها الكتابي والروائي . كتبت أكثر من ٨٠ رواية ، بيع منها أكثر من مليار نسخة حول العالم ، وترجمت لأكثر من ١٠٣ لغة .

من المهن التي تصلح لأصحاب هذا الذكاء هي : معلم ، محام ، مذيع ، صحفي ، إمام مسجد ، تسويق وإعلان ، أمين مكتبة .

٢- الذكاء المنطقي : يتميز صاحب هذا الذكاء بحب الرياضيات والعلوم ، سرعة الحساب ، القدرة على تعرف الرسوم البيانية والعلاقات

التجريدية ، القدرة العالية على الملاحظة والتفكير وإلقاء الأسئلة
إلقاء منطقياً ، وحب التخمين وحل الألغاز وكشف الغموض . وصديقنا
عبدالله علي العجلان ، المدرب في الكلية التقنية في بريدة خير من يمثل
هذا الذكاء . عاصرتة في جامعة بول ستيت في إنديانا وهو في مرحلة
الماجستير في علوم الحاسب ، فشاهدته وهو يساعد بكرم وقت وطيب
نفس إخوانه المبتعثين في مشروعاتهم وواجباتهم ، وشاهدته وقد التف
حواله زملاؤه الهنود والأمريكان خارج القاعات الدراسية وفي المكتبة
يسألونه عن طريقة تنفيذ بعض مشروعات البرمجة ، وهو يجيبهم
بجميل ابتسامة وانشراح صدر . ومن الشخصيات أيضا الملياردير
السعودي سليمان الراجحي الذي أخبرني عنه الدكتور عبدالرحمن
السميط (رحمه الله) أنه بالكاد يقرأ ويكتب ولا يملك حتى الشهادة
الابتدائية ، لكنه يحسب بثوانٍ معدودة وهو واقف في مكانه الصفقات
الرابعة والخاسرة . وكثيراً ما أنقذتني استشاراته السريعة من الإفلات
من مشروعات خاسرة لأعمالنا الخيرية في القارة السمراء . سُئل
آنشتاين مرة : كيف يكون حال الإنسان عندما يكون ذكياً مثلك يا سيد
آنشتاين ؟ فقال : ليس لدي ذكاء أو موهبة خاصة ، كل ما في الأمر

أنني أفكر في المسائل والحسابات أكثر . عندما كان عمري ١٨ عاماً رفضتني كلية الهندسة لأنه لم يَبْدُ للممتحنين أنني أمتلك أية موهبة (بوليت ، ٢٠٠٤) . ومن الشخصيات العالمية المشهورة في هذا الذكاء الدكتور البنغلاديشي محمد يونس ، مؤسس بنك غرامين والحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد ، الذي رويت قصته كاملة في كتابي " قصص أعجبت طلابي " .

من المهن والأعمال التي تناسب هذا الذكاء هي : تاجر ، طبيب ، مهندس ، معلم ، مبرمج ، محاسب ، مصرفي ، اقتصادي ، صيدلاني ، فلكي ، فيزيائي ، كيميائي ، ميكانيكي ، محلل سياسي ، عالم نفس أو شريعة ، نيابة وتحقيق .

٣- الذكاء البصري : يَسْهُلُ على صاحب هذا الذكاء تذكر الوجوه والأمكنة ، يمتاز برسم الخرائط وقراءتها ومعرفة مواقع النجوم ، يتعلم أكثر من خلال الجداول والرسومات والخرائط الذهنية ، يحب مشاهدة الأفلام والصور ، يحب الرسم والنحت ، ويحب التصميم واستخدام

الألوان والزخارف . وربما أعتبر المهندس حمد إبراهيم الشريدة مصمم غلاف هذا الكتاب وكتاب " قصص أعجبت طلابي " مثالا رائعا على هذا الذكاء . وأذكر أنني سُئِلْتُ أكثر من مرة : كيف استطعت إقناع المبدع الشريدة بتصميم أغلفة كتبك ؟ فهو مشغول في أعمال تصميم كبيرة مع شركات في الكويت وفي خارجها يصمم لها هويتها التسويقية والإعلامية .. وهو عمل وجهد ضخم ذو عائد مادي كبير ، لا يلتفت معه إلى تصاميم بسيطة مثل أغلفة الكتب !! فأقول : هذا من توفيق الله وفضله . والمثال الآخر على هذا الذكاء هو طالبي الحبيب ذو الابتسامة البراقة المهندس ماجد سلطان الزعابي ، صاحب الشهرة الواسعة في مجال التصوير الفوتوغرافي ، الذي حقق فيه أكثر من ١٠٠ إنجاز دولي متقدم . ولعل أشهر تلك الإنجازات عندما فاز بالمركز الثاني في مسابقة " كوكب الأرض " العالمية في المكسيك عام ٢٠١٥ ، والمندوعة من مؤسسة ناشونال جيوغرافيك ، بمشاركة ٣٠٠٠ مصور ب ٢٨ ألف صورة ، ويمثلون ٨٨ دولة حول العالم . ودوراته ومحاضراته في احتراف التصوير وقواعده ما زال الشباب من محبي التصوير الفوتوغرافي يتهافتون عليها من كل حذب وصوب . ولقد سخر شهرته واحترافه التصوير والتصميم في العمل

التطوعي الخيري لمصلحة جمعية العون المباشر ، وجمع لها مع بعض زملائه ومحبيه ملايين الدولارات لمشروعاتها ومؤسساتها ومدارسها وأيتامها . ومن الأمثلة الرائعة على هذا الذكاء أيضاً ، الفنان التشكيلي الكويتي عبدالرحمن الحمود صاحب الإعاقة البصرية الشديدة الذي لا يتعدى إبصاره ربع المتر ، لكن أعماله وألوانه وأفكاره تبهرك بدقتها وروعته . يقول : أريد من خلال لوحاتي ومواصلي للرسم أن أوصل رسالة واضحة إلى الناس أنه لا مستحيل في الحياة . ومن الأمثلة الاحترافية أيضاً المصممة الداخلية نور بن عيدان صاحبة موقع done-interior التي اشتهرت بتصاميمها وديكوراتها الساحرة. المصممة نور التي صار ذوقها وأعمالها مطلباً للأثرياء في الخليج لتزيين دواوينهم وقصورهم .

من الوظائف والأعمال التي تناسب هذا الذكاء هي : مهندس معماري ، مهندس داخلي وديكور ، مصمم مواقع ، مصمم جرافيك ، مصمم ملابس أو مجلات ، مصور ، معلم فنية ، طيار ، فلكي ، قبطان ، رسام ، رسام خرائط ، مقاول .

٤- الذكاء الحركي : ومن يتصف بهذا الذكاء نجد أنه يحب الحركة والنشاط ، يتعلم المهارات البدنية واليدوية بسرعة ويتفوق فيها ، يستمتع باللعب واللمس والعمل بيديه ويحب التعلم من خلالها ، يستعمل الكثير من الإيماءات وحركات الجسم في أثناء الحديث ، يقلد الآخرين بدقة ، يحب التحرك ويسأم من الجلوس والتلقين ، يحب تركيب الأشياء ، ويملك اتزاناً وتوافقاً حركياً . ومن الأمثلة المشهورة في عالم الإبداع الحركي الممثل الأمريكي جيم كاري الذي ترك دراسته في الثانوية ، لكن بمساعدة والديه بدأ في أداء بعض الأدوار في النوادي الفكاهية ، ثم انطلق في جني الملايين من الدولارات ، واتسعت شهرته وتأثيره الإيجابي على الناس من خلال روحه المرحية وحركاته ووجهه المطاطي الذي لا حدود لتعابيرهِ وامتداداته وانشاءاته . ومثله أيضاً الممثل الصيني الكوميدي جاكى شان الذي فرضت حركاته في فنون القتال ومغامراته التي وصلت إلى حد الهلاك في القفز والتسلق وجوده وانتشاره في السينما الأمريكية والعالمية . ومن الأمثلة أيضاً على هذا الذكاء لاعبو كرة القدم ، مثل البرازيليين بيليه ورونالدينو ، والأرجنتينيين مارادونا وميسي ، والبرتغالي رونالدو ، والإسباني إنيسته ، والبلجيكي هازارد . فذكاءؤهم في المروعة والتسديد والتمرير خلدتهم وأكسبهم عشرات الملايين من الدولارات .

واقترح علي ابني عمار وأنا أكتب هذا الذكاء كاييري إيرفندق ، وليبرون جيمس ، وستيف كيري ، وستيفن كوري ، وكيفن دورانت ، وإساييا توماس بوصفهم نجومًا رائعة في كرة السلة الأمريكية وبوصفهم نماذج واضحة في الذكاء الحركي والتألق البدني والسحر الرياضي . طول إساييا توماس ١٧٥ سم ، وهو طول قصير موازنةً بمعظم لاعبي السلة الذين تجاوز طولهم الـ ١٩٥ سم ، لذلك فقد تلقى الكثير من السخرية في بداية مسيرته مع كرة السلة ، وأنه لن يذهب بهذا الطول إلى أي مكان ، وسينتهي به الحال إلى اللعب في الشوارع . لكنه ألقى بهذا النقد والتهكم وراء ظهره ، واجتهد في التدريب ، وطور مهاراته وأدائه وتصويباته . فأصبح في إبريل عام ٢٠١٧ اللاعب الأكثر قيمة في الرابطة الوطنية لكرة السلة ، واللاعب الأمل في فريق بوسطن سيلتيكس . سألوه في مقابلة تلفزيونية : لماذا كل هذا الجهد الذي تبذله ، والانضباط التام في التدريبات ؟ فقال : لأثبت لكل من سخر مني أنه على خطأ .

من الوظائف والأعمال المناسبة لهذا الذكاء هي : جراح ، ميكانيكي ، بحار ، إطفائي ، عسكري ، معلم بدنية ، مختص علاج طبيعي ، مدرب ، مخرج ، خطاط ، نجار .

٥- الذكاء الإيقاعي : يمتاز من يملك هذا الذكاء بحب سماع الترتيل والأناشيد والإيقاعات ، يعجبه المشاركة في الغناء والرقص في العروض والشيئات والقلطات ، تعجبه الأصوات الجميلة ، يحب القراءة عن المقامات والاستماع لأهل التخصص فيها ، يحفظ الكثير من الأناشيد ، ويضبط الألحان حتى القديم منها ، يجيد تقليد أصوات المنشدين والمقرئين ، يجيد تقليد أصوات الآلات ، يحفظ ويجيد من أول مرة ترديد الألحان الجديدة ، يستطيع بسهولة اكتشاف أخطاء التجويد ومخارج الحروف ، يكتشف بسرعة الأبيات الشعرية غير الموزونة ، يستمع لتغريد الطيور ويجيد تقليد أصواتها ، يغني ما يريد حفظه ويبتكر له الألحان والإيقاعات ليسهل عليه تذكره واسترجاعه . ومن أعجب من رأيت في هذا الذكاء الشيخ الليبي البهلول سعيد أبو عرقوب (حفظه الله) ، أستاذ المقامات والخبير في تفاصيلها وعلومها . فالشيخ البهلول يدهشك في محاضراته ودوراته القرآنية وأنت تستمع إلى دقائق علمه في المقامات ودرجاتها والفروقات بينها وكيفية أدائها ، والمقام المناسب للآية الذي يُسهّل على المستمع فهمها وتفسيرها . تحكيمة للمسابقات القرآنية لحفاظ كتاب الله الصغار منهم والكبار غاية في المتعة وأنت تشاهد حسن إنصاته وتعليقاته ودعاباته .

والمثال الآخر على هذا الذكاء هي الشيخة آمال إبراهيم كمال ، المقرئة بقسم الإجازات والمدربة المعتمدة للتصحيح والإقراء من شيخ القراء بالمسجد النبوي الشيخ إبراهيم الأخضر . الشيخة آمال هي الأستاذة المتقنة في الأداء الصوتي والقراءة التفسيرية ، وقد استضافتها الكويت أكثر من مرة لعقد دورات تخصصية لطالبات العلم وحافظات كتاب الله في الأداء الكلمي وميزان الحروف . كذلك من الأمثلة الآلاف من شباب العالم الإسلامي الذين يتقنون تقليد أصوات وأداء بعض القراء والمشايخ ، مثل صوت الشيخ عبدالباسط والمنشاوي (رحمهما الله) ، والشيخ السديس والمعيطي والعجمي (حفظهم الله) ، حتى أداء بعض مؤذني الحرم المكي وفقهم الله . كذلك يُعد الشيخ عبدالرزاق الدليمي خبير المقامات مثلاً رائعاً للذكاء الإيقاعي ، ومن يستمع لتلاواته العراقية المؤثرة وتعليقاته في المسابقات الدولية للقرآن سيعرف مستوى هذا الذكاء وحجمه وآفاقه الذي حباه الله به . عام ١٩٩٥ كنت مسؤولاً عن الإرشاد والتسجيل في ثانوية يوسف بن عيسى القناعي ، وقد أتانني في الأسبوع الأول للتسجيل أحد الطلبة يشكو رئيس قسم الموسيقى من عدم إضافة مقرر الموسيقى له في جدولهِ . فاتصلت برئيس القسم مستفسراً . فقال : أريدك أن تحضر

مع الطالب إلى قسم الموسيقى ، أريد أن أريك شيئاً . حضرنا ، فمسك الأستاذ القلم وأخذ يضربه في طرف مكتبه ضربات متتابة كأنه يبتدع لحنًا جديدًا به . وبعد ثوانٍ قال لأحد الطلبة الذين قَبِلَ تسجيلهم عنده في مادة الموسيقى : أعد هذا اللحن كما سمعته . فأعاده الطالب بإتقان . ثم التفت للطالب الشاكي معي وقال له : أعد علينا ما سمعت . فأخذ القلم وقد نسي بسرعة ما سمع ، وخلط ألحانا كاميرونية بصينية بإسبانية ببحرينية . شكرنا رئيس القسم وخرجنا بهدوء وقد عرفنا بعد هذا الدرس العملي أن لكل إنسان ذكاءاته ومواهبه .

يصلح لصاحب هذا الذكاء أن يكون : إمام مسجد ، مؤذنًا ، منشدًا ، ملحنًا ، اختصاصي مهندس صوت أو مؤثرات صوتية ، مدير إستيديو ، معلم تجويد أو قراءات أو مقامات ، مقدم أو معدًا أو مخرجًا لبرامج شعرية وإنشادية .

٦- الذكاء الاجتماعي : وصاحب هذا الذكاء سريع في عقد الصداقات ، يحب إسعاد غيره ، يملك الحس الفكاهي ، يستمتع بالعمل

الجماعي ويجذب الناس للعمل معه ، يحب تنظيم الأنشطة واللقاءات ، يعرف بسرعة أمزجة الناس ودوافعهم ، فطن في قراءة تعبيرات الوجه وإيماءات الجسم ، يحب التحدث ، يرحب بحماسة بالآخرين ، يحترم آراء غيره ، يملك القدرة على تحفيز الآخرين ، يحب المفاوضات وحل الخلافات ، ويبادر في تقديم المساعدة . ولعل الشيخ أحمد القطان (حفظه الله) من أبرز من أعرف في هذا الذكاء . حضور جماهيري كبير لخطبه وخطاباته ، تأثير دعوي وإصلاحي ذو بصمة واضحة عبر المنابر والمحاضرات والإذاعة والتلفاز ، صاحب دعاية ومِلح وطرائف وأشعار جميلة ، وسيط ومفاوض ناجح لحل الخلافات والنزاعات ، وشخصية دعوية ينبسط لها الصغير والكبير والحضري والبدوي والخليجي والعربي . لا أنسى أبداً الأمسية التي عقدها في نادي الصليبخات الرياضي ، كيف استهل حديثه بالهتاف للنادي ، وكيف ردد وراءه الشباب بحماسة ذلك الهتاف ، فأسر القلوب وأسعدها حتى آخر الأمسية .. ذلك هو شيخنا القطان أستاذ التحفيز والخطابة . من الشخصيات التي أعرفها وفيها الكثير من صفات الذكاء الاجتماعي ، صديقنا الدكتور حمد محمد المطر ، أستاذ الكيمياء في جامعة الكويت والحاصل على

جائزة التميز التدريسي ، والعضو المتألق السابق في مجلس الأمة . عرفتة منذ أيام دراسة البكالوريوس في جامعة الكويت ، فهو ذو منطق واتزان في الحديث والخطابة ، طيب المعشر والمخالطة ، سريع البديهة سريع النكتة ، يتلقى زائريه بالبشاشة والترحيب الحار ، لا يتكلف في الحديث مع غيره ويتعرف إلى الناس بسرعة ، يهتم بقضايا الإصلاح والتغيير ، يتفاعل مع هموم الناس ، ويتفانى الكثير من زملائه وأحابيه في العمل معه وتنظيم ندواته وملتقيات . ومن الشخصيات أيضاً التي تتميز بمستوى عالٍ من هذا الذكاء .. الشيخ الدكتور سلمان العودة (حفظه الله) . ولعل المتتبع لأرقام متابعيه المليونية في الأنستقرام وتويتر والسناب يعرف حجم تأثير الشيخ ومدى ثقة الناس به وحبهم له . هو غاية الكرم في الوقت والمال ، يلبي الدعوات في أطراف العالم كافة ، ويستقبل ضيوفه بانبساط وانسراح وجود ومودة . إن سألته عن إسرافه في الكرم يقول : ليس في إكرام الضيف إسراف . يثق بمن حوله من الطلبة والمحبين ويفوض الأمور الكثيرة لهم ، مجموعة تجمع وتعد البيانات ، ومجموعة تصميم وتصور ، وشباب لترتيب اللقاءات والتسجيلات والزيارات ، وآخرون يتابعون المطابع والمواقع والمحطات . عملت في تربية

النحل أكثر من خمس سنوات ، فرأيت عجباً في الانضباط والتنظيم والتفاني وتوزيع المسؤوليات بين الملكة والشغالات .. وهو بالضبط حال الشيخ مع الشباب وحال الشباب معه .

هناك مهن وأعمال كثيرة تناسب هذا الذكاء منها : طبيب باطني ، طبيب أسنان ، طبيب نفسي ، مدير ، مختص موارد بشرية ، صاحب عمل خاص ، مدرب ، مستشار ، مقدم برامج ، وسيط ، سياسي ، سفير ، عضو مجلس أمة ، ناظر مدرسة ، وكيل مدرسة ، إمام مسجد .

٧- الذكاء الذاتي : يفضل صاحب هذا الذكاء العمل وحده بدل العمل الجماعي ، يتمسك بمعتقداته وقيمه بقوة ، يحب كتابة الخطط والأهداف لنفسه ، يحب كتابة الأفكار والمذكرات ، يعرف مشاعره وانفعالاته ونواياه جيداً ، يحب التأمل والتفكير بعمق في نفسه ، يفهم ذاته ويقدرها ، يثق بنفسه ثقة كبيرة ولديه إحساس قوي بقدراته الذاتية ومهارته الشخصية ، يعزز نقاط قوته ويعالج نقاط ضعفه ، ويستطيع بسهولة اكتشاف نقاط قوة الآخرين وضعفهم . ولعل أبرز

من أعرف في هذا الذكاء هو الداعية الدكتور عبدالرحمن السميّط (رحمه الله) . صحيح أنّ الدكتور كان يعمل تحت مظلة مؤسسية اسمها جمعية العون المباشر ، لكنها كانت قائمة بعد فضل الله بدرجة كبيرة على العمل الفردي والدؤوب للدكتور السميّط وتضحياته المستمرة التي قلّ نظيرها في خدمة القارة السمراء . قليل الابتساماة ، قليل الأصدقاء ، قليل الحضور الاجتماعي !! والسبب همّ كبير وأهداف ومشروعات ضخمة تشغل كل وقته لمصلحة الأيتام والفقراء وإخوانه المسلمين في إفريقيا . التقيت الدكتور السميّط (رحمه الله) عدة مرات ، وعرفت ذلك الهم الكبير في وجهه وكلماته ومقابلاته ومجلته الغراء الكوثر . زرتة قبل وفاته بأسبوع أنا وابنائي يوسف وعمار وقلت لهما : أحببت أن تنظرا إلى رجل صالح عظيم قبل رحيله ، وأحببت لي ولكما أن نصيب منه دعوة صالحة تنفعنا في الدنيا والآخرة . المثال الثاني في هذا الذكاء هو أستاذ العلوم السياسية الدكتور عبدالله فهد النفيسي (حفظه الله) . رجل قليل الابتساماة ، ذو نظرة حادة ، دائم التفكير والتأمل والتحليل ، قليل الزيارة للدواوين والمجالس إلا لمحاضرة أو اجتماع خاص . صاحب شجاعة وجراءة في طرح آرائه وأفكاره التي يصعب تغييرها أو تليينها .

لعدة سنوات ومن خلال محاضراته وكتاباتاته ولقاءاته كان يرى في إيران نموذجاً للدولة الإسلامية العادلة التي تجسد السماحة وتقبل الرأي الآخر ، حتى كتب الله له زيارة عاصمتها طهران فرأى الكنائس ومعابد اليهود ، لكنه لم يَرَفِ كل طهران مسجداً واحداً للسنة ، فَعَدَلَ عن رأيه وسماها الجمهورية الشيعية بدل الإسلامية . فاز بعضوية مجلس الأمة الكويتي عام ١٩٨٥ ، فقام بواجبه بوصفه نائباً ، وكُرِس معظم وقته من خلال جلسات المجلس ولجانه في المراقبة والمحاسبة الصارمة للحكومة ، لا يهمله زعل أحد ولا رضاه ، يراعي مصلحة الدولة العامة ومصالح الشعب الكبرى المستقبلية . لكن الناخب يريد نائباً يخالطه يقضي مصالحه الشخصية الآنية اليومية ، يوقع معاملة له من هذا الوزير ومن ذلك الوكيل ، يطلب إلى هذا ويترجى هذا . وتوقيع المعاملات يعني سكوتك وتصفيقك للحكومة معظم الوقت .. ولم يكن الدكتور النفيسي بالنائب الذي يفعل ذلك ، فقد كان يعرف قدره ومكانته وطبيعة عمله نائباً ممثلاً عن الشعب . لذلك ليس من الغريب أنه لم يفز في عضوية البرلمان إلا ذلك العام . النموذج الثالث في الذكاء الذاتي هو الدكتور غازي القصيبي (رحمه الله) . ومن يقرأ كتابه الرائع " حياة في الإدارة "

يعرف تميز هذا الذكاء عنده ويستغني عن وصفي له . في حفل زواج ابنه حصر التهنئة في ساعتين ، ولم يجعلها مفتوحة طوال الليل - لعله أول من ابتدع ذلك التحديد - وهي إشارة واضحة لجديته واهتمامه بالوقت والعمل . لذلك يتميز أصحاب هذا الذكاء بكثرة إنجازاتهم وانكبابهم على تنفيذ مشروعاتهم وأهدافهم وأولوياتهم ، وبصمتهم في الحياة واضحة كوضوح الشمس (للقصيبي مثلاً أكثر من ٦٠ إصداراً) .

يناسب صاحب هذا الذكاء أن يكون : جراحاً ، محققاً ، قاضياً ، باحثاً ، مستشاراً ، أستاذاً جامعياً ، مخرجاً ، معلماً لعلم النفس ، معالجاً نفسياً ، مبرمجاً ، مختصاً في العلاج الطبيعي ، مدرباً شخصياً ، مالِكاً لعمل خاص ، أو مدققاً للحسابات والميزانيات .

٨- الذكاء الطبيعي أو البيئي : وهذا الشخص يحب الحيوانات والنباتات والبيئة الطبيعية ، تستهويه موضوعات البيئة والنقاش فيها ، يحب زيارة حديقة الحيوان ومشاهدة البرامج التلفزيونية الخاصة بالحيوانات والطبيعة ، يستمتع بطلعات البر أو البحر أو القرى الريفية

ذات الطبيعة الخلابة ، يحب الغوص واكتشاف الأعماق ، يحب زيارة المراصد الفلكية ، يحب تربية الحيوانات الأليفة ، يتأمل في الطبيعة ، يتذكر أسماء الكثير من الحيوانات والنباتات ، ينتبه ويلاحظ جيداً الأشياء من حوله ، ينتبه لأحوال الطقس ويعرف الكثير من التفاصيل عنه ، ويحب الزراعة بيديه ووجود النباتات من حوله . ويمكن أن يكون الإماراتي علي خليفة بن ثالث خير مثال لأصحاب هذا الذكاء . فعلي بن ثالث عاشق للبحر وعوالمه منذ الصغر ، وهو من أشهر المصورين المتخصصين في التصوير تحت الماء . حصل عام ٢٠١٤ على جائزة القيادة في التصوير الاحترافي من المجلس الدولي للتصوير التابع لهيئة الأمم المتحدة بوصفه أول عربي يفوز بهذه الجائزة ، وهي جائزة للقياديين في مجال صناعة التصوير على مستوى العالم . وابن ثالث عضو ناشط في الحياة البرية والتوعية بأنواع الأحياء المحلية ومواطنها . أقام الكثير من ورشات العمل في التصوير ، ولعل أشهرها عندما درّب متطوعاً الأطفال السوريين في المخيم الإماراتي الأردني للاجئين شمال الأردن على التصوير الفوتوغرافي . كتابه (Truly. Madly. Deeply) الذي أصدره عام ٢٠١٤ حول أسرار البحار والمحيطات هو حصيلة مجهود استمر أكثر من ١٠ سنوات ،

ضم ١٨٠ صورة لمختلف الكائنات البحرية الدقيقة من مناطق مختلفة حول العالم . يقول : لم يُكتشف من عالم الأعماق إلا ٨ ٪ فقط ، تتضمن كل المشاهد المتداولة عبر وسائل الإعلام من أقصى العالم إلى أقصاه ، وهي نسبة ضئيلة جداً بالموازنة بما هو موجود وجوداً حقيقياً من خفايا المجهول في عالم الأعماق . المثال الثاني الذي اخترته لهذا الذكاء هو مصور الحياة البرية وعاشق المغامرة والاكتشاف العماني هيثم الشنفرى . الذي استأثرت الطيور بالنصيب الأوفر من اهتماماته منذ سنوات طفولته الأولى ، ففي معارضه ترى عقاب النساري في لحظة الاستعداد للتحليق ، ترى البلشونات الرمادية وهي تتعارك في الجو مع بعضها ، ترى الأشكال المختلفة لعيون البومة ، ترى خطوات الحجل الرملي على رمال ظفار ، ترى الألوان المميزة لطائر الخطاف الذبابي الإفريقي الفردوسي ، وترى لحظة مميزة للالتقاط طائر الوروار لحشرة تقترب من منقاره ، وترى الشاهين المغربي شامخاً يمسك فريسته بين مخالبه .. باختصار إنك تشاهد ذكاءً بيئياً يتجسد في كل زاوية من تلك المعارض . لذلك ليس غريباً حصول الشنفرى على الكثير من الجوائز والأوسمة محلياً ودولياً من : الخليج واليونان ومقدونيا وأرمينيا وإسبانيا وسويسرا وأمريكا .

ومن المهن التي تناسب هذا الذكاء هي : بَحَّار ، قبطان ، ضابط بحرية ، طبيب بيطري ، باحث في البيئة ، موظف في هيئة الزراعة أو الثروة السمكية ، عالم حيوان أو نبات ، عالم جيولوجي أو آثار أو أرسصاد ، أستاذ في علم الاجتماع ، فلكي .

والسؤال الآن : هل هذه الذكاءات قابلة للاكتساب والتطور ، أم أنها موروثه لا يستطيع الإنسان تعلمها أو تنميتها فيه ؟ يقول صاحب النظرية هوارد جاردنر (٢٠٠٦) : كل شخص لديه القدرة على تطوير ذكاءاته الثمانية لمستوى عالٍ من الإنجاز لو وُجِدَ التوجيه ، والتشجيع ، والبيئة الغنية بالمحفزات . ويقول مؤلفو كتاب " كل شخص قادر على التعلم " : كل شخص يولد بثمانية ذكاءات ، وجميعها قابل للتعلم والتطور . ويقول المؤلف والباحث التربوي الذي نفذ مئات ورش العمل في الذكاءات المتعددة حول العالم ديفيد لازير في كتابه " ثمانية طرق للتعليم " : في الماضي كنا نظن أنَّ الذكاء جامد لا يزيد ولا ينمو ، ذو مقدار واحد ثابت ، ولَدَ الإنسان به لا يستطيع تغييره حتى آخر حياته . لكن الباحثين في مجال الدماغ مثل الدكتورة جين هوستن ، والدكتور

روبرت ماسترس ، والدكتور ويلز هارمان ، والدكتور لويس ماتشادو أكدوا أن لا حدود لمقدار الذكاء ولنموه في أي مرحلة من عمر الإنسان ، وأن حدوده فقط مرتبطة ارتباطاً كبيراً بالصورة الذهنية التي يرسمها المرء عن نفسه ، وباعتقاداته عما يمكنه فعله أو ما لا يمكن فعله . وذكر برنار فوازو في كتابه " نمو الذكاء عند الأطفال " : أن القول إن الذكاء صفة تنتقل بالوراثة هو امتداد لفكرة الفصل بين الأذكياء وغير الأذكياء ، وهو ينطوي على إهدار للاستكشافات الكبرى في علوم النفس الحديثة ، فالواقع أن الذكاء لا يُمنَح للفرد لحظة ميلاده ، وإنما ينشأ ويتكون في مختلف مراحل النمو ، ويخضع لكثير من العوامل مثل مساهمة الوالدين ، المناخ العائلي ، نمط الحياة ، ورغبة الزوجين في الإنجاب . وأشار الملحم في كتابه " تنشيط قدرات الطفل على التعلم " إلى أن أستاذ أبحاث الذكاء غيلفورد وجد أنه بإثراء البيئة وتوجيهها وجهة عقلية مثمرة يمكن أن ترتفع نسبة الذكاء عند بعض الأفراد بمقدار ٣٠ درجة . حتى المهارات الإبداعية أثبتت التجارب الميدانية أنه يمكن تعلمها وممارستها إذا توافرت الرغبة لدى الفرد ، وتوافر المعلم أو المدرب المتخصص (كلنتن ، ٢٠٠١) .

كالفن تاييلور أستاذ الموهبة وصاحب موديل " المواهب المتعددة " ، أقام موديله هذا على أساس اعتقاد أن كل فرد يملك عدة مواهب في عدة مجالات ، وأن كل الأطفال لديهم الإمكان ليرتقوا بمواهبهم ، أو على الأقل بموهبة واحدة إلى مستوى أعلى من المتوسط إن وجدوا التوجيه والتدريب المناسب . وتكاد لا تخلو محاضرة له أو مقالة إلا ويُلَمَّح أو يُصرَّح أن كل الطلاب تقريباً موهوبون ، وعلينا بوصفنا تربويين اكتشافهم وتوجيههم (ميكرو و نيلسن ، ١٩٩٥) . تقول ديفي في كتابها " أيقظ العبقرى الذى بداخل طفلك " : لو تأملت زهرة التوليب لتساءلت : لماذا تنمو هذه الزهرة نمواً رائعاً وجميلاً في أرض هولندا ؟ إنها التربة المناسبة ، الحرارة المناسبة ، الرطوبة المناسبة ، إنها البيئة الصحيحة المناسبة . فإذا كان لهذه الزهرة شروط لحياتها وتفتحها ، فإن مواهب الطفل كذلك تحتاج إلى رعاية وتوجيه وتدريب حتى تخرج وتزدهر وتبهرك في تنوعها وروعها .

لذلك ساهم الكثير من التربويين والمؤلفين بإلقاء الكثير من الإستراتيجيات وطرائق التدريس لتنمية الذكاءات الثمانية وتطويرها لدى المتعلمين والأفراد المهتمين باكتسابها . ولعل أشهرهم توماس آرمسترونغ الذى أثرى من خلال كتبه الرائعة الوسط التعليمي بهذه الطرائق والإستراتيجيات . وأشهر كتبه

تلك " الذكاءات المتعددة في غرفة الصف " و كتابه " أنت أذكى مما تعتقد " . وكذلك كتب ديفيد لازير ، وكتاب جابر عبد الحميد " الذكاءات المتعددة والفهم " الذي استعرض فيه الكثير من الإستراتيجيات في تنمية الذكاءات الثمانية ، كما استعرض تجارب بعض المدارس في أمريكا التي طبقت موديل الذكاءات المتعددة في صفوفها . كما أن كتاب " الاحتفال بالذكاءات المتعددة " الذي ألفه ٣٣ معلماً ومعلمة من مدرسة نيوسيتي في مدينة لويس في ولاية ميزوري الأمريكية قد احتوى على الكثير من الدروس العملية والتدريبات والإستراتيجيات لتنمية الذكاءات المختلفة وتطويرها .

وقد وجد بعض الباحثين أن المدارس التي طبقت الذكاءات المتعددة وفلسفتها وإستراتيجياتها وطرائق تدريسها قد قلَّ عندها الفارق في التحصيل الدراسي بين البيض والأقليات الأخرى ، وأنَّ التقدير الذاتي للمتعلمين قد ارتفع !! فقد أدرك المتعلم أنَّ كل إنسان موهوب يملك ذكاء أو ذكاءين أو أكثر، وأنه ليس شرطاً أن يحسن كل الذكاءات ويمهر فيها . وهذا ساعد المتعلم على تقليل خوفه من الفشل والوصم به ، وصار أكثر رغبة وجراً وانفتاحاً نحو التجريب والتعلم . كما أصبح المتعلمون أكثر مرونة في استخدام أساليب تعلم جديدة مختلفة ومتنوعة ،

وأكثر ميلاً للعمل الجماعي . فبعد أن كان التلميذ عليه أن يصغي ويعمل منفرداً ، أصبح يعمل في الصف في ديناميكية أكثر مع وسائل تعلم مختلفة ، ومع زملاء أكثر ، ومع محترفين وخبراء في مجالاتهم وحرفهم (كامبل و كامبل ، ١٩٩٩) . لذلك يوصي جاردنر باستخدام التدريس المرتكز على المشروعات القائمة على الزيارات والمناقشات والاكتشاف واللقاء مع الخبراء والمتخصصين التي من خلالها يمكن للطلاب أن يبدأوا مبكراً في اختيار قراراتهم ومهنتهم المستقبلية (آرمسترونغ ، ٢٠٠٦) .

وقبيل ختام هذا الفصل .. بودي أن أبرهن لك وأبرهن لطلابك وأحبائك صدق ما قاله جاردنر حول اختلاف الناس في ذكاءاتهم ، واختلاف درجاتها وتفاوتها عند الشخص الواحد ، وذلك من خلال أشهر مقياس للذكاءات المتعددة ، إنه مقياس روجرز الذي عدلته قليلاً لتناسب بنوده البيئة الخليجية والعربية . المقياس مكون من ٥٦ سؤالاً ، تقيس درجة ذكاء الأفراد في الذكاءات الثمانية جميعها ، وتكشف لهم درجة ميلهم وقوتهم في كل ذكاء . الإجابة عن المقياس لن تستغرق منك أكثر من ربع ساعة .. لكن المقياس سيشرح لك عن الكثير عما يجري في حياتك ، ويرشدك إلى أفضل مجالات عملك ونقاط قوتك .

نادرًا	أحيانًا قليلة	أحيانًا	عادة	دائمًا	
☐	☐	☐	☐	☐	١٩. لا أقبل الحقائق بسهولة . بل أناقش وأجادل .
☐	☐	☐	☐	☐	٢٠. أنا جيد في ألعاب التركيب وفهم التصاميم .
☐	☐	☐	☐	☐	٢١. أنا ممتاز في الأنشطة البدنية والرياضية .
☐	☐	☐	☐	☐	٢٢. مقدرتي على فهم مشاعري تسهل علي اتخاذ قراراتي .
☐	☐	☐	☐	☐	٢٣. أود أن أساعد الآخرين مساعدة تخصصية كتقديم الاستشارات أو التعليم .
☐	☐	☐	☐	☐	٢٤. أهتم بأشياء مثل الزراعة وصيد السمك ومشاهدة الطيور .
☐	☐	☐	☐	☐	٢٥. أنا قادر على استخدام الكلمات المنطوقة أو المكتوبة للتأثير في الآخرين .
☐	☐	☐	☐	☐	٢٦. أستمع بالأداء الموسيقي أمام الجمهور ، مثل الغناء أو عزف آلة موسيقية .
☐	☐	☐	☐	☐	٢٧. أحتاج إلى التفسير العلمي لفهم الظواهر الطبيعية كالحسوف مثلاً .
☐	☐	☐	☐	☐	٢٨. أستطيع استخدام الرسومات والخرائط بسهولة ودقة .
☐	☐	☐	☐	☐	٢٩. أستخدم يدي جيداً في الأعمال اليدوية كالنجارة والأعمال الميكانيكية .
☐	☐	☐	☐	☐	٣٠. أدرك تعقيدات مشاعري ومعتقداتي في مختلف الظروف .
☐	☐	☐	☐	☐	٣١. أنا قادر على العمل وسيطاً فعالاً لحل مشكلات الناس .
☐	☐	☐	☐	☐	٣٢. أحترم الدراسات العلمية ، ولا سيما علم النبات والحيوان وعلوم البيئة .
☐	☐	☐	☐	☐	٣٣. لدي إحساس مرهف للأصوات وتركيب الجمل ووزن أبيات الشعر .
☐	☐	☐	☐	☐	٣٤. أمتلك حسناً مرهفاً للايقاعات الموسيقية .
☐	☐	☐	☐	☐	٣٥. أود أن أؤدي أعمال بعض الناس . مثل عمل الكيميائي والمهندس والطبيب .
☐	☐	☐	☐	☐	٣٦. لدي القدرة على الإنتاج في عالم الصور كالرسم والتصوير وعمل الخرائط .
☐	☐	☐	☐	☐	٣٧. أشعر بالراحة والإجاز عند ممارسة الأنشطة البدنية . كالرياضة والمشي .

والآن .. تعرف إلى أنواع الذكاءات التي تملكها من خلال حساباتك في هذا الجدول :

نوع الذكاء	الطبيعي	الاجتماعي	الذاتي	الحركي	البصري	المنطقي الحسابي	الإيماعني	اللغوي
	سؤال رقم 8	سؤال رقم 7	سؤال رقم 6	سؤال رقم 5	سؤال رقم 4	سؤال رقم 3	سؤال رقم 2	سؤال رقم 1
سجل درجاتك								
	سؤال رقم 16	سؤال رقم 15	سؤال رقم 14	سؤال رقم 13	سؤال رقم 12	سؤال رقم 11	سؤال رقم 10	سؤال رقم 9
سجل درجاتك								
	سؤال رقم 24	سؤال رقم 23	سؤال رقم 22	سؤال رقم 21	سؤال رقم 20	سؤال رقم 19	سؤال رقم 18	سؤال رقم 17
سجل درجاتك								
	سؤال رقم 32	سؤال رقم 31	سؤال رقم 30	سؤال رقم 29	سؤال رقم 28	سؤال رقم 27	سؤال رقم 26	سؤال رقم 25
سجل درجاتك								
	سؤال رقم 40	سؤال رقم 39	سؤال رقم 38	سؤال رقم 37	سؤال رقم 36	سؤال رقم 35	سؤال رقم 34	سؤال رقم 33
سجل درجاتك								
	سؤال رقم 48	سؤال رقم 47	سؤال رقم 46	سؤال رقم 45	سؤال رقم 44	سؤال رقم 43	سؤال رقم 42	سؤال رقم 41
سجل درجاتك								
	سؤال رقم 56	سؤال رقم 55	سؤال رقم 54	سؤال رقم 53	سؤال رقم 52	سؤال رقم 51	سؤال رقم 50	سؤال رقم 49
سجل درجاتك								
المجموع								

الأرقام التي تراها في الجدول هي أرقام الأسئلة التي أجبتُ عنها في الصفحات الثلاث السابقة ، عليك فقط أن تضع الدرجة التي اخترتها لنفسك (من ١ إلى ٥ درجات) تحت رقم السؤال الذي أجبت عنه . بعد ذلك احسب أسفل كل عمود مجموع الدرجات التي حصلت عليها لكل نوع من أنواع الذكاءات الثمانية .

إذا كان مجموعك :

(٧ - ١٥) هذا يعني أنك لا ترتاح إلى استخدام هذا النوع من الذكاءات وتحاول دائماً تجنب استخدامه ، فاستخدامه يجعلك أقل ثقة في نفسك وإمكاناتك . لكن تذكر أنك إذا بذلت الجهد والوقت في تعلمه ووفقت إلى المعلم والمدرّب الجيد ، فإنك بلا شك ستتطور فيه ، وربما تتقنه وتتميز فيه .. هذا ما يؤكدّه خبراء الذكاءات المتعددة .

(١٦ - ٢٦) أنت تميل إلى قبول استخدام هذا الذكاء وتشعر بالسهولة والراحة عند استخدامه ، لكنه ليس أول ما تفضل استخدامه .. ربما لأنك لم تبذل جهداً إضافياً في تطويره . تذكر أنّ هذا الذكاء يحتاج

منك إلى القليل من الجهد لتنميته والاحتراف فيه ، لذلك ابحث عن
الخبير الجيد الذي يختصر عليك الوقت والجهد ، ويساعدك بسرعة
على إتقانه .

(٢٧ - ٣٥) أنت تفضل استخدام هذا النوع من الذكاءات وتشعر براحة
ومتعة وسرور عند تطبيقه واستخدامه ، حتى الآخرين يعرفون مدى
تفوقك وتميزك فيه . لذلك ركز جهدك في تنميته وتطويره مبكراً من
خلال اختيارك الصحيح لتخصصك في الثانوية والجامعة ، ومن خلال
العمل في مجال يناسبه ويبرز إبداعك فيه وتمكنك منه .

أؤكد مرة أخرى أن الذكاء قدرة قابلة للتحسُّن ، فهناك دراسات لا حصر
لها كما يشير أندرو مارتن في كتابه " كيف تحفِّز طفلك على التفوق " ،
تُبين أن الكثير من المعلمين يؤكدون أن الطلاب يستطيعون تعلم كيفية
تحسين تحليل المعلومات ، والتفكير الناقد ، ومهارة حل المشكلات ، واتخاذ
القرارات . وهي جميعها من مكونات الذكاء وقابلة للتعلم والتعليم ، وهي
بلا شك تؤدي دوراً رئيساً في تطوير الأداء الدراسي والحياتي .

كلمة أخيرة في ختام هذا الفصل .. يقول جاردنر في كتابه " أطر الذكاء " :
 كان الطبيب النفسي فرويد يفتقد الذكاء الموسيقي ، ويكاسو كان طالباً
 ضعيفاً جداً في اللغة .. لكن هؤلاء المبدعين لا تهزمهم نقاط ضعفهم في
 بعض الذكاءات ، ولا يضيعون أوقاتهم الثمينة في التباكي على ما يُحسّنه
 الآخرون إحساناً أفضل منهم ، بل يتجاهلون ما ويستمررون في التألق فيما
 يحسنون من ذكاءات . ويقول بروشيه في كتابه " أساسيات لياقة الذاكرة " :
 إن معرفتنا لجوانب القوة والنجاح والذكاء لدينا عوامل مهمة وحيوية من
 أجل النجاح ، وكلما استغل الإنسان مواهبه الفطرية زاد رضاه عن ذاته . إن
 لكل إنسان ذكاءه الخاص الذي يميزه عن باقي البشر ، وعليه أن يتعرف هذا
 الذكاء ويحسن استغلاله .

قال ابن عبد البر : أحسن كلمة توارثها الناس بعد كلام النبوة بالإجماع
 قول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : قيمة كل امرئ ما يُحسن .



2008

2016

التفوق لا تحتكره دولة ولا لون ولا جنس ولا عمر .. التفوق كالهواء متاح للجميع

عام ٢٠٠٨ وفي أولمبياد بكين حصل الصبي السنغافوري جوزيف سكولينغ (١٣ عاماً) على صورة وتوقيع مثله الأعلى في السباحة الأمريكي مايكل فيلبس (٢٣ عاماً) أعظم أولمبي في التاريخ وصاحب أكبر عدد ميداليات ذهبية ، فاز بـ ٢٣ ميدالية ذهبية أولمبية . عام ٢٠١٦ في أولمبياد ريو دي جانيرو في البرازيل .. بعد ثماني سنوات من لقاء الشخصين ، وسجل تاريخي لسنغافورة خالٍ تماماً من أي ميدالية ذهبية أولمبية منذ مشاركتها الأولى في الأولمبياد عام ١٩٤٨ ، استطاع سكولينغ تحطيم الرقم العالمي السابق في سباق ١٠٠ متر فراشة ، وفاز بأول ميدالية ذهبية لبلاده ، وتخطى مثله الأسطوري مايكل فيلبس الذي حلّ ثانياً في السباق نفسه .. التفوق كتاب لا مؤلف له ، يستطيع كل جاد تسجيل اسمه فيه .

نقطة التحول السادسة

في الفصل السابع " سؤال أحرصني وغير حياتي " ذكرت أن هناك خمس نقاط تدفع الإنسان إلى التغيير الإيجابي والسعي الجاد نحو النجاح والإنجاز . وتلك النقاط الخمس هي : الصدمة ، الألم ، إشباع حاجة ، التشجيع ، والرغبة والشغف . ويبدو لي أن هناك نقطة تحول سادسة لها بالغ الأثر في حياة الإنسان وإعادة حساباته وعاداته . نقطة التحول السادسة هي الإدراك ، قال صلى الله عليه وسلم : " لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً " متفق عليه . أي أن عدم إدراك المسلم لفضل الصف الأول والتبكير للصلاة وصلاة العشاء والفجر مع الجماعة ، سيجعله مستمراً في عاداته في التخلف عنها وعدم الانتباه لأجرها ، وإدراكه لبركتها سيجعله من القلائل الفالحين الذين هم في سباق يومي عليها . يقول زيج زيجلر في كثير من محاضراته : ثلاثة أسباب تجعل الناس لا تكتب أهدافاً محددة لحياتها : الخوف من الفشل ، الشعور بالدونية ، وعدم إدراك أهمية تحديد الأهداف . فالإدراك متى ما حدث .. قد يكون نقطة انطلاقاً وتغيير مهم في حياة الإنسان . وإليك قصة بنيامين التي تبين ما أقول .

ولد بنيامين في ١٨ سبتمبر عام ١٩٥١ لأب وأم من السود في أحد الأحياء المنعزلة والفقيرة في ديترويت في ولاية ميتشجن الأمريكية . يعني أنه عاش طفولته في عقود التفرقة العنصرية ضد السود وفي زمن المصادمات والاضطهاد والتعدي البغيض . ففي بداية الخمسينيات بدأ صراع السود للتخلص من نظام الفصل العنصري الذي قوبل لسنوات بالسجن والضرب والعصي الغليظة والكلاب البوليسية . حتى إن بعض البيض أطلق الرصاص أو ألقي القنابل اليدوية والحارقة على بعض بيوت رموز المقاومة من السود ، واستخدموا الديناميت في نفسها . مطاعم ونوادٍ ومدارس ووظائف للبيض دون السود ، حمامات عامة للبيض وحمامات عامة للسود ، الأبيض الذي يركب حافلة ولا يجد كرسيًا يجلس عليه ، على الأسود أن يُخلي مكانه فورًا للأبيض . بل إنه من المشهور وقتها أن تجد لوحة معلقة على المحال والمطاعم مكتوباً عليها : " ممنوع دخول القطط والكلاب والرجل الأسود " . هكذا كانت أمريكا في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين ، حتى صدر قانون الحقوق المدنية عام ١٩٦٤ الذي حظر التمييز في الأماكن العامة والعمل والانتخابات العمالية ، ثم قانون حق التصويت للسود عام ١٩٦٥ .

طبعاً القانون لم يعجب الكثيرين من البيض فاستمر التمييز البغيض دهرًا من الزمن ، وخسر السود بسببه زعيمهم الإصلاحى مارتن لوثركينغ بالاعتقال عام ١٩٦٨ .

أغسطس عام ١٩٩٨ في مدينة دنفر الأمريكية أنا وبعض الطلبة من الكويت في حافلة الفندق متجهون صباحًا إلى معهد اللغة في جامعة ريجس ، أشار لي السائق الأسود إلى أحد النوادي الرياضية وقال : أتعلم أن هذا النادي محظور على السود دخوله !! إنه مخصص لطبقة معينة من البيض وهناك الكثير في دنفر مثل هذا النادي . يناير عام ٢٠٠٩ في جامعة بول ستيت في ولاية إنديانا الأمريكية كنت أحد المسجلين في مادة الإرشاد الجماعي التي كانت إحدى مواد الدكتوراه في التخصص المساند لي وهو الإرشاد النفسي . كانت الآنسة جانيت أحد المسجلين معي في تلك المادة ، وهي شابة سمراء مهذبة قوية الشخصية ، صادف أننا اشتركنا في أكثر من مادة قبل هذه المادة . في مادة الإرشاد الجماعي كانت كل جلسة فيها يتطوع أحد الطلبة ليكشف عن مشكلة حقيقية يواجهها ، ليتفاعل بقية الطلبة معه ومشاركته بعض أحداث حياتهم المشابهة لمشكلته ، لعله ينتفع ببعض الحلول والمقترحات .

طبعاً أستاذ المادة يراقب التفاعل ويدير الجلسة الإرشادية ببعض التعليقات والتوجيهات التي تضمن نجاح الجلسة وفعاليتها . وهذا النوع من الإرشاد الجماعي غالباً ما يستخدمه المرشد النفسي للأشخاص الذين يشتركون في المشكلة نفسها مثل : الاكتئاب ، الإدمان ، الاغتصاب ، أو التوتر .

استمر الحال على ذلك حتى أتى اليوم الذي تطوعت فيه جانيت للحديث عن مشكلتها .. وكان الحديث عن بعض ما تعانيه وتشهده من تمييز عنصري ضد لونها الذي لا يزال قابلاً في نفوس بعض البيض . تقول في أثناء عملي قبل أشهر في إحدى محطات الوقود هنا في مدينة مونسى ، دخلت على امرأة بيضاء تريد دفع ثمن البنزين لسيارتها ، لم تناولني بيدها المئة دولار ، بل وضعتها بجانب ماكينة الدفع ، فلما دفعت لها الباقي لامست يدي يدها ، فأسقطت النقود من يدها وأخذت تردد : نيقرس ، نيقرس ، نيقرس .. زنجية ، زنجية ، زنجية . عندها وفي القاعة الدراسية التي سادها الصمت .. بدأت جانيت بيننا بالبكاء الشديد وقتاً طويلاً ، بكاء فاجأني من تلك السمرء الذكية قوية الشخصية . حصل لجانيت ذلك الموقف عام ٢٠٠٩ في القرن ٢١ ، ولك أن تتخيل عزيزي

القارئ ما واجهه الطفل بنيامين ووالداه في تلك الحقبة الغابرة من أشكال التفرقة والتمييز العنصري ضد السود .

بنيامين وشقيقه الأكبر هما ابنا روبرت وصونيا كارسون ، فالأم ربة منزل تركت المدرسة بعد الصف الثالث الابتدائي وتزوجت وهي صغيرة وعمرها ١٣ عامًا ، والأب يعمل في مصنع للسيارات في مدينة ديترويت . كانت حال الأسرة المادية مستقرة وجيدة من عمل الأب روبرت في المصنع ، لكنه بعد مرور الزمن انجر للكحوليات والمخدرات ، ففقد عمله في المصنع ، وأصبح عاطلاً بلا عمل ولا دخل ولا قيمة .. تلك عواقب المسكرات . وكما قيل :

First you take a drink, then the drink takes a drink,
then the drink takes you.

يهرب الإنسان الضعيف إلى وحل المخدرات حتى يغيب بعض الوقت عن واقعه ومشكلاته التي كان عليه أن يطلب عون الله عليها ويقحم نفسه فيها ويواجهها ، بدل أن يعطيها ظهره ويخمد بالمسكر عقله عن التفكير

فيها والعمل على حلها . يصحو من سكرته ليجد المشكلات قائمة في واقعه لم تحل .. فهو لم يسعَ أي سعي جاد نحو تغيير ظروفه ، ولم يبدل تفكيره ومهاراته وعاداته . يحزن الإنسان وهو يرى نفسه ضعيفاً صفرًا لا قيمة له ، عاجزاً عن تغيير حياته وظروفه ، لذلك يهرب مرة أخرى إلى أحضان النشوة المزيفة الوقتية للمخدرات ، لكن بجرعة أكبر وغياب أطول . والنتيجة خراب بيته ، وسكر دائم ، أو موت عاجل ، أو رحمة الرحمن وتوبة المنان الذي لا يغلق بابه في وجه من قصده ورجاه وأناب إليه .

بقي الأب مدمناً عاطلاً ففسد كل شيء .. اشتد الفقر على الأسرة وزادت المشكلات والمعاتبات بين الزوجين ثم وقع الطلاق . وقع الطلاق وعمر بنيامين حينها ثماني سنوات . خافت الأم على أبنائها من الأب المدمن فقررت الرحيل عنه إلى منزل أقاربها بولاية بوسطن في حي فقير مشهور بالعنف والجريمة والمشردين ، تملؤه الجردان والصراصير والروائح الكريهة . لا تملك الأم من المؤهلات ما يُعينها على العمل في وظيفة أفضل من الخدمة في المنازل ، فقد انتهى تعليمها عند الصف الثالث الابتدائي فقط ، لكنها في المقابل تمتلك من العزم والإرادة ما يساعدها

على الاعتماد على ذاتها وعملها ، والتخلص من شفقة الأهل ومساعدة الحكومة البسيطة لأصحاب الدخل المتواضع . كانت تعمل طوال الأسبوع في خدمة المنازل ، تذهب من منزل أقاربها من الخامسة صباحاً وترجع إليه في منتصف الليل ، وقد مرت ليالٍ كثيرة عليها لم تَرَفِها أبنائها من ذلك السهر والعمل المضني الطويل .. كانت ربما تعمل في اليوم الواحد عمليْن أو ثلاثة . بعد عامين من العمل الشاق .. انتقلت الأم وولداها إلى بيت متواضع في ديترويت في حي فقير جداً ، استطاعت أن تشتريه مما وفرته من مال في تلك المدة التي قضتها في العمل في بوسطن .

بدأ بنيامين وأخوه تعليمهما الابتدائي في ديترويت ، وكان دائماً ينظر زملاؤه إليه بأنه طالب غبي وفاشل . حتى إن زملاءه في الصف الخامس الابتدائي أطلقوا عليه لقب " شبكة الأمان " ، وهذا يعني أنه لا داعي لأي طالب أن يشعر بالقلق حول حصوله على أدنى العلامات ما دام بنيامين في فصله ، لأن بنيامين بلا شك سيكون الأخير وصاحب أقل الدرجات . وقد تأثر بنيامين في المرحلة الابتدائية من تلك النعوت والأوصاف وصدقها ، فانزعج من نفسه وصار يُعَدُّ نفسه تلميذاً غيباً لا فائدة منه .

أصبح عدوانياً ذا مزاج عصبي كثير المشكلات السلوكية والدراسية . لكن تلك الأوصاف التي طالت بنيامين في مراحل الابتدائية رفضتها أمه صونيا ورفضت فكرة فشله ، وأصررت على كونه موهوباً وذكياً ، وكررت ذلك أمامه حتى تلغي البرمجة المدمرة اليومية التي يسمعها بنيامين من زملائه التي من شأنها أن تسمم عقله وتشل مواهبه وإمكاناته .

وموقف أم بنيامين ذكرني بموقف أم أديسون !! عندما عاد أديسون الصغير إلى بيته قال لأمه : هذه رسالة من إدارة المدرسة وهي مغلقة كما ترين لم أفتحها .. ماذا يوجد بداخل الرسالة يا أمي ؟ فتحت الأم الرسالة وما إن بدأت في قراءتها حتى غمرت عينيها الدموع ، ولا يدري أديسون أتلک دموع فرح أم دموع حزن !! فقالت له أمه : إن الرسالة تقول .. إنك عبقرى والمدرسة صغيرة عليك وعلى قدراتك ، وعلى ألا أرسلك إلى المدرسة بعد اليوم ، وأن أعلمك في البيت . مرت السنوات وتوفيت أم أديسون التي تحول ابنها إلى أكبر مخترع عرفته البشرية باختراعات بلغت ١٠٩٧ براءة اختراع . وفي أحد الأيام وهو يقلب بعض

الأوراق في خزانة والدته ، وجد الرسالة نفسها وكان نصها : ابنك غبي جداً ، ومن صباح الغد لن ندخله المدرسة . انهار أديسون في مكانه من الحزن ، وبكى ساعات طويلة وهو يتذكر أمه وروعتها ، وكتب في مذكراته : أديسون كان طفلاً غيباً ، ولكن بفضل والدته الرائعة تحول إلى عبقرى .

بمناسبة حصول كيفن دورانت لاعب نادي غولدن ستيت واريورز على جائزة اللاعب الأكثر قيمة Most Valuable Player (MVP) قال أمام الحشد الذي حضر التكريم وحضرته أمه أيضاً : لقد مررنا بأصعب الأوقات أنا وشقيقي وأمي المطلقة ، وكأن الظروف الصعبة سخرت كل ما لديها للوقوف ضدنا . عندما بلغنا ٢١ عاماً أخبرنا الجيران أنه يجب علينا الانتقال من سكننا الاجتماعي الصغير إلى سكن آخر ، فالمكان أصبح يعج بالفتيات والمراهقات الصغيرات ، والكل يخاف على بناته . فانتقلنا إلى مسكن حقير في طرف المدينة لا يوجد فيه سرير ولا قطعة أثاث . بدأت لعب كرة السلة وعمري تسع سنوات ، كنت دائماً متشكك في مهاراتي ، فأنا لا أؤمن بنفسى والكثير أيضاً شككوا بي ، لكن أُمي دائماً كانت تظهر إيمانها بي وتتوقع مستقبلاً باهراً لي في كرة السلة .

أمي من القلائل الذين حضروني لأكون كما أنا عليه اليوم . يا أمي .. أنت من آويتنا من الشارع وغطيتنا بالملابس ووفرت لنا الطعام على الطاولة . كنت لا تأكلين حتى تتأكدي أننا أكلنا ، وأحيانا كثيرة تنامين جائعة . لقد ضحيت بالكثير من أجلنا .. فأنت الذي يستحق جائزة اللاعب الأكثر قيمة ولست أنا . شاهد هذا المقطع المؤثر على اليوتيوب وشاهد اختلاط دموعه مع دموع أمه . راتب كيفن دورانت للعامين ٢٠١٦ ، ٢٠١٧ هو ٥٤ مليون دولار ، يعني ٢٧ مليون دولار للسنة الواحدة .. هكذا بعد كرم الله وتوفيقه يصنع إيمان الأمهات والآباء بأولادهم .

يقول مؤلفا كتاب " تغذية روح الفوز والعبقرية في طفلك " : بعد توجيه الآلاف من الطلاب وتدريبهم على مدار الخمس عشرة سنة الماضية ، اكتشفنا أن الأطفال الذين يثقون بأنفسهم ولا يتأثرون بسهولة بضغط الأقران ، هم الأطفال الذين يتلقون حباً وقبولاً وتقديراً عالياً من والديهم ، فخزان حبهم مليء ولا يحتاجون معه إلى اعتراف أقرانهم بهم (كو و لي ، ٢٠١٣) .

لذلك كثيرًا ما يقول بنيامين : كنت محظوظًا لأن والدتي كانت تدعمني في الوقت الذي لم يكن يساندني فيه أحد . بدأت أم بنيامين بتعليم ابنها جدول الضرب الذي كان يمثل عقدة كبيرة له ، والذي أجادته الأم وهي التي لم تتخطَّ الصف الثالث الابتدائي . فبدأ بنيامين يتعلمه ويحفظه ويحقق علامات مرتفعة في مادة الرياضيات . كانت الأم شديدة الملاحظة ، فقد لاحظت خلال عملها في منازل الأثرياء أن أولادهم كانوا يقضون ساعات طويلة بعد المدرسة في المراجعة والمذاكرة والمطالعة ، بينما أولادها يقضون تلك الساعات في اللعب في الشارع أو مشاهدة البرامج التلفزيونية . لذلك اتخذت قرارات جديدة لتعديل نمط الحياة اليومي لولديها . فذات يوم رجعت إلى المنزل وقالت لولديها : سوف تبدأن بمطالعة الكتب ، وسوف تطفئان جهاز التلفزيون السخيف هذا ، ولكي أتأكد من أنكما تطالعان الكتب وتقرأنها سوف تزوداني بتقارير أسبوعية حول الكتب التي تقرأنها ، تلخصان فيها استفادتكما منها .. عليكم قراءة كتابين في الأسبوع في أي مجال تحبانه . كان أمر التقارير فيما يتعلق بالصبيين أمرًا مضحكًا ، لأنهما يعرفان أن أمهما لا تعرف القراءة ، ويمكن كتابة أي شيء في تلك التقارير ، لكن متابعة الأم وحزمها

وصرامتها جعلهما في خوف من التقصير أو الكذب ، وأكثر جدية في كتابة ما تطلبه إليهما . كانت توهمهم بمعرفتها للقراءة بوضع خطوط على تلخيصاتهم الأسبوعية . طبعاً الجيران والأصدقاء احتجوا على أسلوبها القاسي بالتعامل مع ولديها وحرمانهما من حقهما الطبيعي باللعب كسائر الأولاد ، و لكن الأمر كان قراراً نهائياً لا رجعة فيه .

وما فعلته الأم صونيا بولديها ذكرني بقصة توم بالمر الذي نشأ في إحدى القرى المجاورة لمدينة برادفورد البريطانية . لم يكن توم بالمر يتخيل أن يأتي يوم في حياته يحمل فيه كتاباً ، فهو لا يحب القراءة ، والكتب لا تتضمن موضوعات تستثيره وتستهويه ، وليس لديه وقت للقراءة ، فهو مشغول جداً بالألعاب الإلكترونية وكرة القدم والتلفاز . في أحد الأيام .. وكان توم مراهقاً في الخامسة عشرة ، أهدته أمه كتباً عن كرة القدم التي هو مولع بها ، لعلها تكون بداية صداقة مع الكتاب وخطوة ذكية في حب القراءة ، وهذا فعلاً ما حدث !! فقد أحب توم قراءة ذلك النوع من المجالات والكتب الرياضية ، لينتقل وهو في سن العشرين إلى قراءة الروايات . كانت " مرتفعات وزرنج " لصاحبته إميلى برونتي أول

رواية قراها وهي التي شجعتة على قراءة المزيد والمزيد من الروايات .
اليوم البريطاني توم بالمر يُعدُّ أحد أشهر مؤلفي روايات الخيال العلمي
للمراهقين .

ويبدو أنَّ دفع الشباب إلى عادة القراءة طمعاً في تثقيفهم وتوسيع مداركهم
يحتاج إلى الكثير من التشجيع والإبداع بعد أن شغلتهم أمور أخرى عنها .
أهديت كتابي " كيف أصبحوا عظماء " إلى أحد أحب الطلاب إلى قلبي
الذي أنهى الثانوية العامة بمعدل كامل أربعة من أربعة ، وتفوق أيضاً في
تخصص الهندسة الميكانيكية . رأيتة بعد تخرجه فقال لي : كتابك يا دكتور
" كيف أصبحوا عظماء " هو الكتاب الوحيد الذي قرأته كاملاً ، ولم أقرأ أي
كتاب غيره . طالب بهذا الذكاء وهذه الجدية ، قد بلغ من العمر ٢٣ سنة ،
لم يقرأ في حياته إلا كتاباً واحداً !! يا للعار . يقول ماكسويل في كتابه
" ١٥ قانوناً لا يقدر بثمن للنمو " : ثلث خريجي الثانوية في أمريكا لا يقرؤون
أي كتاب حتى آخر حياتهم ، وبالمثل ٢٤ ٪ من خريجي الجامعات لا يقرؤون
أي كتاب مطلقاً بعد الجامعة . ويزعم الناشر ديفي جودين أن نسبة ٣٢ ٪ من
سكان أمريكا هم فقط من ذهبوا إلى أحد متاجر بيع الكتب .

كان بنيامين يحب علم الحيوان وعلم الصخور ، فكان يقرأ في البيت أو في المكتبة العامة ، ويطبق تطبيقاً عملياً على البيئة الفقيرة التي كان يعيش فيها بين المسكك الحديدية . في أحد الأيام دخل مدرس الجيولوجيا و بيده صخرة و سأل الطلاب : من يعرف اسم هذه الصخرة ؟ طبعاً انتظر بنيامين الطلبة الأذكياء ليحيبوا ، ولم يجب أحد . انتظر البقية .. وانتظر وطال انتظاره ولم يجب أحد . وفجأة أغبى طالب بالصف يرفع يده ليحيب عن السؤال !! انفجر الطلاب من الضحك مع شيء من الاستغراب من تصرف بنيامين الغبي الذي كان مشهوراً بغائه ورسوبه في المواد جميعها . قام بنيامين مقاطعاً الضحك والاستغراب وأجاب عن السؤال إجابة كاملة ، مع وصف كامل للصخرة البركانية التي كانت بيد المدرس وطريقة تشكلها من تصادم الحمم المنصهرة مع الماء البارد . هنا انتظر الطلبة بفارغ الصبر رد المدرس .. فإما أن ينبهروا بالمخلوق الجديد أو ينفجروا بالضحك كعادتهم معه . فقال المدرس وهو في حال صدمة واندھاش : أحسنت يا بنيامين الإجابة صحيحة . في تلك اللحظة أدرك بنيامين أن السبب وراء إجابته المتقنة التي أدهشت الجميع هي طريقة أمه في إلزامه بالقراءة وكتابة التلخيصات . في تلك اللحظة .. قرر بنيامين أن يوسع مجال القراءة لديه ويبدأ بقراءة المنهاج الدراسي المقرر عليه ،

فأصبح لا يضيع دقيقة واحدة من وقته من دون دراسة . ارتفع مستواه حتى أصبح أوائل الطلبة في مدرسته يأتون إليه لاستشارته في بعض المسائل .

" بنيامين ضع الكتاب جانبا وتناول طعامك " .. هكذا صارت فيما بعد تنبيهات الأم لولدها !! فبعد فترة طويلة من القراءة وكتابة التقارير .. عشق بنيامين القراءة وانكب على مطالعة الكتب وأدمنها ، وصار يصطحبها معه حتى إلى مائدة الطعام . يقول بنيامين : حتى وصلت إلى نقطة بحيث إنه إذا توافرت لي خمس دقائق كنت أطلع كتابا ، لا يهم المكان الذي أكون فيه ، أنتظر الحافلة أو في الحافلة أو حول مائدة العشاء . بعد القراءة الكثيرة واطلاع بنيامين على قصص العظماء وقصص ملهمة لأشخاص عانوا كثيرا في بداياتهم قبل أن يلمعوا ويشتهروا في النهاية ، أدرك إمكان أن يصبح مثل هؤلاء العظماء . وكانت قصة يوسف (عليه السلام) التي قرأها في التوراة من أكثر القصص تأثيرا فيه . من النفي في البئر والاسترقاق والسجن إلى نهاية سعيدة أصبح فيها يوسف (عليه السلام) عزيز مصر !! كما تأثر بنيامين أيضا من السيرة الذاتية لبوكرتي واشنطن (١٨٥٦ - ١٩١٥) التي قرأها في كتابه " نهوضا من الاسترقاق " .

بوكرواشنطن الذي ولد عبداً في مزرعة في غرب فرجينيا وعمل في العاشرة من عمره في فرن للملح ، تمكن لاحقاً من تأسيس معهد توسكيجي لتدريب المعلمين ، تأليف ستة كتب ، أصبح أحد أبرز المفكرين والقادة المطالبين بالحقوق المدنية للسود ، وشغل منصب مستشار لرئيسين أمريكيين .. الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت (١٩٥٦ - ١٩١٩) والرئيس الأمريكي ويليام هوارد تافت (١٩٥٧ - ١٩٣٠) . من حُكم بوكرواشنطن المشهورة قوله : النجاح لا يقاس بالمناصب التي وصل إليها الإنسان ، بل بالعقبات التي تغلب عليها . وقوله : الحياة لا تمنحك ما تحلم به طواعية ، إنما تمنحك ما كان نتيجة عمل شاق ومُجهد .

يقول بنيامين : أدركت بعد القراءة الكثيرة عن أشخاص ناجحين أن الشخص الذي يحدد ما يحدث لك هو أنت وليس أي شخص آخر . ليس لأي ظروف اجتماعية أو اقتصادية أو بيئية تأثير على مستقبل الإنسان ، بل أنت وما تختاره لنفسك . وعندما أدركت ذلك .. لم يعد الفقريز عجني ، ولا لون بشرتي . لم يعد يزعجني أي شيء مهما كان ، لأنني أدركت أنه يمكنني تغيير ذلك . لا يهم المكان والظروف التي ولدت فيها ما دمت تملك

دماغاً سليماً ، فالدماغ هو الذي يحدد من أنت ، أما فيما عدا ذلك فهي أشياء لا قيمة لها . أتأسف عندما أرى الناس تضع اهتماماً مبالغاً فيه بالمظهر .. نقل عن الفيلسوف اليوناني سقراط قوله " تكلم حتى أراك " ، وهي إشارة من هذا الفيلسوف إلى أن الحكم على الأشخاص ينبغي أن يكون على منطقهم وعقلهم لا على مظهرهم وأشكالهم .

بفضل القراءة التي أدمنها وما تمنحه لهواتها من توسيع المعارف والمداير ، تميز بنيامين كارسون بين زملائه واشتهر اسمه على لسان معلميه ، فتفوق في المرحلة المتوسطة وحصل على المرتبة الأولى في الصف الثامن نهاية المرحلة المتوسطة ، وكذلك فعل في المرحلة الثانوية والجامعية . التحق بكلية الطب بجامعة متشيجن وتفوق فيها ، ثم تخصص في جراحة الأعصاب ، ثم أصبح وهو في عمر ٣٢ عاماً مديراً لشعبة طب الأطفال في جراحة الأعصاب في مستشفى جونز هوبكنز في مدينة بالتيمور (ولاية ميرلاند الأمريكية) .

وصل إلى العالمية عندما قاد عام ١٩٨٧ فريق جراحين أدى أول عملية ناجحة لفصل توأم ملتصق .. استمرت العملية نحو ٢٢ ساعة انتهت

بفصل توعم ألماني ليعيشا بعد العملية حياة طبيعية . أتقن بنيامين كارسون إجراء عملية استئصال نصف الدماغ عند الأطفال ، وساعد بفضل الله وتوفيقه عشرات الأطفال على العودة إلى حياتهم الطبيعية من خلال تلك العملية الجراحية الصعبة . أُلّف بنيامين كارسون ٩٠ كتاباً طبياً ، ومنحه الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن عام ٢٠٠٩ الميدالية الرئاسية للحرية ، وأصبح مشهوراً شهرة كبيرة ، وكثر ظهوره التلفازي كما كانت تطمح أمه . تحولت تجربته الملهمة إلى فيلم اسمه Gifted hands يحكي قصته ومسيرة حياته . عام ٢٠١٦ كان بنيامين كارسون أحد أبرز أعضاء الحزب الجمهوري الذين نافسوا زميلهم دونالد ترامب على الترشح لمنصب الرئيس ضد مرشحي الحزب الديمقراطي .

ومن أهمية الإدراك في أمريكا إلى أهميته في سنغافورة !! عام ١٩٩٩ كانت سنغافورة هي خاتمة رحلتنا الصيفية للشباب التي قضينا منها ثمانية أيام في ماليزيا ، شهراً في قولد كوست في أستراليا لدراسة اللغة الإنجليزية ، ثم سنغافورة ثلاثة أيام . في أثناء تسوقي مع الشباب في سنغافورة ، وقعت عيناى في إحدى مكتباتها على كتاب جذبني عنوانه وغلافه ، اسمه

I Am Gifted So Are You ، مؤلفه شاب سنغافوري لم يتجاوز ربما الخامسة والعشرين من العمر . كانت الصفحات الأولى من الكتاب تحكي قصة المؤلف التي استمتعت بقراءتها أيمًا متعة .. إليكم القصة من قلم المؤلف آدم كو .

في المرحلة الابتدائية التي تتكون من ستة صفوف ، فهمت من أبويّ والمعلمين والأصدقاء أنني طالب عادي جداً ، بل صُنِّفتُ أنني طالب لا أمل له في التعلم . كنت أنسى ما أتعلمه باستمرار ، وأرتكب أخطاء بسبب الإهمال ، وكنت سيئاً في مادتي الرياضيات واللغة الصينية . أستاذ اللغة الصينية دائماً ما يصفني بالغبي وأناي حال ميؤوس منها ، حتى كرهت المادة وأصبحت لا أحصل على أعلى من ٣٠ ٪ في أي اختبار شفوي أو تحريري فيها . كان والداي يشعران بالإحباط لأنني لا أستطيع تذكر جدول الضرب أو كلمات صينية بعد عشر دقائق من تعلّمي إياها . رسبت في معظم الاختبارات ، وصُنِّفتُ بأنني أعاني قصوراً في الانتباه ، وأنني تلميذ بطيء التعلم . كثيراً ما سمعت معلم الرياضيات وهو يقول لوالدتي : ابنك لا يفهم ولا يتعلم .. وهذا تصنيف واتهام صدقته وحملته معي إلى صفوف أعلى .

في عمر الثامنة .. في الصف الثالث الابتدائي طردت من مدرستي الأولى الابتدائية (مدرسة القديس ستيفنز) لسوء السلوك ولسوء التحصيل الدراسي . ولحسن الحظ ألحقتني أمي بمدرسة ابتدائية أخرى اسمها نيجي آن بعد الكثير من التوسلات والاستجداء . لم يتبدل شيء ، وواصلت الإهمال وعدم المبالاة والدخول في المشاجرات والعبث .

تخرجت في المرحلة الابتدائية بمعدل مقبول تحت المتوسط ، وهو معدل لم يسمح لي بدخول أي من المدارس الثانوية الدنيا الست المتميزة التي يفضلها والداي ويفضلها المجتمع السنغافوري من حولنا . فبعض المدارس الثانوية الدنيا (التي تتكون من أربعة صفوف) لا تقبل إلا من يكونون ضمن أفضل ١٠ ٪ من خريجي المدارس . بالطبع لم أدخل مثل تلك المدارس ، لقد حُوِّلت إلى مدرسة جديدة بالجوار اسمها بينج يي التي لم يسمع أحد عنها من قبل ، كانت واحدة من المدارس التي تحتل منزلة متدنية للغاية في سنغافورة في ذلك الوقت . وبرغم من أنني حظيت بمعلمين رائعين ، اخترت المجموعة الخاطئة من الزملاء وبدأت أدخن وأتشاجر مع الآخرين من جديد . كان مستواي الدراسي ضعيفاً جداً في

الصف السابع ، رسبت في ست مواد من أصل ثمانٍ . كان ترتيبي في المدرسة يقترب من القاع . كانت المدرسة تضم ١٦٠ طالباً ، وقد صنفت بعد الصف السابع أني من أكسل ١٠ طلاب من مجموع الطلاب جميعاً . شعرت بالعجز التام .. كنت أومن بأنني لست ذكياً كباقي الطلبة ، كنت أومن بأنني لن أحقق نتائج جيدة مطلقاً مهما حاولت وذاكرت . ومما زاد الأمر سوءاً أن من حولي جميعهم أكدوا هذه الصورة السلبية التي كونتها عن نفسي .. المعلمون ، الآباء ، الأقارب ، والأصدقاء .

وهذا تصنيف زاد من سلوكي السيئ كثيراً ، فصرت مشاغباً أفتعل المشاجرات وأسبب المشكلات التي بها يضيع وقت الساعة الدراسية ووقت الطلاب الأذكياء . أصبحت إثارة المتاعب ومضايقه المدرسين أفضل وسيلة أرفه بها عن نفسي داخل المدرسة . والحقيقة أن تلك المشاغبات كانت مسرح إلهاء أصرف به تركيز المعلمين والطلاب عن عجزتي وغبائي .. فمن ليس له حيلة فليحتل . كانت مهارتي الاجتماعية مزرية ، فكانت العواقب وخيمة والتمن باهظاً .. صرت بلا أصدقاء مكروهاً منبوذاً من الجميع . صار مستوى تقديري لذاتي وثقتي في نفسي في الحضيض ، ومما زاد الأمر

سوءاً طلاق والديّ الذي جعلني أكثر إحباطاً وانعزلاً ، وشعرت بعد وقوعه أن الجميع يحتقرونني . وبعد أن تزوج أبي مرة أخرى ، علمت أن زوجته الجديدة لديها ابنة متفوقة في مدرسة رافلز للفتيات (من أفضل المدارس في سنغافورة) ومشاركة في برنامج الموهوبين ، وهذه موازنة زادتنني إحباطاً وجعلتني أشعر بفشلي المزري .

خلال تلك السنة الدراسية حاول أبي تدارك وضعي الدراسي المتدهور ، فألحقني بالدروس الخصوصية لعلها ترفع شيئاً من درجاتي المتواضعة ، لكن هيهات هيهات لمثل هذه الدروس أن تنفعني بشيء . تصنيفي بالغبّي والكسلان ، والصورة الذهنية القبيحة التي أحملها عن نفسي ، أصابتني بالعجز وحالت دون استفادتي من هذه تنفعني بشيء الدروس الخصوصية ، فظلت درجاتي في مستواها الضعيف نفسه لم تتبدل ولم تتحسن . في الحقيقة أنني لم أتحسن في أي شيء مهما فعلت ، لم أكن موهوباً في الموسيقى ، ولم أظهر أي براعة في المجال الرياضي ، كنت عادياً في المجالات جميعها . حتى الكشافة طُرِدْتُ منها بعد ستة أشهر لعدم استطاعتي اجتياز الاختبار الأساسي اللازم للتأهل لها .

كما صرت مدمناً على ألعاب الكمبيوتر وبرامج التلفاز الغبية ، غارقاً في
الذهول أمام شاشاتها .

عام ١٩٨٧ في الصف الثامن وعمري ١٣ عاماً .. سمع أبي عن دورة
تحفيزية اسمها " الفتيان العظماء " ، وهي دورة تدريبية تعلم الطلاب أهم
المهارات الدراسية للتفوق ، وتخلق رغبة حقيقية في نفوس الطلاب نحو
التعلم والتميز ، فقرر أبي إشراكي في تلك الدورة . الدورة مدتها خمسة
أيام وكل يوم يتضمن أربع ساعات تدريبية . كان المدرب مائلياً اسمه إرنست
ونغ ، وقد أكد على مسامعنا مراراً وتكراراً أنه لا يملك أن يغير إنساناً ،
إنما هو يعطي أدوات ومهارات واختيارات للحياة ، والمتدرب هو الذي يختار
لنفسه . إما الحياة الناجحة وإما الحياة الفاشلة ، إما الإقلاع نحو القمم
أو الانحدار نحو القيعان .

بعد أيام الدورة .. أدركت أنه حتى العاديين منا يملكون القوة ليصبحوا
من العباقرة والقادة ، وأدركت أن الاعتقادات السلبية عن نفسي هي من
أرجعتني إلى الخلف وقيدتني عن الحراك . أدركت أن الجميع بمن فيهم

أنا يملك أداة مذهلة هي العقل ، لا حدَّ لإمكاناته وطاقاته ، علينا فقط استثارته واستثماره . التقديرات تشير إلى أنه إذا رُكِّبَ جهاز كمبيوتر يضاهي السعة التخزينية وقدرة المعالجة للبيانات التي يمتلكها العقل البشري ، فإنه سيحتاج إلى مكان بطول ٥٠ ملعباً لكرة القدم بارتفاع تماثل الحرية .. هذا هو العقل البشري !! وهو أداة أملكها تحت جمجمتي . لذلك غيرت نظرتي إلى نفسي ، وبدأت أنظر إلى نفسي أني طالب متميز موهوب . بعد ثلاثة شهور فقط من ذلك الاعتقاد الجديد عن نفسي ومن تلك الإستراتيجيات والعادات ، رفعت نسبتي من ٥٢ ٪ إلى ٧٠ ٪ . في نهاية الصف التاسع والتخرج في الثانوية الدنيا كان ترتيبي الطالب الـ ١٨ بعد أن كنت في المرتبة ١٥٨ .. يا له من فارق !

دخلت الثانوية العليا ، وتَبَنَيْتُ في أول سنة فيها معتقداً جديداً وهو " ما يمكن للآخرين فعله ، أستطيع أنا فعله " . هؤلاء الأذكى في مدرستي ليسوا جنساً غير جنسي ولا عقلاً غير عقلي ، إنهم لا يملكون عقولاً خارقة ، لكن لهم عادات وإستراتيجيات في الدراسة لا أعرفها ولا أطبقها . القاعدة تقول من جدَّ وجد ومن زرع حصد ، إن طبقت إستراتيجيات هؤلاء الأذكى

وعاداتهم في الدراسة بالتأكيد سأجني الذي يجنون ، وسأتصدر المكانة التي يتصدرون . كذلك عمدت إلى تحفيز نفسي وتحديها عن طريق تحديد ثلاثة أهداف .. أهداف بدت مستحيلة وجنونية . أول هذه الأهداف أن تصدر مدرستي الثانوية العليا خلال عام ، الثاني : أن أعمل جيداً بما يكفي للتأهل للالتحاق بأفضل معهد للتأهيل للجامعات في سنغافورة (مقاعده محجوزة لأفضل ٥ ٪ من الطلاب في البلاد) ، والهدف الثالث : هو التأهل للالتحاق بجامعة سنغافورة الوطنية وتحقيق مركز متقدم بين طلابها الأوائل . استخدمت مبدأ القدوة والمحاكاة ، وبدأت أدرس الإستراتيجيات والعادات الدراسية التي يستخدمها أفضل الطلاب للوصول إلى نتائجهم الرائعة .. قلدت أنماط تفوقهم . كيف دُونُوا الملاحظات ؟ كيف كانوا يحتفظون بشغفهم ؟ كيف كانوا يركزون ؟ كيف كانوا يحتفظون ؟ كيف تعاملوا مع المفاهيم والاختبارات الصعبة ؟ جمعت تلك الإستراتيجيات والمهارات وبدأت في تطبيقها ، وبدأت أفكر كما يفكرون وأتصرف كما يتصرفون .

في الصف الحادي عشر ولأول مرة في حياتي أحصل على الامتياز في المواد جميعها ، بعد أن كنت في الثانوية الدنيا أنجح في مادتين من أصل

ثمانٍ ، وحصلت على مركز بين الطلاب العشر في مرحلتي . في الصف الثاني عشر تصدرتُ المدرسة بأعلى مجموع تراكمي ، وأصبحت الطالب الوحيد والأول في مدرستي الذي يتأهل للالتحاق بمعهد فيكتوريا (المعهد الأفضل للتأهيل للجامعات بسنغافورة في تلك السنة) . وبعد التأهيل .. استطعت الحصول على قبول في جامعة سنغافورة الوطنية التي تفتح أبوابها لأفضل ١٠ ٪ فقط من طلاب البلاد . دخلت كلية إدارة الأعمال ، وخلال كل أعوام دراستي في جامعة سنغافورة الأهلية كان اسمي يتصدر قوائم الشرف . قُيِّمْتُ بأني من أفضل ١ ٪ من الطلاب على مستوى البلاد الذين حققوا إنجازات ملموسة على أرض الواقع ، وأصبحت رائداً في تطوير المواهب في الجامعة ، كما أصبحت مدرباً لدورة " الفتيان العظماء " مع إرنست ونغ .

عندما تخرجت في الجامعة في سن ٢٤ كنت قد أنشأت شركتين رابحتين ، وبدأت برنامجاً تدريبياً للأطفال من ٧ إلى ١٢ سنة اسمه " الأطفال العظماء " ، وبرنامجاً للمراهقين اسمه " أنا موهوب وكذلك أنت " ، يدرب البرنامج معاً حوالي أكثر من ١٣ ألف تلميذ في سنغافورة وماليزيا

وإندونيسيا . على مدار العامين التاليين وَسَّعْتُ أعمالي وأصبحت الرئيس التنفيذي لشركة Adam Khoo Learning Technologies (واحدة من أكبر شركات التدريب والتدريس الآسيوية) ، واستثمرت בזكاء في سوق الأوراق المالية والعقارات . وهذا كله ساعدني على الوصول إلى أول مليون وأنا في سن ٢٦ . كنت أجنبي ما يقرب من ٢٠٠٠ دولار في الساعة أجراً للخطابة . بعد ذلك بسنوات .. استطعت تدريب أكثر من نصف مليون متدرب من الطلاب والمعلمين والمهنيين والتنفيذيين وأصحاب الشركات ، وصنفت من بين أصغر ٢٥ سنغافورياً تحت سن الأربعين يديرون أعمالاً دخلها السنوي أكثر من ٣٠ مليون دولار .

انتهت قصة آدم كو الذي كتبها لكم في كتابه الممتع " أنا موهوب وكذلك أنت " الذي نشره عام ١٩٩٨ ، وأصبح الكتاب رقم واحد في قائمة الكتب الأكثر مبيعاً في سنغافورة في غضون ستة أشهر . والمتأمل لنقطة التغيير التي طرأت على حياة آدم سيجده الإدراك الذي تجلّى له من خلال حضوره لدورة أستاذه إرنست ونغ ، إدراكه أنَّ التفوق متاح للجميع لا يحتكره أحد أو فئة صغيرة من الناس ، إنما هو ببساطة حليف ونتيجة

لمن مارس قواعده وإستراتيجياته ومهاراته . أدرك أنه من جد وجد ومن زرع حصد ، ومن بذل الأسباب الصحيحة أتته بعد توفيق الله ومشيتته ما يرجو من النتائج . لذلك أقول إنَّ القراءة والدورات الاحترافية التي يحضرها المرء لتطوير مهاراته وأدائه هي روافد مهمة لتنوير العقل وتوسيع المدارك ، وربما نقاط تغيير جذرية إيجابية في حياة الأشخاص كما حدث لبنيامين كارسون وآدم كو .. وربّ مبلغ أوعى من سامع .

صيف ٢٠١٤ ، مررت على مكتبة جرير في الدمام واكتشفت أن لآدم كو ثلاثة كتب جديدة مترجمة إلى العربية (مع العلم أن له حتى ذلك التاريخ عشرة كتب باللغة الإنجليزية) . تلك الكتب الثلاثة المترجمة كانت بعنوان : سيطر على عقلك صمم مصيرك ، تغذية روح الفوز والعبقرية في طفلك ، أسرار المراهقين الناجحين . كتبها بعدما ناهز الأربعين ، ودرب مئات الآلاف من الناس ، ورأس الشركات ، وعرف عن عوامل النجاح ومبادئه وقوانينه الشيء الكثير . وأحببت هنا أن أخص لكم أهم نصائحه الست التي ركز عليها في كتبه الثلاثة التي أعدها ركائز ضرورية للنجاح .

النصيحة الأولى : أنت مسؤول عن نجاحك ، فلا تُلقِ باللوم على الآخرين .

عندما تلقي اللوم على شخص ما فأنت تمنحه قدرتك !! إذا رسبت في اللغة الإنجليزية وألقيت باللوم على معلمك لكونه سيئاً ومملاً ، فهذا يعني أن معلمك يتحكم في نجاحك ، وأنت لا تملك القدرة على تغيير نتائجك ، معلمك فقط من يستطيع تغييرها . وهذا هو السبب وراء شعور الخاسرين بالعجز واليأس وقلة الحيلة ، فهم يؤمنون بأنه لكي تتغير الأشياء لا بد للآخرين أن يتغيروا .. الأشياء من حولهم تتحكم في دفة حياتهم . لذلك كثيراً ما تسمعهم يقولون : لم يكن لدي وقت للمذاكرة ، كان الاختبار شديد الصعوبة ، المعلم لا يجيد الشرح ، المادة مملة ومعقدة ، أو ليس لديّ حظ . أما الفائزون فهم من يختارون مسؤولية حياتهم ، فإذا رسبوا في الاختبار وجَّهوا أصابع الاتهام إلى أنفسهم : لم أدرس بما يكفي من الوقت ، لم أتمرن كثيراً على حل الاختبارات والمسائل ، لم أتكلف سؤال الأساتذة أو الطلبة الأوائل عمّا أشكل علي من الأسئلة ، لم أستخدم الإستراتيجيات الصحيحة في المذاكرة .. وهكذا هم يعرفون وبوعي أنهم أصحاب

الاختيارات والقرارات في صناعة مستقبلهم ، وأنهم يملكون القدرة على تغيير نتائجهم إلى ما يريدون . هذا الإدراك حسن فرصهم في التحكم بالأمور ، فبدلوا جهوداً مضاعفة ، وتجنبوا الرسوب (مارتين ، ٢٠٠٥) .

كشفت دراسة على ٣٠٠ قائد من الطراز العالمي مثل روزفلت وتشرشل وغاندي ومارتن لوتر كينغ أن ٢٥ ٪ منهم كانت لديه إعاقة جسدية كبيرة ، و ٥٠ ٪ منهم قد أسوء إليه وهو صغير ، أو تربى في فقر وضيق عيش . لكن قادة الطراز العالي استجابوا إيجابياً لهذه الأحداث التي وقعت عليهم بدلاً من أن يردوا عليها رداً سلبياً . تذكر .. ليس ما يحدث لك هو المهم ، بل طريقة تعاملك مع الحدث ، فهذا هو الذي يُحدثُ الفارق الكبير في حياة الأشخاص . كان والد نيل رودنستاين حارساً في السجن ، ووالدته نادلة بدوام جزئي في مطعم ، اليوم الدكتور نيل هو رئيس جامعة هارفارد ، وهو يقول : ليس المهم المكان الذي ولدت فيه ، ليس المهم من كانت أمك ؟ أو من كان أبوك ؟ المهم .. من ستكون غداً ؟ وما العمل الذي ستؤديه ؟

يقول مهدي (١٩٩٨) في كتابه " الذكاء والتفوق والعقد النفسية " : ما أسرع ما تتشبث عزيمة الفرد ، فيلوذ بمسوغات وتبريرات يحسبها حلاً مقلقة ، إلا أنَّ العباقرة وذوي الشخصيات القوية تتفاعل المعوقات في نفوسهم ، فتبعث بداخلهم نوعاً من العناد والإصرار يدفعهم نحو أهداف الكمال . إنَّ الكثير من تقدم الإنسان وتطوره نابع من الشعور بالنقص في بعض حاجاته الذي يدفعه جاداً في سعي حثيث لتعويض ذلك النقص ، وربما كان لون عنتره بن شداد سبب اندفاعه في مجال الشجاعة والقوة .

أجرى الباحثون وانغ وهيرتل ووالبرغ (١٩٩٣) تحليلاً مُعمقاً لأكثر من ١١ ألف عامل مؤثر في تعلم الطلاب ، واكتشفوا أنَّ المشاركة النشطة في عملية التعلم ، ومشاركة الطلاب في وضع أهدافهم كانا العاملين الأكثر تأثيراً في نجاح الطلاب . وقالوا في نتيجة البحث : إنَّ جعل الطلاب يتحملون المسؤولية تجاه تعلمهم سيترك آثاراً إيجابية مضاعفة على مدى السنين ، مما يؤدي إلى زيادة شعورهم بالفاعلية الذاتية والتحكم باختياراتهم (كونزيميس ومورجانت-فيشر ، ٢٠١٤) . كما إنَّ إحساس الطالب بكفاءته ومسؤوليته يمنحه الشعور بالقوة والعكس صحيح ،

فالتألب الذى ىعتقد أن أسباب نجاحه وفشله خارجة عن إرادته - كذكائه الفطرى - سىصاب بالإحباط والشعور بالانهزام وعدم القدرة على التصرف ، أما إدراكه أن الجد والمثابرة يمكنهما التعويض عن الملكات الطبيعية ، وأنهما يحدثان فرقاً فى مستقبل الإنسان ومهاراته ونموه ، فهذا سىجعله أكثر انضباطاً ومثابرة (دانيلسون ، ٢٠١٠) .

اسأل طلاب الثانوية اليوم من منهم ىعرف أهدافه وىحددها تحديداً واضحاً ودقيقاً ؟ من منهم شارك فى تعليم نفسه ؟ من منهم يحضر لدروسه تحضيراً يومياً ؟ من منهم بدأ مراجعة دروسه مع بداية السنة الدراسية وليس عند مشارف الاختبارات ؟ من منهم يلخص دروسه مستخدماً الصور والجداول والألوان ؟ من منهم عودّ يده وذهنه على حل مذكرات اختبارات خارجية حلاً دورياً ؟ بالكاد سىجيبك بالإيجاب اثنان من كل مئة ، فالسواد الأعظم سىظلون يرددون حتى آخر يوم فى أعمارهم أعداراً وتبريرات واهية ، مسقطين عجزهم وفشلهم وانسحابهم على العين والسكر وصعوبة الاختبارات والمعلمين الذين لا ىحسنون الشرح والإيضاح .. هكذا هو دائماً جواب العاجزين والفاشلين ، وما يردده وىصدق

بكل سداجة الآباء . الآباء الذين يستمرون بالإتيان بالدروس الخصوصية إلى بيوتهم وكأنهم يقيمون قمعاً مقصوداً مكثفاً عادة مشاركة الطالب تعليم نفسه ، واكتفائه بالسماع الذي هو أضعف الحواس تأثيراً في فهم الطالب وتعلمه . بدلاً من أن يغذوا في أبنائهم الاعتماد على النفس والاستقلالية ومواجهة الصعوبات والتحديات - التي هي في الغالب فرص نمو ونجاة وتوسيع حيل ومدارك - فإنهم يعلمون أبنائهم أن يكونوا كائنات طفيلية مستهلكة تعتمد على الآخرين ، بلا مهارات ولا مبادرات ولا فرص نمو واستقلالية ، يحيون حياة المتطفل عليه ويندثرون ويتلاشون بموته ، كالقمل والبراغيث والفطريات والفيروسات . يتطفل على الآخرين فينسخ واجبات غيره ، يصور التلخيصات الجاهزة ، يتلف في الاختبارات فيغش من هذا ويغش من ذاك .. دائماً هو عالة على غيره . نصيحتي لك أيها الطالب أن تحاسب نفسك أولاً عن إهمالك وكسلك وتسويفك قبل أن تشير بأصابع الاتهام إلى الآخرين .

نجحت مدارس مونتيسوري (المتخصصة في المرحلة الابتدائية وما دونها) وانتشرت فكرتها في أرجاء العالم بعد أن لاحظت مبتكرتها ماريا مونتيسوري

الفضول الفطري للأطفال ورغبتهم الغريزية في التعلم، فجعلت مصدر التعلم هو الطفل (التعلم الذاتي) وليس المعلم . فدور المعلم ملاحظ ومُيسّر وليس محاضراً ومصدر تعلم . وكذلك فعلت مدارس بيق بيكتشر التي صار لها أكثر من ٦٠ مدرسة منتشرة في أنحاء أمريكا . يتخرج فيها أكثر من ٩٥ ٪ من طلابها ويلتحقون بالجامعة ، على الرغم أن معظمهم من بيئات الدخل المنخفض والأقليات التي تعامل معاملة سيئة في المدارس التقليدية (بينك ، ٢٠١٢) . والسبب في نجاح كلا النموذجين أنهم مبكراً ألقوا مسؤولية التعلم في ملعب الطفل ، وحافظوا على مستوى فضول الطفل ومبادراته وشغفه باكتشاف الجديد وتعلّمه . فكانت خيردافع له على مواجهة الصعوبات والتحديات ، والجديد والمعقد من المعلومات والمهارات . لذلك لا عجب أن يلتحق معظمهم بالكليات والجامعات وينجحوا في أعمالهم ، فهم قد تترسوا مبكراً بأدوات التعلم الذاتي ومهاراته ، وجربوا حلاوة الاعتماد على النفس والشعور الجميل بالاستقلالية . وكما قيل : من ذاق عَرَفَ وعَرَفَ .

تقول المؤلفة الرائعة سلوى العصيدان في كتابها " استمتع بفشلك ولا تكن فاشلاً " : ترحل أنثى النسر رحلات طيران طويلة تصل إلى

٣٠٠ كم في اليوم الواحد كي تحصل على عيدان الخشب الذي تستخدمه في بناء أعشاشها . عيدان خشب خاصة صلبة تستطيع أنثى النسر ربطها ببعض لتضمن متانة العش الذي تبنيه عاليًا فوق الأشجار وفوق القمم العالية من الجبال . بعد ذلك تُبطن العش بطبقات متعددة من أوراق الشجر والريش والحشائش لحماية فراخها من الحواف المدببة لعيدان الخشب . وبعد الفقس ونمو الفراخ شيئًا فشيئًا يبدأ التقاتل على الغذاء الذي تحضره الأم ، وعلى المكان الذي بدأ يضيق بأجسامهم التي بدأت بالتضخم . تدرك الأم بفطرتها أنها عما قريب ستعجز عن توفير الطعام لفراخها العملاقة ، وأنَّ على الصغار الآن الدور للاعتماد على أنفسهم . فتبدأ الأم بإزالة طبقات البطانة الداخلية حتى تشعر الصغار بوخز الحواف المدببة لعيدان الخشب . يضطر الصغار إلى الابتعاد عن وسط العش وتسلق حوافه ، فتدفعهم الأم بعيدًا عن حافة العش ، فإذا انزلق الصغير عن حافة العش وهوى من القمة ، فزغ وأخذ يرفرف بجناحيه بهستيرية محاولًا النجاة وتخفيف سرعة السقوط . وفي الغالب تنتهي هذه المحاولة بالطيران والتحليق والاستقلالية . فلا تكن أنثى النسر أعقل منكم أيها الآباء .

النصيحة الثانية : حوّل الإهانات إلى قوة لتحفيزك .

يقول آدم كو : بعد تحديد هدفي في الحصول على علامات ممتازة ، بدأ سلوكي يتغير !! بدأت في طرح ملاحظات وأسئلة ذكية ، تركيز وانضباط عالٍ داخل الفصل ، وحرص على كتابة التمارين وأهم ملاحظات المعلم . استغرب الزملاء من هذه التصرفات بعد أن اعتادوا عليّ عابثاً شاردًا غير مبالي ، فسألوني عن سر هذا التغير ؟ فأخبرتهم بأنني عازم على التفوق في المواد جميعها . طبعاً انفجروا ضاحكين وبعثوني بالجنون ، ثم انهالوا عليّ بالإهانات : أنت زكرة ، أنت غبي ، لا يمكنك حتى أن تتفوق في مادة واحدة .. إلى آخر جمل الاستهزاء والسخرية . في الماضي كنت أختار إما الغضب والشجار ، وإما الشعور بالإحباط والاستسلام . لكن هذه المرة كنت متيقناً من أنه بإمكانني أن أختار التفكير والتصرف بإيجابية . اخترت أن أحفز نفسي بأن أقول لنفسي : كلما ضحكوا أكثر ، تحفزت للعمل بجدية أكثر . وبكل تأكيد شعرت بتحفيز أكبر وحماسة تدفعني لبذل أقصى ما أستطيع من جهد . والنتيجة حصلت على سبع علامات ممتازة في الاختبار وأصبحت من الطلبة المتفوقين . ولو أنني اخترت اختيارات سلبية ما كنت

لأكتب هذه الكتب وأصبح مليونيراً ، وكنت الآن أحد المشردين أو النكرات في الشوارع . كما إنني عرفت أن الأشخاص الذين لا يحبون أنفسهم دائماً ما ينتقدون الآخرين ويهينونهم ، لأنهم لم يتمكنوا من الشعور بالرضا عن أنفسهم ، فأرادوا للآخرين أيضاً شعور التعاسة نفسه الذي يعانونه . لذلك ما عدت أغضب من الشخص الذي يوجه لي الإهانات ، بل صرت أشعر بالأسى عليه .

يقول آدم : أنا معجب جداً بالأسترالي نيكولاس فويتتش الذي وُلِدَ من دون أذرع وأرجل ، والذي تعرّض في المدرسة باستمرار لسيل من السخرية والإغاضة لمظهره الغريب . حتى راودته أفكار الانتحار وهو في سن العاشرة ، فهو عاجز عن السباحة ، الركض ، القفز ، والإمساك بالأشياء ، وهو لا يعرف كيف يطعم نفسه . أخبره أبواه أن الحياة اختاران : إما المحاولة أو اليأس والفشل ، وظلا يرددان على أذنيه دوماً : نظرتك إلى نفسك هي من يصنع الفارق في حياتك وليست نظرة الناس إليك . أنت تعكس ما في داخلك والناس تقرأ ما ترى ، فأظهر لهم رضاك وبأسك وعزيمتك . كانت نقطة التحول والتغيير عندما أدرك أنه هو من يملك اختيار أفكاره

وتصرفاته ، وأنه إذا اختار أن يفكر بإيجابية يمكنه بعد ذلك أن يتدرب على فعل الأشياء من دون الحاجة إلى أطرافه . وبمجرد أن أدرك ذلك بدأ تفكيره وطموحه وحبه للحياة يتغير . حدد لنفسه أهدافاً كبيرة وملهمة : يحصل على تعليم جامعي ، يصبح محاضراً تحفيزياً ، ويصبح كاتباً صاحب أفضل مبيعات .. ماذا حدث بعد ذلك ؟ حين بلغ ٢١ سنة تخرج في الجامعة بتخصص مزدوج المالية والمحاسبة ، ربح الملايين من الدولارات من محاضراته التحفيزية التي ألقاها على أكثر من مليوني شخص في ١٩ دولة ، وأصبح مطوراً عقارياً ومداولاً في الأسهم . طبعاً وأجاد الكثير من الرياضات منها : السباحة ، وركوب الخيل ، والجولف ، وكرة القدم . لم يختر نيكولاس فويتتش أن تكون السخرية مبرراً له لليأس والإحباط والانتحار ، بل اختارها حافزاً لرفع سقف طموحه وتدريبه وجديته .

النصيحة الثالثة : تحرر من المستحيل .

يقول آدم : عندما كنت في الثانية والعشرين من عمري أدرس في جامعة سنغافورة الوطنية ، كنت متحمساً لتأليف كتاب يُعَلِّم الطلاب

العاديين أن يصبحوا متفوقين، وهو كتاب "أنا موهوب وكذلك أنت". وكل من حدثته عن تأليف الكتاب سخر بي وضحك مني. قال الأصدقاء: هل جنت؟ أنت لا تحسن كتابة مقال، فكيف بكتاب كامل؟ قالوا: مستحيل، انس الأمر، ليس لديك فرصة للنجاح. وقال والدي: أنت لا تقرأ الكثير، فكيف تؤلف؟ في الواقع لم أحصل على أي كلمة تشجيع من أي شخص. ولحسن الحظ أنني كنت أعني تماماً أن كل من سخر مني وقال لي مستحيل إنما يتكلم عن قناعاته الشخصية وليس ما يمكن للإنسان فعله في الواقع. حتى الخبراء يتسرعون بكلمة مستحيل ويضعون سقفاً منخفضاً لطاقات البشر. عام ١٩٢٣ قال روبرت ميليكن الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء: إنه ليس من المحتمل أن يستفيد الإنسان في المستقبل من قوة الذرة. وانظر أي سلاح استخدمت أمريكا لهزيمة اليابان. عام ١٨٩٩ قال تشارلز إتش دويل مدير مكتب براءة الاختراع في الولايات المتحدة: إنه قد اخترع كل شيء يمكن اختراعه. وانظر كيف فاقت ملايين الاختراعات في العالم توقعات دويل. عام ١٨٧٦ قال رئيس شركة التلغراف الأمريكية: إن الهاتف لن يصبح أداة ناجحة في الاتصالات ففيه الكثير من العيوب.

وأنظر اليوم مبيعات آيفون كيف ارتفعت بالقيمة السوقية لشركة أبل حتى تجاوزت في فبراير ٢٠١٦ سقف النصف ترليون دولار (الأولى قوقل ب ٥٥٤ ملياًراً ، والثانية أبل ب ٥٢٩ مليار دولار) . عام ١٩٤٣ قال رئيس شركة آي بي أم : إنه لا يوجد في العالم كله حاجة إلى الكمبيوترات ، ربما فقط يمكن تسويق خمسة منها . اليوم لا تجد بقعة في العالم إلا والكمبيوترات جاثمة على مكاتبها وزواياها . في الماضي ردد الخبراء الرياضيون كثيراً أنه من المستحيل على البشر قطع المئة متر في أقل من عشر ثوانٍ . اليوم هناك المئات من العدائين حول العالم من حطم ذلك الرقم . وردد أيضاً هؤلاء الخبراء فترة طويلة أنه من المستحيل تخطي مسافة الـ ٢٨ قدماً في رياضة الوثب الطويل . فجاء الجامايكي بوب بيمون في أولمبياد المكسيك عام ١٩٦٨ وتخطى ذلك المستحيل ، فقد قفز لمسافة ٢٩ قدماً (٨,٨٣ م) . صمد هذا الرقم القياسي ٢٣ عاماً ، وظنه البعض أنه المستحيل الجديد الذي لا يمكن تحطيمه . فتخطاه الأمريكي مايكل باويل في أولمبياد طوكيو ١٩٩١ ، وسجل رقماً جديداً لا يزال باسمه وهو ٢٩,٣٦ قدم (٨,٩٥ م) .. ينتظر بطلاً جديداً يكسره ويتخطاه .

فإذا أخطأ الخبراء في تقدير الممكن والمستحيل ، فكيف بالناس العاديين !! لذلك تركت مستحيلهم وبدأت ومن دون إذن أحد بتأليف الكتاب . كنت مؤمناً أن كل من يمتلك قصة عظيمة ليسردها ، أو خبرة عظيمة يحب أن يشارك بها الآخرين ، سيجد لا محالة من يسمعه ويقرأ له ، وربما تصدر كتابه قائمة المبيعات .. من يدري ؟ بعد مرور عامين من العمل الشاق .. نُشر كتاب I am Gifted So Are You وأصبح الأكثر مبيعاً على الصعيد الوطني في ست دول . وبمجرد أن أثبتت صحة معتقداتي ، ألفت تسعة كتب أخرى بكل سهولة . أقول : قصة نجاح آدم كو بتأليف الكتب وهو في ذلك العمر ، تذكرني تماماً بنجاح كتب الشاب الرائع عبدالله الجمعة " عظماء بلا مدارس " و " أيتام غيروا مجرى التاريخ " ، ألفها وهو شاب ما زال يدرس في الجامعة ، لكنها دائماً ما تتصدر مبيعات كتب العبيكان أينما حلت وارتحلت .

زاد عدد المليونيرات مئة ضعف وأصبح هناك الكثير من المليارديرات حول العالم ! كنت تجدهم في الماضي في العقد الخامس والسادس ، أما اليوم فتجدهم في عقدهم الثاني والثالث !! السبب أن النجاح لا يرتبط

بالأعمار بل بالأفكار التي تملكها . فيمكنك اليوم بفكرة مبتكرة أن تملك شركة رأس مالها مليار دولار في أقل من عشر سنوات ، أو ربما مليارات .
الدليل : فيسبوك ، تويتر ، أنستقرام ، هوت ميل ، قوغل ، وفيدكس .

قصة أخرى في التحرر من المستحيل .. يرويها الحمودي في كتابه " فاشل ولكن " عن الشاب خالد الذي كان يسير يوماً على ضفة النيل بالقاهرة ، فلاحظ مجموعة من ذوي الاحتياجات الخاصة وهم يتدربون على السباحة في نادٍ خاص بهم . وبالحديث معهم اتضح أنهم يتدربون للمنافسة في مسابقات سباحة ذوي الاحتياجات الخاصة .. ومن دون تردد انضم إلى الفريق . عام ١٩٧٨ حصل على الميدالية الذهبية وأصبح من أشهر السباحين في مصر . بعدها بثلاث سنوات .. عام ١٩٨١ قرر عبور المانش (القنال الإنجليزي) ، فقال له خبراء الرياضة والسباحة إن المسافة لعبور المانش تتعدى الـ ٣٠ كم ، البرودة عالية تصل إلى ٣ درجات مئوية ، التيارات المائية كثيرة وقوية ، كما أن الكثير من الأبطال الأصحاء فشلوا في عبوره . وقالوا له بوضوح : إنه معوق ، صغير السن ، ووزنه أقل من ٦٠ كجم ، وستتلاعب به الأمواج والتيارات . الأمر الذي يريد مستحيل .. مستحيل تنفيذه .

رفض قبول المستحيل وقرر خوض تجربة التأهل للسباق ، لكن المسؤولين الرياضيين أخبروه أنه هو وحده من سيتحمل مصاريف تجربة التأهل وما بعد التأهل ، فوافق على الفور . عام ١٩٨٢ بدأ في تدريب استمر والتزم فيه مدة ستة أشهر ، ثم بدأ تجربة التأهل لسباق قطع المانش . كانت أدنى سرعة للتأهل هي ٣,٥ كم / الساعة ، فحقق ٣ كم / الساعة .. فتأهل للسباق الحقيقي . وصل خالد إلى شاطئ دوفر في إنجلترا وخاض السباق ، وبعد ١٢ ساعة و ٣٩ دقيقة وصل إلى الشاطئ الفرنسي ، أسرع من أي سباح آخر - حتى الأعلى لياقة والأتم صحة وجسماً - وأصبح السباح المصري خالد حسان أول شخص من ذوي الاحتياجات الخاصة يحقق ذلك .. هزم المستحيل الذي رددته الخبراء .

النصيحة الرابعة: أحبب نفسك أولاً ، حتى يبادلك الناس الحب والاحترام .

إذا أردت احترام الناس وحبهم وإعجابهم ، عليك أولاً أن تحترم نفسك وتحبها . فعندما تحترم نفسك سوف يحترمك الآخرون ، فنحن من نعلم الآخرين الطريقة التي يعاملوننا بها من خلال طريقة تعاملنا مع

أنفسنا .. فلا أحد يهينك إلا بإذتك . كان ديفيد أحد زملائي في المرحلة الثانوية ، كان لا يكثر لمظهره أبداً ، الشعر غير ممشط ، بقع في الملابس هنا وهناك ، وألفاض سوقية دائمة في كلامه . كانت حاله المزرية دليلاً واضحاً على عدم احترامه لنفسه .. فما الذي حدث ؟ لم يحترمه أحد ، الجميع كان ينظر إليه باحتقار ، فظل ديفيد يلقي باللائمة على العالم لكونه قاسياً تجاهه ، برغم أنه هو الذي أهان نفسه أولاً .

ليس بالضرورة أن تكون من الأذكى أو أبناء الأغنياء والوجهاء وأصحاب الخلقة الحسنة حتى تحب نفسك ، بل أحببها كما هي ، بلونها بخلقتها بجنسها وبعرقها ، اقبلها كما هي ، وركز على نقاط قوتك واستثمرها . فهذه جايل التي ولدت في خمسينيات القرن العشرين لأبوين مراهقين غير متزوجين من السود ، ربتهما جدتها ، اعتدى عليها جنسياً أحد أبناء عمومتهما في سن التاسعة ، وتحرش بها عمها . فقرضيا وعدم أمان وصفعات من الدنيا من هنا وهناك .. فماذا اختارت وماذا قررت بشأن حياتها ؟ ربما الكثيرون لن يلوموها إذا شتمت الظروف وكرهت نفسها والعالم من حولها وألقت بنفسها إلى المسكرات والمخدرات .. وقد حصل هذا فعلاً في حياتها ،

لكنها بالنهاية قبلت نفسها وركزت على نقاط قوتها . كانت ماهرة في القراءة والحديث وإبداء الاهتمام بالآخرين ، فاستثمرت هذا في العمل بالإذاعة ، وبذلت جهداً وانضباطاً كبيرين من أجل الظهور والشهرة والغنى .. وقد نجحت . فأصبحت أوبرا جايل وينفري مليارديرة ، وصاحبة أحد أكثر البرامج التلفزيونية الأمريكية نجاحاً وتأثيراً .

إنَّ قدر الحب والاحترام اللذين يكنهما لك الآخرون ، يتناسب طردياً مع قدر حبك واحترامك لنفسك . يقول براين تريسي في كتابه " أقصى إنجاز " : كلما تحسن حبك لنفسك وتقديرك لها أصبحت أفضل في التعامل مع أنواع مختلفة من البشر ، وأصبحت حياتك أكثر سعادة وأكثر إرضاءً . حب النفس مفتاح الفاعلية الشخصية والعلاقات السعيدة مع الآخرين ، إنه يجعلك أكثر استرخاء وإيجابية وثقة في قدراتك ، وأقل ارتكاباً للأخطاء وأكثر طاقة وإبداعاً . أما إن حدث العكس وتدنى احترامك لنفسك ، فلن تجني إلا الأضرار الكبيرة والعواقب الجسيمة !! ستصبح في حال دائمة من الغضب ونفاد الصبر والنقد والسباب والشجار ، وستخسر الكثير من الأصحاب والأحباب والخلان .

النصيحة الخامسة : كن صاحب أهداف كبيرة وطموحة ومثيرة .

أريد أن أصبح رئيساً .. هو عنوان رسالة كتبها أوباما وهو في السادسة من عمره ، عندما كان تلميذاً في إحدى المدارس في إندونيسيا . بدا ذلك الحلم في ذلك الوقت مجنوناً ومستحيلاً !! رؤساء أمريكا جميعهم من البيض ، فكيف لطفل أسود فقير لأبوين مطلقين يدرس في إندونيسيا أن يتجرأ بإعلان هذا الحلم ؟! كان ذلك الحلم المبكر هو مؤشر البوصلة الأهم الذي اختار أوباما تتبعه وبذل كل الجهد للثبات على مساره . ولأن الرؤية طموحة ومبكرة .. كان التنفيذ واضحاً ذا اختيارات مرموقة تليق بتلك الرؤية . اختار أن يدرس العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة كولومبيا العريقة التي تقع في نيويورك التي أنشئت قبل الثورة الأمريكية واشتهرت بتخرج الساسة وعلماء الاقتصاد فيها ، وخرّجت أكثر الحائزين على جائزة نوبل في العلوم أكثر من أي جامعة أمريكية أخرى . ثم درس القانون في كلية الحقوق في هارفارد ورأس مجلة القانون فيها ، ثم عمل محامياً مدنياً في شيكاغو يقدم يد العون للفقراء ويقضي وقت فراغه في العمل المجتمعي ، ثم أستاذاً جامعياً يُدرّس القانون الدستوري

في جامعة شيكاغو ، ثم كسب انتخابات مجلس الشيوخ في إيلينوي سنة ١٩٩٦ ، واستمر سيناتور ثلاثة فصول في مجلس شيوخ إيلينوي من ١٩٩٧ حتى ٢٠٠٤ . وهكذا خطأ جاداً نحو هدفه ، يُنمّي مهاراته وقواه ومعارفه وعلاقاته ومراكزه ، حتى لفت انتباه الحزب الديمقراطي إليه فحصل على دعمه لخوض الانتخابات الرئاسية . في ٤ نوفمبر ٢٠٠٨ يفوز أوباما على المرشح الجمهوري جون ماكين ، وينصب في ٢٠ يناير ٢٠٠٩ الرئيس رقم ٤٤ لأمريكا .

عندما يبدو لك الناس أنهم فقدوا ضبط النفس أو قوة الإرادة ، فهذا ليس لأنهم كسالى ، لكن الأمر ببساطة هي الأهداف !! أهدافهم ليست مثيرة بما يكفي فيما يتعلق بهم ، إنهم ليسوا متحمسين بشأن ما يريدون تحقيقه . الأهداف التي لا توقد الحماسة بداخلك هي أهداف ليست مثيرة ، ومن ثمّ هي ليست مؤثرة في جعلك تتخذ خطوات جادة لتنفيذها . يقول براين تريسي في كتابه " أقصى إنجاز " : كلما كان الهدف كبيراً وطموحاً ومثيراً كلما رغبت فيه بشدة ، وكنت أكثر قدرة على ترويض نفسك على الانضباط ، واستخدام الطاقات والإمكانات والفرص كافة للوصول

إلى ذلك الهدف . فبعد قضاء ٥٠ سنة من العمل في مجال المبيعات وتدريب ما يزيد على ٢٠ ألفاً من مندوبي المبيعات ، توصل إيلمار ليتزمان (مؤلف ومحاضر مشهور في المبيعات) إلى أن أكثر الصفات تنبؤاً بالنجاح هي شدة الرغبة في الهدف . فإذا كان هناك شخصان في مستوى الذكاء نفسه والخلفية التعليمية نفسها ويتمتعان بالخبرة نفسها ، فإن من لديه رغبة شديدة في الهدف هو دائماً من يهزم الآخر .

مثال آخر على الرؤية الطموحة والمثيرة هو الملياردير الأمريكي وارين بافيت . يتذكر بافيت أنه عندما كان طفلاً في السادسة أعلن بجرأة لأصدقائه أنه سيصبح مليونيراً عندما يبلغ الثلاثين من العمر ، وإن لم يحقق ذلك فسيقفز من فوق أعلى بناية في البلدة . وهذا الطموح المبكر جعله مستثاراً على الدوام ، يقرأ كتباً كثيرة حول تحقيق الغنى ، ويفكر في أنسب الطرائق لجمع المال . بدأ في شراء الأسهم وهو في سن الحادية عشرة ، ثم العمل في ثلاثة أعمال وهو في سن الخامسة عشرة : بيع مشروب الكوكاكولا للسياح ، توصيل الجرائد ، إدارة ألعاب ومراجيح في عدة مطاعم في البلدة . ادخر الأموال واستثمرها في الأراضي والأسهم .

في عمر الثلاثين كان يملك أكثر من ستة ملايين دولار، وفي عام ٢٠٠٨ كانت ثروته تقدر بستين مليار دولار .

يقول آدم في كتابه أسرار المراهقين الناجحين : عندما أصبح لي كوان رئيساً للوزراء ، كانت سنغافورة إحدى المستعمرات المتخلفة للإمبراطورية الإنجليزية . كانت جزيرة صغيرة مساحتها ٧١٠ كم مربع (تمثل ٠,١٦ ٪ من حجم ولاية كاليفورنيا) ، ولا تحوي أي ثروات طبيعية ، ولا حتى مياه تكفي حاجة السكان . سكانها الذين هم من المهاجرين غير المتعلمين من الهند والصين وماليزيا . كان هناك الكثير من مدمني المخدرات ، الجرائم المنظمة ، الشغب العرقي ، والأنشطة الشيوعية . وعندما استقلت سنغافورة عام ١٩٦٥ توقع الجميع ألا تنجو دولة صغيرة من دون موارد أو جيش أو مياه أو متعلمين . لذلك كان على كوان أن يكون غير واقعي في طموحه ، وإلا ستبقى دولته تناضل من أجل البقاء في مصاف دول العالم الثالث . كانت لدى كوان رؤية خارقة لتحويل سنغافورة إلى إحدى الدول المتقدمة ، لقد وضع أهدافاً طموحة وفق معايير عالمية في النقل والتعليم والقوة العسكرية والتنمية الاقتصادية .. في ذلك الوقت كانت تلك الرؤية مجنونة

وتحقيقها مستحيل . لكن كوان يؤمن ١٠٠ ٪ أنه قادر على تحقيق ذلك . وعلى مدار ثلاثين عاماً ألهم الدولة كلها للعمل لتحقيق هذه الأهداف الضخمة . اليوم سنغافورة ليست فقط إحدى دول العالم المتقدمة ، بل مصنفة رابع أغنى دولة في العالم ، وتمتلك أفضل المطارات وخطوط الطيران والموانئ ، إضافة إلى نظام تعليمي وعسكري على مستوى عالمي .

قصة أخرى عن الطموح غير الواقعي من سنغافورة .. ولد وليام تان عام ١٩٥٧ في أسرة فقيرة بسيطة ، أمه لا تعمل وأبوه بائع متجول في شوارع سنغافورة . في عمر الثانية أصيب بمرض شلل الأطفال مسبباً له شللاً كاملاً في نصفه السفلي . ولأن أسرته شديدة الفقر ما استطاعت حتى تحمل شراء العكازات له ، فاضطروا لمدة عشر سنوات إلى أن يتنقل بالزحف على يديه . ولك أن تتخيل عزيزي القارئ نظرات المسكنة وربما السخرية التي تلقاها ذلك الطفل في ذلك العمر في تلك الظروف . وبرغم ذلك كله كان الطموح كبيراً وجريئاً ! كان يحلم بأن يصبح طبيباً ولاعباً أولمبياً !! طبعاً الجميع أخبره أن حلمه مستحيل . حفزه هذا الطموح الكبير على أن يدرس بجد وأن ينمي الجزء الأعلى من جسده ، وقد فعل ذلك بأدائه

لمئات من تمارين الضغط كل يوم . حصل وليام على تقدير امتياز في كل اختبارات الثانوية العليا وفي الاختبارات التأهيلية ، لكن جامعة سنغافورة الوطنية رفضت طلب التحاقه بكلية الطب بسبب إعاقته . لم يتخلَّ عن حلمه وقرر أن يدرس علم الأحياء فيها . بعد التخرج عمل لمصلحة الحكومة تسع سنوات ، وادخر من عمله نقوداً كافية لتحقيق حلمه الأكبر .

عام ١٩٨٩ ذهب إلى جامعة نيوكاسل في بريطانيا ، وحصل على شهادة الطب منها ، ثم تخصص في علم الأعصاب ، وحصل على ذلك التخصص من جامعتين : جامعة هارفارد وجامعة أكسفورد العريقتين . وفي الوقت نفسه سعى إلى تحقيق حلمه الثاني في أن يصبح لاعباً أولمبياً ، طبعاً ومرة أخرى أخبره الناس أنَّ ذلك الحلم مستحيل . لكنه أثبت للناس ثانية أنهم على خطأ ، وأصبح بطلاً في سباقات العدو على الكراسي المتحركة . نافس في البارالمبياد ، ودورة ألعاب الكومنولث ، ودورة الألعاب الآسيوية ، وفاز بكثير من الجوائز والميداليات . في إبريل عام ٢٠٠٧ استطاع الدكتور وليام أن يكون أول رجل يكمل مارثون القطب الشمالي على الكرسي المتحرك ، وفي عام ٢٠٠٨ دخل موسوعة جينيس للأرقام القياسية العالمية بإكماله سبعة ماراثونات عبر سبع قارات خلال ٢٧ يوماً فقط .

يقول آدم .. أتذكر عندما كنت صغيراً كان أرنولد شوارزينجر أحد أفضل الممثلين لدي من خلال أفلامه التي أداها في تلك الفترة ، فهو البطل الشجاع مفتول العضلات الذي يقهر الأشرار . فعُدَّ والدي حبي لشوارزينجر فرصة لإلهامي بأهمية الأهداف والطموحات الكبيرة . أخبرني أن أرنولد من مواليد عام ١٩٤٧ ، نمساوي الجنسية يتكلم لغته الرسمية الألمانية . بدأ في رفع الأثقال وبناء جسمه وهو في عمر ١٥ سنة ، ثم استمر على ذلك حتى فاز عام ١٩٦٦ بالمركز الثاني لمسابقة سيد الكون المقامة في لندن وعمره ١٩ عاماً فقط . ثم المركز الأول في العام التالي والذي يليه في المسابقة نفسها . كثيراً ما كان يكرر وهو شاب صغير : إنه سيصبح أعظم ممثل وأعظم لاعب كمال أجسام في العالم . في كتابها الأفضل مبيعاً Living History تحكي هيلاري كلينتون كيف كان بيل يخبر الجميع باستمرار أنه سيصبح رئيساً للولايات المتحدة في يوم ما ، بينما كان الاثنان لا يزالان يدرسان الحقوق في جامعة ييل . فيبدو أن تكرار إسماع الناس أهدافك هي إستراتيجية جيدة لتحفيزك ، وجعلك أكثر جدية والتزاماً لتحقيق أهدافك . في عام ١٩٦٨ وبعد فوزه للمرة الثانية بالمركز الأول بمسابقة سيد الكون ، هاجر أرنولد إلى أمريكا

بلهجة إنجليزية سيئة للغاية ليحقق حلمه في الدخول إلى عالم التمثيل والحصول على لقب أعظم لاعب كمال أجسام في العالم . لم يكن الدخول إلى عالم السينما هدفاً سهلاً ، فالناس أخبروه أن تحقيق ذلك مستحيل ، هو شخص غير معروف ، لغة إنجليزية ركيكة وثقيلة غير مفهومة ، لا خبرة له في السينما ، مهارات تمثيل ضعيفة ، واسمه طويل جداً وغريب .

أدرك أرنولد أن عليه جذب أنظار المنتجين والمخرجين إليه ، فأكمل اشتراكه بمسابقات كمال الأجسام ليصبح بطلاً في كمال الأجسام ويلفت أنظار صنّاع الأفلام إليه . عام ١٩٦٩ في نيويورك اشترك بمسابقة مستر أولمبيا وفاز بالمركز الثاني . عام ١٩٧٠ وهو بعمر ٢٣ سنة عاد للمنافسة وفاز بالمركز الأول الذي جعل منه أصغر مستر أولمبيا يفوز بالمسابقة ، وهو رقم قياسي يحمله إلى يومنا هذا . ثم كرر هذا الفوز خمس مرات أخرى من ١٩٧١ وحتى ١٩٧٥ .

يقول ستيفن تشاندر في كتابه " مئة طريقة لتحفيز نفسك " : عام ١٩٧٦ كلفني جريدتنا أن أكتب مقالاً عن أرنولد ، فوافقت وقابلته في

وجبة غداء وأنا غير متحمس لتلك المقابلة . سألته : أما وقد اعتزلت رياضة كمال الأجسام ، ما الذي تنوي فعله بعد ذلك ؟ فأجابني بكل هدوء وثقة : إنني أنوي أن أكون النجم رقم واحد في هوليوود . حاولت ألا أظهر صدمتي وذهولي وسخريتي ، فلم يكن وقتها بالشخص المشوق القوام الذي نعرفه الآن ، فقد كان ضخماً الجثة ممتلئاً ذا لُكْنَة نمساوية ثقيلة لا توحى بأن مشاهدي السينما سيتقبلونه . سألته مرة أخرى : وما خطتك كي تكون النجم الأول في هوليوود ؟ فقال : الأسلوب نفسه الذي أتبعه في كمال الأجسام !! وهو أن أتخيل الصورة التي أريد أن أكون عليها ، ثم أعيش تلك الصورة كما لو كانت واقعاً . إذا أردت أن تحيا حياة يملؤها التحفيز الذاتي ، فيجب عليك أن يكون لديك شيء تستيقظ من أجله كل صباح ، تكون متعطشاً لأدائه . يقول تشاندلر : بدت هذه الفلسفة بسيطة وساذجة ومضحكة ، ومع ذلك كتبتها ولن أنساها أبداً .

بعد ذلك .. لم يكتفِ أرنولد بأن يكون ممثلاً ، بل أصبح أحد النجوم الأعلى أجراً والأكثر شهرة في هوليوود . ولم يتوقف عند ذلك ، بل طمح

بالمراكز السياسية العالية وهو الرجل النمساوي الأصل ، فحقق ذلك ، وانتُخبَ عام ٢٠٠٣ حاكماً لولاية كاليفورنيا ، ثم أعيد انتخابه مرة أخرى عام ٢٠٠٦ وظل في المنصب حتى يناير ٢٠١١ .

في طريقك إلى تحقيق أحلامك الطموحة والمثيرة سيعترضك من يريد تحطيمها وسرقتها من رأسك .. فإياك أن تسمح لهم وليكن مونتي روبرتس مثلك في ذلك . يروي العبدلي في كتابه " كلمة وكلمتين " أنَّ الطفل مونتي روبرتس كان يعيش حياة غير مستقرة ، فهو ابن لمدرّب خيول قضى حياته متنقلاً من مدينة إلى مدينة ومن ولاية إلى ولاية ، وذلك لأجل تدريب خيول أولئك الراغبين في إشراكها في السباقات . ذات يوم في إحدى المدارس الابتدائية التي التحق بها مونتي ، طلب المعلم إلى التلاميذ أن يكتبوا موضوع إنشاء عما يريدون تحقيقه عندما يكبرون . فقضى مونتي ليله كله ساهراً يكتب حلمه في سبع صفحات ، حلمه في امتلاك مزرعة كبيرة يربي فيها أجود الخيول . خاض في التفاصيل : مواقع المباني ، مواقع الحظائر ، مضامير الخيل ، وحجم المنزل الذي سيسكنه وشكله . بعد يومين من تسليم مونتي أستاذه ورقة الواجب ،

رجعت له الأوراق السبع وعليها علامة F ، مع ملاحظة مكتوب عليها : راجعني بعد الحصة الدراسية . ذهب مونتي المتفاجئ بهذا التقدير إلى أستاذه وسأله : لماذا أعطيتني علامة F ؟ فرد المعلم : حلمك غير موضوعي ولا يمكن تحقيقه ، ولا سيما لمن هو في وضعك ووضع عائلتك غير المستقر . من أين ستأتي بالمال اللازم لشراء الأرض وإنشاء المزرعة وشراء الخيول الجيدة ؟ ومن أين ستأتي بالمال الذي سيلزمك للاعتناء بخيولك وإطعامها وتدريبها ؟ لا يمكن لك بحال من الأحوال أن تتمكن من ذلك ، لكن اسمع سأعطيك الفرصة لإعادة كتابة موضوع الإنشاء كتابة أكثر واقعية ، ولعلك تأخذ درجة أفضل .

عاد مونتي إلى منزله وفكر في الأمر طويلاً ، وبعد مرور أسبوع قضاه مونتي في التفكير ، عاد إلى معلمه وقال له : يمكنك أن تبقي علامة الـ F على ورقتي ، وسأبقى أنا محتفظاً بحلمي . اليوم مونتي روبرتس يمتلك ويعيش في منزل كبير جداً في واحدة من أكبر مزارع تربية الخيول في أمريكا ، حيث لديه العشرات من خيول السباق الرائعة والغالية . بعد عدة سنوات طويلة التقى بمعلمه واستضافه في مزرعته ،

فقال المعلم له : اسمع يا مونتي يبدو أنني كنت من سراق الأحلام ، وقد سرقت بالفعل عشرات الأحلام من تلاميذي ، لكنك كنت لحسن الحظ تملك من الإصرار والعزيمة ما يكفي لمنعي من سرقة حلمك .

النصيحة السادسة : اجعل تحقيق حلمك ضرورة .. والتزم بتحقيقه .

سيلفستر ستالون أحد النجوم الأكثر شعبية في هوليوود وأعلامهم أجراً ، حيث يطلب مبلغ ٢٠ مليون دولار للفيلم الواحد . هل ولد نجماً محظوظاً ؟ هل كان ممثلاً موهوباً بالفطرة ؟ اسمع القصة . ولد سيلفستر في يوليو ١٩٤٦ في نيويورك لأب إيطالي وأم روسية . كانت أسرته فقيرة جداً ، لدرجة أن والدته اضطرت إلى ولادته على سلالم إحدى المدارس . وبسبب ظروف الولادة التي تولتها طالبات المدرسة ، حدث قطع في أحد أعصاب وجهه الذي أصابه بشلل في الجانب الأيمن من وجهه مع ثقل حركة في لسانه . وبرغم من تلك القيود والمعوقات راود سيلفستر الصغير حلم بأن يصبح ممثلاً وأن يلهم الملايين من الناس من خلال أفلامه . التحق بمدرسة تمثيل ، وبدأ يذهب لإجراء

اختبارات أداء . وعلى نحو متوقع .. بسبب تمثيله السيئ ومظهره الثمل البارد ولسانه الثقيل ، رُفِضَ في كل دور تقدّم له . لم يستسلم وداوم بإصرار على تغيير إستراتيجيته واتخاذ خطوات تقربه إلى تحقيق هدفه . بعد رفضه في اختبار أداء آخر ، سحب كرسيًا أمام مكتب المخرج وجلس رافضًا المغادرة إلا إذا أعطوه فرصة أخرى . وبعد الجلوس هناك ساعات .. تأثروا بمدى رغبته وأعطوه دورًا . كان دورًا ثانويًا لمدة دقيقتين ، إلا أنه أعطاه الانطلاقة الأولى التي كان يسعى إليها .

ولسوء الحظ أعقبت تلك التجربة سلسلة من المحاولات غير الناجحة للحصول على دور آخر . طلبت إليه زوجته أن يتخلى عن حلمه الغبي ويحصل على وظيفة حقيقية . فكانت إجابته : إذا حصلت على وظيفة فسوف أفقد الشيء الوحيد الذي يعمل لمصلحتي ، سأفقد شغفي ، وبخسارته أكون تخليت عن أحلامي . حصل الطلاق ودخل سيلفستر في حال من الإفلاس لدرجة أنه اضطر إلى بيع كلبه مقابل ٥٠ دولارًا لكي يبقى على قيد الحياة . كانت هذه هي اللحظة الأكثر حزنًا في حياته كما يقول ، لأن كلبه هو الصديق الوحيد الذي تبقى له .

في تلك المرحلة من الظروف الصعبة التي أحاطت به ، شاهد مباراة ملاكمة بين بطل العالم للوزن الثقيل محمد علي وتشاك ويبنر ، ويبنر الضعيف الذي اعتقد الجميع أنه سينهزم خلال أول ثلاث جولات ، وحصل الشيء الذي لم يتوقعه أحد !! لقد أبدى ويبنر تصميمًا غير عادي في النزال ، وبقي حتى الجولة الخامسة عشرة رافضاً الاستسلام . شعر سيلفستر بإلهام شديد جداً دفعه لكتابة سيناريو فيلم جديد . بدأ في الكتابة بإفراط لمدة ٨٤ ساعة من دون توقف ، ربما لبعض غفوات النوم وقضاء الحاجة والأكل السريع ، كتبه بهمة وتركيز حتى انتهى من كتابة سيناريو فيلم Rocky . كان متحمساً جداً للسيناريو لأنه من وجهة نظره أن الفيلم سيغير حياته وحظه .

عندما ذهب لبيع السيناريو ، فاجأه الجميع بأنه لا أحد يهتم بمشاهدة فيلم عن الملاكمة . لم يستسلم وظل يتابع ويتابع حتى عرضت عليه شركة إنتاج عرضاً بقيمة ٧٥ ألف دولار أمريكي مقابل السيناريو والحقوق اللازمة لإنتاج الفيلم . طبعاً من شأن ذلك العرض أن يغمر سيلفستر بالفرحة ويغير حاله ، إلا أن حلمه كان أن يصبح ممثلاً وليس

كاتباً . لذلك أخبرهم أن شرط البيع أن يكون هو بطل الفيلم . فاعترضوا قائلين : أنت كاتب ولست ممثلاً ! من المستحيل أن ندعك تمثل . تمسك سيلفستر بموقفه ورفض بيع السيناريو . زادت شركة الإنتاج الصفقة وعرضوا عليه ٢٢٥ ألف دولار فرفض . وصل العرض إلى مليون دولار ، وسيلفستر ظلّ مصرّاً على موقفه ، وأنّ البطولة تناسبه ولا تناسب أحداً غيره . رفض المليون برغم الإفلاس والجوع ، وأصر على الالتزام غير العادي بأحلامه وطموحاته . في النهاية .. رضخوا لطلبه بشرط أن يُنتج الفيلم بميزانية تقشفية تقل عن المليون دولار ، وأن يحصل سيلفستر فقط على ٣٥ ألف دولار مقابل الكتابة والتمثيل ، لكنه سيحصل على نسبة من الأرباح إذا حقق الفيلم نجاحاً وأرباحاً . فوافق سيلفستر على الفور .

كان أول شيء فعله سيلفستر عندما حصل على الـ ٣٥ ألف دولار ، هو البحث عن الرجل الذي يشتري كلبه ليسترده منه . وجد الرجل وعرض عليه ١٠٠ دولار لشراء الكلب . رفض الرجل فزاد سيلفستر العرض إلى ٥٠٠ دولار فرفض ، ثم ١٠٠٠ ألف دولار فرفض وقال :

لن يقنعني أي مبلغ من المال أبداً ببيع هذا الكلب . وفي النهاية .. استعاد كلبه مقابل ١٥ ألف دولار ، وزيادة على هذا المبلغ وجزء من الصفقة دور للرجل في فيلم سيلفستر القادم . عندما أُطلقَ فيلم روكي في دور السينما ، حقق أرباحاً تجاوزت الـ ١٧١ مليون دولار ، ورُشحَ لعشر جوائز أوسكار ، بما فيها جائزة أفضل ممثل . فاز الفيلم بجائزة أفضل فيلم وأفضل مخرج ، ووصل سيلفستر سريعاً إلى الشهرة ، وتوالت عروض التمثيل عليه من كل حذب و صوب . لقد نجح سيلفستر لأنه كان ملتزماً بتحقيق حلمه ، ولذلك كان يردد دائماً : متى ما كان هناك عزم ، كان هناك سبيل .

لم يكن نجاح جوان كاثلين رولينغ مؤلفة هاري بوتر سهلاً ، فقد قُوبل في بدايته بالرفض والتهميش وعدم المبالاة . عام ١٩٩٥ بعدما انتهت من جزئها الأول " هاري بوتر وحجر الفلاسفة " ، رَفَضَتْ ١٢ دار نشر الرواية ، ثم بعد عام من الرفض والاستمرار في البحث عن دور نشر لروايتها ، قبلتها دار نشر بريطانية صغيرة تدعى بلومزبيري ، ودفعت مقابلها لجوان ١٥٠٠ جنيه ، أكبر مبلغ تقبضه جوان من

شيء كتبته . نصحتها صاحب دار النشر أن تستمر بالبحث عن عمل حقيقي ، وألا تعلق آمالاً عريضة على الرواية ، فكتب الأطفال لا تحقق إلا أرباحاً بسيطة .

عام ١٩٩٧ طُبِعَ ألف نسخة من الجزء الأول ووُزِعَ على المكتبات . ولم يمضِ أكثر من خمسة شهور حتى ابتسمت الأقدار لجوان ، وفاز كتابها الأول بجائزة نستلة سمارتيز ، ثم بجائزة الكتاب البريطاني لكتاب العام في أدب الطفل .. الجائزة الأهم في بريطانيا . بعد ذلك فازت روايتها الثانية " هاري بوتر وردة الأسرار " وروايتها الثالثة " هاري بوتر وسجين أزيباكان " بجائزة سمارتيز ، لتكون جوان الروائية الأولى التي تفوز بالجائزة ثلاث مرات متتالية . وانسحبت من المشاركة في الجائزة بعد ذلك حتى تعطي غيرها الفرصة للفوز بها . مُنحت وسام الشرف البريطاني عام ٢٠٠٠ ، وفي عام ٢٠٠٨ حصلت على جائزة الإنجاز المتميز ، وجائزة جالكسي للكتب البريطانية ، المعروفة باسم " نيبيز " ، وحصلت كذلك في العام نفسه على جائزة " إنجاز العمر " إحدى أهم جوائز الكتاب البريطاني .

الجزء السادس من هاري بوتر بيع منه خلال أول ٢٤ ساعة ٩ ملايين نسخة ، أما الجزء السابع الذي صدر في يوم ٢١ يوليو ٢٠٠٧ فقد أنفقت شركة النشر بلومزبيري ١٠ ملايين جنيه إسترليني للمحافظة على سرية محتوى الكتاب بعدما سلمته المؤلفة لهم في يناير ٢٠٠٧ . وصُدِّرَ إلى ٩٣ دولة ، وكان أسرع الكتب مبيعاً على الإطلاق . بيع منه ١٥ مليون نسخة خلال ٢٤ ساعة ، منها ١١ مليون نسخة داخل أمريكا وبريطانيا فقط . ترجمت الرواية إلى ١٢٠ لغة ، ونتج عنه فيلمان (جزء أول وثاني) . هكذا بعد توفيق الله وكرمه ما يصنعه التزامك بتحقيق أحلامك . تقول جوان رولينغ : كانت عندي آلة كاتبة قديمة وفكرة كبيرة ، ولا مفر من تحقيقها بعدما بَلَغَتْ قاع الفشل .

يناير ٢٠٠٥ أعلنت مجلة فوربس أن كاثلين أول شخص يصبح بليونيراً من بيع الكتب . وفي عام ٢٠٠٨ احتلت المرتبة ١٤٤ في قائمة الأشخاص الأكثر ثراءً في بريطانيا وفق جريدة صندي تايمز . لكن تذكر أيها القارئ أنه في ديسمبر ١٩٩٤ بعد حادثة طلاقها قد شُخِّصَتْ بالاكْتئاب السريري بعد استحواذ أفكار الانتحار عليها التي اضطرتها

إلى حضور الكثير من الجلسات الإرشادية العلاجية للشفاء من تلك المشكلة النفسية . ولذلك قلت في بداية حديثي عن هذه المؤلفة إن نجاحها لم يكن سهلاً أبداً .

أجمل العبارات التي أحب أن أختتم بها هذا الفصل هي عبارات وجدتتها في كتاب آدم كو " تغذية روح الفوز والعبقرية في طفلك " الذي شاركه في تأليفه صديقه جاري لي ، فقرة رائعة تدعم ما أريد توصيله إلى الشباب من خلال كتابي الذي هو بين أيديكم . تقول العبارة : على مدى السنوات التي قضيناها في تدريب المراهقين والأطفال ، اكتشفنا أن أصحاب الإنجازات المتميزة جميعهم يمتلكون صفات مشتركة معينة ، طبعاً ليس من ضمنها حاصل الذكاء المرتفع ، أو أنهم ولدوا لآباء يعملون في صناعة الصواريخ . كل ما في الأمر أنهم يفكرون تفكيراً مختلفاً ويؤدون الأشياء أداءً مختلفاً . واكتشفنا أنه باستطاعة أي طفل تعلم أنماط التفكير للمبدعين وأصحاب النجاحات الباهرة ، ويتعلم تلك الأنماط والإستراتيجيات يستطيع أي طفل أن يحقق نتائجهم الاستثنائية نفسها في الحياة .

يقولون عن أثر الأبطال والقديوات والقصص والأمثلة :

Example is a good teacher

وقال تعالى : ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ الأعراف ١٧٦



Attitude is Everything

ليس المهم أبداً نظرة الناس إليك ، المهم هو نظرتك إلى نفسك

الكاتشاب

أغسطس ٢٠٠٨ وأنا في السنة الثالثة من برنامج الدكتوراه في جامعة بول ستيت (مدينة مونسي - ولاية إنديانا) ، رنَّ جوال الدكتور أبو فارس سعيد القحطاني ونحن مجتمعون نتسامر في منزل الدكتور أبو لانا محمد العسيري . المتصل طالب مبتعث سعودي وصل توًّا إلى مطار إنديانا بوليس يطلب إلى أي طالب في النادي السعودي أن يتكرم عليه ويأتيه إلى المطار ليوصله إلى شقته الجديدة في مونسي . تطوَّع الدكتور سعيد وقارئ مسجدنا الشيخ أحمد قطب وأحضره من المطار . حضر إلينا وبيده وجبة ماكدونالد ، وعرَّف بنفسه قائلاً : أنا اسمي أبو حمود عبدالرحمن الشمري ، بكالوريوس هندسة عمارة ، وأنا هنا للحصول على الماجستير في التخصص نفسه . ثم التفت إلى الدكتور سعيد وقال له : أنا ممتن لك جداً .. فقد عملت معي معروفين كبيرين يعجز اللسان عن شكرك عليهما ، الأول قدومك لي إلى المطار في هذا الوقت المتأخر من الليل ، والثاني طلبك لي هذه الوجبة !! فأنا لا أعرف من اللغة الإنجليزية إلا كلمتين Yes و No فلولاك لبْتُ جائعاً حتى الصباح .

بدأ عبدالرحمن برنامج اللغة الإنجليزية الذي بدا واضحاً أنه في حاجة ماسة إليه قبل التسجيل في أي مادة دراسية ، فاللغة وعاء الفكر ولا بد من إتقان اللغة الإنجليزية ومهاراتها : القواعد ، الكتابة ، القراءة ، الاستماع ، والتحدث ، قبل الالتحاق بالبرنامج الدراسي . ومن حق كل مبتعث سعودي أن تكون له فرصة لتعلم اللغة الإنجليزية مدتها سنة كاملة ، ويمكن تمديدتها في بعض الحالات إلى سنة ونصف وربما سنتين . بعد شهر من انتظام عبدالرحمن في برنامج اللغة ، سأله أستاذ الكتابة : ماذا تعمل في يومك يا عبدالرحمن ؟ قال : أتحدث مع الأصدقاء ، أنام ، أتسوق ، ألعب الكرة ، وأشاهد التلفاز ، وأتناول الطعام . قال كل ذلك مع الكثير من الإيماءات والإشارات وعكس الفعل والفاعل وحذف الفعل وأحرف الاستمرارية ، وما تتخيل من اللخبطة اللغوية . استغرب المحاضر من جواب عبدالرحمن لأنه لم يتطرق إلى مذاكرته لمواد اللغة وحل الواجبات والمراجعة ، فمعظم وقته يقضيه في الأنشطة التي ذكر . فسأله بسرعة : إذاً كيف تلحق تحل واجباتك ؟ How could you catch up your homework ? فقال عبدالرحمن بنبرة الواثق : نعم في السعودية كاتشاب ، مايونيز ، بيرغر كينغ ، هارديز . ربما كان ذلك الجواب أجمل فاصل فكاهي سمعه

المحاضر والطلاب من يوم ولادتهم ، وربما سقط البعض من على كراسيهم من فرط الضحك الهستيري الذي أصابهم به هذا الجواب . كانت هذه بداية عبدالرحمن في برنامج اللغة ، ومعاناته الشديدة مع موادها . المهم أنه أنهى سنته الأولى في برنامج اللغة ، واستعد لاستقبال البرنامج الدراسي ومقرراته .

بدأ أبو حمود عبدالرحمن الشمري سنته الثانية مع ثلاث مواد من مواد الهندسة المعمارية ، كانت إحداها مع رئيس قسم الهندسة المعمارية الذي كان أصله من دولة غانا ، لكنه يحمل الجنسية الأمريكية منذ زمن بعيد . بعد شهر من الدراسة .. سأله الدكتور الغاني سؤالاً لم يستطع عبدالرحمن الإجابة عنه ، لكنه شرق وغرب وعاث في الجواب فساداً ، يعني بلغة الشباب " جاب العيد " . فقال له الدكتور في قاعة المحاضرة الكبيرة وأمام جموع الطلبة والطالبات الذين تجاوزوا الثمانين شخصاً : يا عبدالرحمن .. بول ستيت تصنيفها السابع على كل الجامعات الأمريكية في الهندسة المعمارية ، وهي أكبر من مستواك ومهاراتك ، فنصيحتي أن تنسحب من الجامعة وتبحث عن جامعة متواضعة تناسب حالك ولغتك ،

أو أنك تحجز تذكرة إلى بلدك اتجأها واحداً بلا عودة ، وهو ما أشجعك عليه وبقوة . ساد الصمت المكان بعد هذا الجواب الصادم المهين ، ولم ينبس عبدالرحمن ببنت شفة .. وكأنَّ الخرّس قد أصابه .

في صباح اليوم التالي .. اتصل عبدالرحمن بسكرتيرة رئيسة الجامعة وطلب موعداً للقاء الرئيسة ، وفعلًا حُدِّدَ الموعد بعد ثلاثة أيام . وصل عبدالرحمن في مواعده المحدد وقد حفظ بعض الكلمات الخاصة بالترقة والتمييز العنصري مثل : segregation ، discrimination .. ولك أن تتخيل المجهود الذي صرفه عبدالرحمن لحفظ تلك الكلمات . دخل عبدالرحمن عند رئيسة الجامعة - المس غورا - ثائراً حانقاً على الدكتور الغاني الذي أخرجهم أمام الجميع ، وأخذ يشرح لها بصوت عالٍ غاضب القصة بأكملها . كانت غضبته ومرافعته تشبه إلى حد بعيد احتجاج حسينوه بن عاقول على لجنة التثمين في مسلسل درب الزلق . فهتت المس غورا الموقف كاملاً - على الرغم من لغة عبدالرحمن الركيكة - وطلبت إليه أن يهدأ ويراقب ما الذي ستفعله في شكواه . رفعت سماعة الهاتف على رئيس القسم وسألته شفويًا عن حال عبدالرحمن . فقال : إنّ لغته

ضعيفة واستيعابه بسيط ، ومقررات القسم صعبة على من هم في مثل مستواه ، وأتوقع له الرسوب في كل المواد . انتهى جواب الدكتور الغاني الذي عرفت منه المس غورا صدق شكوى عبدالرحمن واتجاه الدكتور نحوه . رفعت السماعرة مرة ثانية .. لكن هذه المرة على أستاذ المادة الثانية التي يدرسها عبدالرحمن وسألته عن رأيه فيه ؟ فمدح عبدالرحمن وقال : إنه يشارك ويحاول ويجتهد ولا يتأخر في واجباته . وهكذا كان جواب أستاذ المقرر الثالث .

عندها .. رفعت السماعرة على رئيس القسم ثانية وأسمعته كلاماً قاسياً أثلج صدر عبدالرحمن وطيب خاطره ، الذي كان يسمع ويشاهد ويراقب الموقف بثاً مباشراً حياً على الهواء . قالت المس غورا للدكتور : ما فعلته هو عار على الجامعة ، ولا يناسب تصرف دكتور في مقامك ، كان المفترض منك الصبر على هؤلاء الطلبة الأجانب وتشجيعهم واحتواءهم وإدراك معاناتهم مع لغة ليست بلغتهم الأم . فعلاً مثل ما قال الطالب هذا تصرف يعكس الكثير من التمييز العنصري ، وربما يفهم منه الكره وعدم الترحيب بقبول الأجانب ، وجامعة بول ستيت لا ترضى أبداً مثل

هذه التصرفات غير المسؤولة . اسمع .. من الآن وحتى تخرج عبدالرحمن يُمنع عليك تدريسه ، ومادته معك سأعلقها حتى الفصل القادم ليأخذها مع دكتور آخر . انتهت المكالمة وخرج عبدالرحمن راضياً شاكراً للمس غورا تصرفها الرائع ، ودعمها له الذي تجاوز توقعاته بكثير . بعد سنتين من تلك الحادثة تخرج عبدالرحمن في بول ستيت ، وحصل منها على الماجستير في هندسة العمارة بتفوق مع مرتبة الشرف ، والآن هو طالب دكتوراه في السنة الأولى في إحدى الجامعات البريطانية في التخصص نفسه .

انتهت قصة عبدالرحمن الذي يستحق مني مرتبة الشرف الأولى على تصرفه وإصراره وثقته بنفسه وقوة بأسه ، وعدم سماحه لذلك الدكتور بسرقة أحلامه وتحطيمه والسخرية منه أمام الجميع - ﴿ كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ﴾ - فكل الذي يحتاج إليه عبدالرحمن للتعلم هو الوقت ، الوقت الذي يكفل للطالب - مع صبره ومثابرته - تعلمه وحفظه لما أشكل عليه في البدايات فهمه واستيعابه ، وتمكينه من رؤية الصورة الكلية للمفاهيم والقوانين والموضوعات . مع الوقت والرغبة والمثابرة يتحسن الفهم ويلين الصعب وتنفك العقد وتهاوى الصعوبات .

أخي لن تنال العلم إلا بسة
 ذكاءٍ وحرصٍ واجتهادٍ وبلغةٍ
 سأنبئك عن تفصيلها ببيانٍ
 وإرشادٍ أستاذٍ وطولٍ زمانٍ

سألت الصديق عبدالله الأحمد رئيس قسم اللغة العربية في إحدى مدارس الكويت عن النحو وقواعد اللغة العربية ، هل إتقانها سهل أم صعب ؟ فقال : كان أساتذتنا في الجامعة يقولون : النحو أوله سهل وآخره سهل ، والتحدي الكبير في اجتياز منتصفه . يبدأ النحو بالجملة الاسمية والفعلية ، بالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل ، ثم يبحر بعد ذلك في حروف وأفعال وقواعد ومفاهيم لغوية يصعب على الكثيرين إلزام أنفسهم على المداومة على تعلمها وفهمها وحضور دروسها . فالناس قليلو الصبر على مشقة التعلم ويريدون استيعاب الأمور بسرعة ، ولو صبروا وتصبروا لكانت تلك المشقات ولفرحوا في آخر الطريق على الفهم والاستيعاب والمهارة .

لولا المشقة ساد الناس كلهم
 الجود يُفقر والإقدام قتال

يستحق عبدالرحمن التكريم والإشادة ، لأنه برغم لغته المتواضعة كانت عنده الثقة الكبيرة لمواجهة رئيسة الجامعة بالظلم الذي وقع عليه والإهانة الكبيرة التي تلقاها أمام جموع الطلاب . الثقة التي فقدوها الكثير من المتعلمين والمبتعثين الذين تركوا جامعاتهم وكلياتهم وبعثاتهم بعد أول أو ثاني عشرة لهم في دراستهم ، أو أول أو ثاني إنذار لهم . وهو ما يفسر انسحاب ثلث الطلاب السعوديين من جامعاتهم ، وثلث الطلبة الكويتيين من بعثاتهم الخارجية . أعرف الكثير من طلابي الذين تخرجوا في الثانوية بمعدل كامل أو شبه كامل (٤ / ٤) لكنهم تركوا بعثاتهم الخارجية بعد أول سنة دراسية بحجة السحر ، أو وحشة الغربة ، أو كره الجامعة والدكاترة لهم .. والحقيقة هي مواجهة تدريس جاد ، وواجبات كثيرة ، وقراءة مستمرة تتطلب الكثير من الجهد والجدية وتنظيم الوقت والثقة بالنفس . وقبل ذلك كله سؤال العلي الكريم التيسير والتوفيق والثبات .

تقول كارولين كويل في كتابها " تشجيع الإنجاز " وكتابها " تحفيز غير المنجزين " : كثير من الطلاب الذين يحتاجون إلى مجهود ضخم من التشجيع هم أشخاص يملكون مستوى ضئيلاً جداً من الثقة

بالنفس . الثقة التي يلعب المعلمون والآباء والأصدقاء من خلال كلامهم وتلميحاتهم ورسائلهم دوراً كبيراً ورئيساً في زراعتها وتشكيلها . أقول إنَّ كلام كويل تسانده الكثير من الأبحاث والتجارب ، إلا أنَّ عبدالرحمن رفض كلام ذلك الأستاذ ، وأي أستاذ " رئيس قسم هندسة العمارة " ، الخبير الذي عاصر ودرَّس الآلاف من الطلاب ، المتمرس في هيئة الناجحين والفاشلين وأشكالهم وأدائهم . رفض توقع هذا الخبير فيه ، ورفض أن يشكل الآخرون مستقبله وأفكاره ، وأن يخدشوا ثقته في نفسه .. فحياته من صنع أفكاره وليس من صنع أفكار الآخرين وتقييمهم . بالنهاية الفلتر عندك وأنت من يقبل أو يرفض ما يحتاج عقلك من أفكار ورسائل وتوقعات وتقييمات .

قال أحد الحكماء : أحقق من لا يعرف ذاته

إنَّ تقدير الذات أو الشعور تجاه النفس هو الصفة الأساسية للأداء المرتفع ، وهو مفتاح السعادة والنجاح الشخصي . إنه يشبه لب المفاعل في محطة توليد الطاقة النووية ، فهو مصدر طاقتك وحماسك وحيويتك وتفاؤلك الذي يغذي شخصيتك ويجعلك إنساناً سعيداً ، وهو المعين بعد

الله على تجاوز الصعوبات والكبوات الكثيرة في الحياة (تريسي، ٢٠١١). كل الناس في داخلهم بذور النجاح، لكن أحد أهم الأسباب التي تجعل الكثيرين يفشلون في النمو وتحقيق قدراتهم هو ضعف تقديرهم لأنفسهم. وكثيراً ما أسمع صديقي زيغ زيجلر يقول: من المستحيل أن نتصرف باستمرار تصرفاً متعارضاً مع نظرتنا لأنفسنا (ماكسويل، ٢٠١٤).

عند تقبل الفشل والوصم به، يبدأ الطالب بتجنب التعلم والتجريب والمغامرة، ويفضل الاختباء والجلوس في المقاعد الخلفية من الصف أو الغوص إلى أسفل مقعده كي لا يراه المعلم، وآخر ما يتمناه ذلك الطالب هو أن يذكر المعلم اسمه. وإذا ما تلقى ورقة إجابته وعليها الإشارات باللون الأحمر فغالباً ما يطويها ويرميها بعيداً من دون أن ينظر إليها ويتفحصها ليتعلم من أخطائه. أما الطالب الواثق من نفسه الواثق من إمكانات دماغه - تلك الآلة المدهشة التي منحها الله إيانا - فإنه يقرأ بتمعن ملاحظات المعلم على أخطائه كي لا يكررها في المرة القادمة من دون أن يتهم نفسه بالغباء ودماغه بالضعف. فرأي الطالب بذكائه يؤثر في تعلمه (دويك، ١٩٨٦). لكنه يعلم أن الأخطاء ضريبة الإتيقان وأن

الفهم والمهارة المطلوبة لم تتحقق بعد ، فيستمر بالتعلم والتجريب ورفع اليد حتى يحقق الإجابة والمعرفة المنشودة . لا أحد يولد عالماً ، فالكل قد وقع بالأخطاء والزلات والكبوات (دانييلسون ، ٢٠١٠) .

إنَّ عبدالرحمن قطع الطريق ومن البداية على العجز المكتسب أن يجتاحه ، وهو تقبل العجز مرة بعد مرة حتى يصاب الإنسان بالاستسلام وعدم المحاولة ، وتصل ثقته بنفسه إلى الحضيض . عالمة النفس شاريز نيكسون من جامعة إري بولاية بنسلفانيا تشرح من خلال تجربتها التالية مع طلابها كيف يعمل العجز المكتسب في تدمير ثقة الإنسان بنفسه . طلبت إلى الطلاب أن يعيدوا ترتيب حروف بعض الكلمات لتعطي كلمة جديدة . هذه الكلمات هي Whirl و Slapstick و Cinerama . لا ينتقل الطلبة إلى الكلمة التالية حتى ينتهوا من الأولى . بدأت التجربة وبعد ٣٠ ثانية طلبت الدكتور شاريز إلى من انتهى من الكلمة الأولى أن يرفعوا أيديهم ، فرفع نصف الطلبة أيديهم ، طبعاً في دهشة من نصف الطلبة الآخرين ما زالوا يحاولون بالكلمة الأولى . ثم تطلب الدكتور شاريز من الجميع الانتقال إلى الكلمة التالية ، ومرة ثانية وبعد أقل من

٣٠ ثانية يرفع نصف الطلبة أيديهم ، ويظل القسم الآخر مذهولين ، فما زالوا يحاولون بالكلمة الثانية . الخدعة في تلك التجربة أن النصف الأول من الطلبة قد أخذ الكلمات السابقة صعبة التحويل التي ذكرت ، والنصف الثاني الذي دائماً ما يرفع يده أخذ كلمات مختلفة سهلة التحويل هي : Bat و Lemon و Cinerama . فكلمة Bat يمكن تحويلها إلى Tab ، وكلمة Lemon يمكن تحويلها بسهولة إلى Melon ، وكلمة Cinerama وجدها النصف الثاني أيضاً سهلة الترتيب ولاسيما بعد نجاحهم بسهولة بترتيب الكلمة الأولى والثانية ، فكانت الكلمة الجديدة هي Amercan . بينما النصف الأول وجد من الصعوبة تحويل كلمة Whirl إلى كلمة أخرى ، وشعر بالإحراج والغباء عندما شاهد نصف الفصل قد سبقه إلى الحل ، ثم ازدادت الأمور سوءاً مع كلمة Slapstick التي عجزوا أيضاً عن حلها بينما القسم الآخر ينجح في إعادة ترتيبها بأقل من ٣٠ ثانية ، فهم الآن يشعرون بغباء أكثر . وعندما وصلوا إلى الكلمة الثالثة وهي الكلمة الوحيدة المشتركة بين القائمتين ، فإن العجز المكتسب يخبرك بالاستسلام وعدم المحاولة (مارتين ، ٢٠٠٥) . عبدالرحمن لم يسمح للعجز المكتسب أن يصول ويجول بداخله ويفقده ثقته بنفسه ، فبادره بالهجوم عليه فهزمه وردّه من أول مرة خاسئاً خائباً .

يقول جون ماكسويل في كتابه " الفضل البناء " : سمع الجميع عن الأخوين رايت رائدي أول رحلة طيران في العالم في ١٧ ديسمبر ١٩٠٣ ، لكن قبل ذلك التاريخ لم يكن أحد يعرفهما ، فهما مجرد أصحاب محل لتصليح الدراجات في حي أمريكي بسيط . نكرتان مغموران بلا شهادة جامعية أو ثانوية ، ولم يكونا أبداً معروفين في مجال الطيران وعلومه . فالتوقع كل التوقع كان لشخص آخر سينجح بإطلاق أول طائرة بالجو ، هذا الشخص اسمه الدكتور صامويل بي لانجلي ، أستاذ رياضيات وفلك سابق ومدير معهد سميثسونيان العريق للأبحاث العلمية وبراءات الاختراع . كان لانجلي عالماً ومخترعاً ألف الكثير من الأعمال المهمة في الديناميكا الهوائية ، وكانت له رؤية لتمكين الإنسان من الطيران . في عام ١٨٩٨ تقدم إلى وزارة الحرب الأمريكية لتمويل تصميم طائرة تحمل فرداً واحداً في الجو وبنائها . أعطته الوزارة مبلغ ٥٠ ألف دولار ، وهو مبلغ ضخم في ذلك الوقت . شرع لانجلي ينفذ مشروعه ، وبحلول عام ١٩٠١ كان قد اختبر بنجاح طائرة تدار بالجازولين ولا تحمل أفراداً .. كانت الطائرة الأولى في التاريخ ، في ٨ أكتوبر ١٩٠٣ كان لانجلي قد أتمَّ طائرته التي سماها " الطائر الكبير " التي ستحمل الإنسان بداخلها ، والتي وُضعت

فوق منجنيق ضخمة لإطلاقها . تسلق الطيار إليها وجلس بداخلها ، وحين حاولوا إطلاقها علق جزء من الطائرة بطريق الإقلاع وسقطت بالماء .

تعرض لانجلي للانتقاد بلا رحمة ، لكنه في البداية لم يدع هذا الفشل يحبطه ، ولم يسمح للنقد أن يثنيه عن عزمه . فبعد ثمانية أسابيع في بداية ديسمبر .. كان قد عمل الكثير من التعديلات على الطائر الكبير ، وصعد الطيار بداخلها . لكن كما حدث من قبل ، فقد وقعت الكارثة مرة أخرى !! انقطع الكابل الداعم للأجنحة بمجرد الانطلاق ، وعلقت مرة أخرى بطريق الإقلاع ، ثم سقطت بالنهر رأساً على عقب ، وكاد الطيار يموت في داخلها . مرة أخرى كان النقد لا يرحم ، وأطلق على الطائر الكبير " حماقة لانجلي " ، وتم اتهام لانجلي بإهدار المال العام . علقت النيويورك تايمز قائلة : نتمنى ألا يُضَيِّع البروفسور لانجلي عظمتة الكبيرة بوصفه عالماً في تجارب طيران جديدة . استسلم لانجلي وبدأ مهزوماً محطماً تاركاً خلفه عمل عشرات السنين في الطيران من دون أن يشاهد واحدة من طائراته تحمل إنساناً وتطير بنجاح . لقد سمح لانجلي للحظة فشله أن تفقده ثقته في نفسه وفي علمه وتوقفه عن الاستمرار ، فهجر تجاربه

ومحاولاته وأبحاثه ، وبعدها بسنتين عانى سكتة دماغية توفي بعدها بعام . في المقابل .. بعد أيام من فشل طيران لانجلي ، نجح الأخوان رايت غير المتعلمين اللذان لم يحصلوا على تمويل في أن يطيرا بطائرتهما " فلاير ١ " فوق الكتيبان الرملية بمدينة كيتي هوك بنورث كارولينا ، ويحققا سبق على كل العالم في ذلك . فمن سمح للعجز المكتسب أن يغزوه ويدمر ثقته في نفسه ، اندثر وانمحي ، ومن صدّه وردّه وعانده ، نجح وخلّد اسمه وعمله وذكره .

قال لي أحد المسؤولين الكبار في إدارة شركة نفطية عملاقة خليجية ، كان قد سجّل أحد أبنائه في رحلاتنا التربوية الصيفية : لاحظت وأنا في لجنة التوظيف الفرق الشاسع بين خريجي جامعاتنا الوطنية وخريجي الجامعات الأمريكية . فخريج الجامعة الأمريكية يُسعدك ويُدهشك بأسلوبه وابتسامته وثقته في نفسه ، ويبهرك بجمال تقديمه وصوته وعرضه . عرضه الذي يبدو واضحاً أنه تدرب عليه عشرات المرات لما كان طالباً في الجامعة . أما خريجو جامعاتنا الوطنية فالصوت ضعيف ، والتقديم متواضع ، والثقة تكاد تكون منعدمة . لذلك أقول : ليس بيت

القصيد وسر النجاح من يملك المعدل العالي بالثانوية أو الجامعة ، لكن من يملك الإصرار والعزيمة والثقة بالنفس . لذلك لن تجد في كتب خبراء النجاح وأبحاثهم من يضع المعدل العالي ضمن مبادئ النجاح ومقوماته ، لكنهم يذكرون عوامل أخرى مثل : التخطيط ووضع الأهداف ، المثابرة ، الشغف والرغبة ، العلاقات ، العطاء ، الصحة ، والثقة والاعتزاز بالنفس .

يقول آدم كوو جان لي في كتابهما " تغذية روح الفوز والعبقرية في طفلك " :
 إننا نعلم بكل تأكيد أنَّ الآسيويين ليسوا بأقل قدرة وذكاء من الغربيين ، لكنهم يفتقرون إلى مستوى مرتفع من تقدير الذات لترويج أنفسهم مثل نظرائهم الغربيين . ونتيجة لذلك نميل إلى الفضل في شغل مناصب وظيفية مهمة وفي الترقى . عند إجراء مقابلة مع آسيويين وسؤالهم إذا كانوا قادرين على خوض تحديات العمل ومتطلباته ؟ تكون الإجابة المعتادة هي : أعتقد ذلك ، سأبذل ما في وسعي . وعندما نطرح السؤال نفسه على غربيين نحصل على إجابات مختلفة مثل : بالتأكيد ، أنا الشخص المناسب لهذه الوظيفة ، أنا أجيد العمل في فريق وبإمكاني تحقيق نتائج . فإذا تساوت بقية الأمور مثل الخبرات والشهادات ، أيهما سيؤثر فيك أكثر ؟ بالتأكيد ستختار الشخص

الذي يبدو أكثر ثقة ويعرف كيف يروج لنفسه . لأنه إذا لم يستطع الترويج لنفسه ، فكيف سيتمكن من الترويج لمنتجك أو الخدمة التي يقدمها ؟ .

وقال المؤلفان في الكتاب نفسه : إن امتلاك شعور متدنٍ بتقدير الذات هو شيء ضار بحياة الأشخاص للغاية ، فهو يؤثر سلباً في مستوى التعلم والتحصيل ، ويجعل الأشخاص المصابين به لا يتجرؤون على وضع أي أهداف لأنفسهم ، حيث إنهم لا يعتقدون أنهم يستحقون النجاح أو يستطيعون تحقيقه . سيجعلهم مترددين منطوين على أنفسهم ، يخشون المشاركة لخوفهم من الفشل أو ارتكاب الأخطاء ، فالظهور بمظهر السيئ بعد الفشل هو شيء مخجل ومخيف فيما يتعلق بهم . الشعور المتدني بالثقة يمنع من يصاب به من المغامرة وتحقيق أي شيء ذي قيمة في الحياة . يميل إلى التأثر بسهولة بالأقران ، ويظل في حاجة دائمة إلى اعتراف الآخرين وتأبيدهم ، وفي خشية دائمة من رفض الآخرين . إن من يفقد ثقته في نفسه يظهر دائماً بمظهر عدم المبالاة وقلة الحيلة والعجز عن التغيير ، فهو لا يتحكم بحياته وعاداته . فإما تجده في حال إنكار للذات منعزلاً ، أو ثرثاراً سلبياً يهين هذا وينتقد أولئك .

يقول جيروم برونز في كتابه " هم يستطيعون لكنهم لا يريدون " : أن تصبح طالباً جيداً هو شيء مهم ، لكن أن تحتفظ بصورة إيجابية عن نفسك ترفع بها ثقتك واعتزازك بذاتك هو الأهم . فمنافع الثقة على حياتك كثيرة وباقية ومؤثرة ، أما الدرجات والمعدلات المنخفضة فهي مرحلة من عمرك قصيرة يمكن تجاوزها وإصلاحها . يقول زيجلر في كتابه " أراك على القمة " : كشفت دراسة في جامعة هارفارد أن ٨٥ ٪ من أسباب النجاح والإنجازات والترقيات في حياتنا تعود لمواقفنا الذهنية ، وأن ١٥ ٪ فقط تعود إلى خبراتنا الفنية (الحقائق) . وهذا يعني أننا ننفق ٩٠ ٪ من وقت التعليم في تنمية ذلك الجزء من أنفسنا المسؤول عن ١٥ ٪ من نجاحنا ، وننفق ١٠ ٪ فقط من وقتنا وأموالنا في تنمية الجزء المسؤول عن ٨٥ ٪ من نجاحنا .. يا للخسارة .

يقول د. ديفيد نيفن في كتابه " أبسط ١٠٠ سر للأشخاص الناجحين " : أغلبية الطلاب الذين فشلوا في الجامعة في المرة الأولى ثم عادوا في فرصة ثانية ليكملوا دراستهم ، يذكرون أن الاختلاف الأكبر الذي حدث في الفرصة الثانية هو معرفة أكبر وأفضل بأنفسهم وقدراتهم والتزاماتهم .

في أحد البنوك الفلبينية أجرى باحثون من جامعة مانيلا دراسة حول الذكاء العاطفي والذكاء المعرفي وعلاقتهما بمدى الفاعلية والإنجاز في الحياة المهنية . عينة الدراسة هي مئة خريج جامعي يعملون في مواقع متقدمة في ذلك البنك : ٥٦ % من النساء ، و ٤٤ % من الرجال . أظهرت تلك الدراسة أن هناك تناسباً طردياً قوياً بين ارتفاع درجة الذكاء العاطفي (الذي يتضمن عناصر مثل : الثقة ، الحزم ، التفاؤل ، التعاطف ، والقدرة على التأقلم والتكيف) وبين النجاح في العمل . في حين أن الباحثين وجدوا علاقة ضعيفة جداً بين الذكاء المعرفي ونجاح الشخص في مكان عمله (المبيض ، ٢٠٠٣) . وفي دراسة أجريت على ٣٠٠٠ شخص من أصحاب الإنجازات ، وجد الباحثون أن ٨٥ % من المشاركين في الدراسة عزوا نجاحهم إلى توجههم (تفاؤلهم ونظرتهم إلى أنفسهم والعالم من حولهم) ، بينما عزوا الـ ١٥ % الباقيون نجاحهم إلى قدراتهم (جلين ، ٢٠١١) . وهناك دراسة أجرتها Career Builder توضح أن ٧١ % من أصحاب الأعمال يفضلون الذكاء العاطفي في الموظفين أكثر من الذكاء العقلي (الغنام ، ٢٠١٣) . يقول دانيال بينيك في كتابه

" عقل جديد كامل " : وفقاً لأحدث الأبحاث ، فإن حاصل الذكاء IQ مسؤول عن ٤ إلى ١٠ ٪ من النجاح المهني فقط .

أستاذ علم النفس في جامعة بنسلفانيا مارتن سليجمان يقول في كتابه " الطفل المتفائل " : إنَّ مئات المقالات العلمية تزخر بالعلاقة المتبادلة بين الثقة بالنفس ومستوى الأداء لدى الأطفال ، فكلما زادت الثقة زاد الأداء ، وكلما قلت الثقة قلَّ الأداء . وهذا يفسر الثقة الكبيرة التي يتمتع بها الأبطال الرياضيون ، والثقة المنعدمة التي يشعر بها المكتئبون . ويؤكد عالم الإبداع تورانس أنَّ القدرات الإبداعية تنخفض عند الأطفال الذين لا يثقون بأنفسهم وقدراتهم . والمؤلفون بومистер وكامبل وكراوجر وفوس اشتركوا في كتابة ورقة بحثية عن تقدير الذات نشرت في مجلة أمريكية اسمها " علم النفس في دائرة الاهتمام العامة " قالوا فيها : اكتشفنا خلال مراجعتنا لما كتب في هذا المجال بعض المؤشرات التي توضح أنَّ صفة الاعتزاز بالذات لها الكثير من المنافع الإيجابية على حياة الإنسان . منها : تحسن القدرة على المثابرة الجادة لمواجهة الفشل ، الجاذبية والتأثير على الناس ، امتلاك علاقات أفضل مع الآخرين ، وثقة وقدرة عالية على مواجهة الجمهور .

إنَّ الثقة بالنفس لا تُمنح إلهاماً في الكبر، ولكنها تعزيز وتشجيع والذي منذ الصغر في نفوس الأبناء على الاستقلالية والمغامرة والتجريب . آباء لا يهتمون كثيراً بالمعدلات والدرجات ، ولكنهم يهتمون بالجهد المبذول والساعات التي صُرفت على التحضير والمراجعة . هم دائماً يظهرون لأبنائهم قيمة الجهد والمثابرة في تطور الإنسان ونموه ، ويؤكدون لهم أنَّ الخطأ مقبول ، وتكراره دليل على الشجاعة والمغامرة واقترب من تحقيق المأمول من المهارات والمعارف . فيكبر ذلك الابن وتصارعه الصعوبات والإخفاقات ، لكنه يستمر في المحاولة يغلبها تارة وتصصره تارة ، إلى أن يجتازها ويحقق هدفه ومراده . لكن ماذا لو أهملنا تعزيز ثقة الطفل في نفسه ولم نعوده على قبول الخطأ وبذل الجهد والاستقلالية ؟ يقول مايكل غوريان في كتابه " عقول الفتیان " : كلما تدرج الطالب في المراحل الدراسية كانت الدروس والواجبات أكثر وأصعب ، يُخفق الكثير من الطلبة في حلها وفهمها ، فتصاب ثقتهم بأنفسهم إصابة بليغة من أدائهم الدراسي السيئ . شيئاً فشيئاً حتى يؤدي بهم عدم الثقة بالنفس إلى الاكتئاب الدراسي والافتقار لحماسة التعلم . إنَّ احترام الفتى لذاته في مرحلة الطفولة والمراهقة هو أساس الثقة بالنفس التي يتمتع بها

أو يفترق إليها لاحقاً في حياته بوصفه رجلاً (غوريان ، ٢٠٠٦) . لذلك أنا متأكد أن بطلنا عبد الرحمن كان وراءه بعد الله والدان رائعان تعاهداه منذ صغره بالتشجيع والابتسامة والحب غير المشروط ، حتى ضربت روح وثقة أطنابها في صدره استطاعت تجاوز ذلك التقييم الظالم المجحف .

في حسابي في الأنستقرام dralkraibani ستجد صورة لي في بالي في إندونيسيا وخلفي أعواد باسقة لشجرة عملاقة . قلت معلقاً على الصورة : الشجرة من خلفي هي شجرة البامبو باللغة الإنجليزية أو الخيزران باللغة العربية . هناك أكثر من ١٤٠٠ نوع لهذه الشجرة . يصل ارتفاع بعضها إلى ٣٠ متراً ، وقطرها إلى ٣٠ سم . استخداماتها كثيرة منها : صناعة الأسقف ، الأسوار ، الأثاث ، أدوات الطبخ ، الرماح ، صناعة الورق ، وبعض أنواعها طعام للإنسان والدواب ، وغيرها من المنافع الكثيرة . هناك أكثر من مليار شخص في العالم يسكنون بيوتاً مصنوعة من سيقان البامبو لمقاومتها الفعالة للزلازل . يزرع الفلاح بذرتها في العام الأول ويرويها ويسمد تربتها ويهتم بها ويظللها عن الشمس ، ولا يُرى من نموها فوق سطح التربة شيء . ثم هكذا في العام الثاني والثالث والرابع . وفي العام الخامس ،

وفي مدة أشهر قليلة تنطلق كالصاروخ نمواً ، في معدل يصل من ١٠ سم إلى ١٠٠ سم في اليوم الواحد ، حتى تصل إلى ذلك الارتفاع ٣٠ متراً تقريباً في تلك الأشهر القليلة . ثم قلت معلقاً : أخذ من ذلك التربويون مثلاً لهم على أهمية غرس القيم في نفوس الأبناء وتعاهدها وتأكيدھا مراراً وتكراراً بالكتاب والقصة والمحاضرة والتوجيه المباشر وغير المباشر . فقد لا ترى منافع هذا الغرس باكراً ، لكنه حتماً لن يضيع ، وسيظهر يوماً سلوكاً راقياً وقيماً وإصراراً ومثابرةً ومنهج حياة لأبنائك راسخ البناء . انتفع عبدالرحمن من ذلك التعاهد والتشجيع المبكر ، فصبر وثبت واجتاز المحنة ، وغيره - من تخرج في بلده بالمعدلات والنسب العالية - انتكس ويئس ورجع بالأعدار الواهية يبرر فيها عجزه واستسلامه .

تقول سوزان باريت في كتابها " كله موجود داخل رأسك " : كل شخص معامل ذكائه ١٥٠ وأعلى يطلقون عليه عبقرياً .. أليس كذلك ؟ لكن هناك الكثير من هؤلاء العباقرة في هذه الدنيا لا نفع لهم . لا أحد يعرف كيف ولماذا يصبح بعض الناس من العباقرة ؟! لكن كل العباقرة تقريباً يشتركون في صفتين شائعتين . الأولى : أن لديهم دافعاً قوياً جداً

لتحقيق أهدافهم ، والثانية : أنهم ينعمون بالأمان والثقة بالنفس من طفولتهم حتى بلوغهم .

يقول عالم الأعصاب والتعلم المشهور إرك جينسن في كتابه " كيف توظف أبحاث الدماغ في التعليم " : يكاد لا يوجد دليل على أن الطلاب الذين يكون أداؤهم الدراسي جيداً يكون أداؤهم أفضل في الحياة ، أو أن مهارات الاختبار قابلة للانتقال للحياة العملية . ثم يتابع جينسن ويقول : مع وجود آباء مشغولين لا يتوافر لديهم الوقت الكافي لكي يستثمروه في تربية الأطفال ، نجد أن طلاب اليوم لديهم مهارات اجتماعية وانفعالية ضعيفة واضطرابات سلوكية . لذلك يتعين على المدارس أن توفر المزيد من الوقت لبناء المهارات الانفعالية والاجتماعية لدى الطلاب . وهذه المهارات من السهل تعليمها مبكراً عن تعليمها في سنوات لاحقة . ولكن الضغط الكبير لكي نجعل الطلاب ينجحون في الاختبارات المصيرية جعلنا نهمل هذه المهارات . كلنا نوافق على أن الطلاب يجب أن يتمكنوا من القراءة والحساب عندما يمرون بالاختبارات الوطنية في الصف الرابع ، ولكن هل

نوافق على أن نريد منهم أيضاً أن يظهروا تعاطفاً ، وعدلاً ، وأمانةً ، وثقةً بأنفسهم ؟ فالكثير من الدراسات تدعم استنتاج : أن اختبار الذكاء الانفعالي أهم من اختبار الذكاء (جينسن ، ٢٠٠١) . وليتذكر الجميع أن هناك قاعدة بحثية قوية تدعم قيمة الذكاء الانفعالي وأثره في الإدراك (ماري وإيبيرسون ، ٢٠٠٢ ؛ بيترايدز ، فريديريكسون ، وفورهام ، ٢٠٠٤) .

يكمل غوريان في كتابه " عقول الفتیان " ويقول : إن لم تكن السنوات المبكرة قد عملت على تنمية احترام الفتى لذاته ، وواجه الفشل في الدراسة ولم يتلقَ ما يكفي من التشجيع والمدح والتحفيز لتجاوزه ، فإن ذلك الفتى يبدأ بالشعور بأن المدرسة وموادها وواجباتها هي هدر للوقت ولا نفع ولا طائل منها ، ويبدأ إحساس بالكره تجاه المدرسة ونظامها يتنامى في صدره . فيظهر مثل هذا الفتى الكثير من عدم الانضباط والعنف والتغيب وربما التسرب والانسحاب المبكر من المدرسة . وأحياناً كثيرة يلجأ إلى الفوضى وعدم الانضباط حتى يصرف الآخرين عن فشله ورسوبه وعجزه عن منافسة أقرانه .

يقول مؤلفا كتاب " كيف ينشئ الآباء الأكفء أبناءً عظاماً " : غالبية الأبناء الذين يقعون فريسة للمخدرات يعانون الاستهجان والاستخفاف بهم في منازلهم ، ولذلك هم يلجؤون إلى تعاطي المخدرات لتعويض فقد إحساسهم باحترام الذات . إنَّ الطفل الذي يعرف قيمة نفسه لن ينهار أبداً أمام ضغوط الرفاق . حتى هؤلاء الرفاق الذين يتعاطون المخدرات ينظرون باحترام للشخص الملتزم المستقيم الواثق من نفسه ، الذي لا يخاف أن يكون أو يبدو متميزاً متفرداً .

ديسمبر ٢٠١٦ .. بعد أن أنهى ابني يوسف عامين ونصف العام الدراسي في تخصص الهندسة الميكانيكية في جامعة بولدر ، عاد إلى الكويت هارباً من ثلوج كولورادو ليقضي إجازته الشتوية بين أهله وأرحامه وأصحابه . وفي بيتي وعلى الغداء قال له أحد أبناء خالته : يا يوسف ترى جامعة بولدر صعبة ، حوّل بعثتك إلى جامعتي في جنوب أمريكا .. فالدراسة هناك سهلة والامتياز مضمون في الجيب . حرام على دراستك وجهدك هذا تخرج من دكاترة بولدر بتقادير سي و بي . التفت يوسف إليّ مباشرة وقلت له : اسمعني جيداً يا يوسف .. تخرج من بولدر بتقدير جيد لكنك

واثق من نفسك وعلمك وفهمك ، أفضل ألف مرة من خريج امتياز مع مرتبة الشرف اجتاز موادہ بالغش والخديعة يظل طول عمره متشككاً من علمه فاقداً لثقتہ في نفسه . دعهم يحتفظون بشهادات الورق ، واحتفظ أنت يا يوسف بثقتك في نفسك .

يقول الدكتور توماس فيلان في كتابه " ثورة الاعتزاز بالنفس عند الأطفال " : تظهر الأبحاث أن الاعتزاز بالنفس ينخفض عند الأطفال انخفاضاً كبيراً وملحوظاً جداً بداية دخولهم للصف الأول الابتدائي !! حيث بداية الحذر من مراقبة الكبار (المعلمين) وملاحظاتهم وردود أفعالهم ، حيث يكون قبول المعلمين والأطفال الآخرين وحبهم مشروطاً . فعلى قدر ذكائك يحبك المعلمون ، وعلى قدر نشاطك واندماجك يحبك الصغار . لذلك سيظل منح قبول الوالدين وحبهما غير المشروط لطفلهما في المراحل العمرية المبكرة الركيزة الأهم لتعزيز ثقته في نفسه وترسيخها . إن تعزيزها في الصغر يُعدُّ شيئاً مهماً وحيوياً لصحة الطفل وذكائه العاطفي والعقلي عند بلوغه ، ويمنحه الشجاعة والمثابرة لمواجهة تحديات الحياة وصعوباتها .

ثم يقول فيلان في الكتاب نفسه : دائماً ما تبين الدراسات أن الاعتزاز بالنفس يمنح الشخص أشياء رائعة .. يمنحه شخصية متميزة ، إنجازاً دراسياً عالياً ، بناء علاقات جيدة مع الآخرين ، قدرة على الاستقلالية ، نضجاً انفعالياً ومزاجاً غير متقلب ، ويمنحه دافعية وتفاؤلاً وحماسة متوقدة للعمل والإنجاز .

High achievement and high self-esteem go hand in hand

Nancy Johnson

The faces of gifted

كتاب آن كريب وجورج بيتس " اصنع أكثر من الأشخاص المبدعين " قائم على موديل للإبداع يتكون من ١٥ صفة دائماً ما تكون بارزة و ظاهرة عند الأشخاص المبدعين . وهذه الصفات هي : مفهوم إيجابي عن الذات ، المثابرة ، القدرة على التعبير ، الاستقلالية ، حس الفكاهة ، تحمل الغموض ، الفطنة ، الانفتاح على الأفكار الأخرى ، الذكاء ، الحدس ، الأصالة ، الطلاقة ، حل المشكلات ، المرونة ، والقدرة على

التحسين . ومن ينظر إلى الرسم التوضيحي للموديل سيجد أن صفة " مفهوم إيجابي عن الذات " قد احتلت قلب الموديل ومنتصفه !! يقول المؤلفان : لم نضع هذه الصفة في المنتصف اعتباطاً ، بل عن قصد واعتقاد قوي جداً عن عظيم أهمية هذه الصفة وتأثيرها البالغ في باقي صفات الإبداع . لذلك ينبغي أن تكون الأولوية الأولى للتربويين هي تعزيز ثقة المتعلمين بأنفسهم واعتزازهم بذواتهم . فلا يهم مقدار ما يبذله المعلمون من الجهود في تطوير الصفات الأخرى وتعزيزها إذا كان المتعلم فاقداً للثقة غير معتر بذاته ، لأن تطور الصفات الأخرى حينها سيكون محدوداً ومتواضعاً .

لا يوجد أحد يجعلك تشعر بأنك أقل تميزاً من الناس سوى شخص واحد .. هو أنت . يقول الدكتور المزيدي في كتابه " كن معنا في القمة " : عندما تزداد ثقة الإنسان بنفسه ، تزداد الفرص المتاحة أمامه ، تزداد قدرته على الأداء المتميز ، وعلى اتخاذ القرارات والمخاطرة اتخاذاً حكيماً مدروساً . كذلك تزداد قدرته على مواجهة الناس والنصح لهم ، ويستقبل الانتقادات بطول بال وسعة صدر .

انخفاض الكفاءة الذاتية هو شعور الشخص بأنه يفقد القدرة على التعلم ، وهو اعتقاد منتشر جداً بين طلاب المدارس قد أثر سلباً في تحصيلهم الدراسي . اعتقاد يصابون منه بالإحباط واليأس السريع من التعلم والنجاح ، ويشعر الطالب بسببه بأنه مهما فعل ومهما حاول فإنه لن ينجح ولن يتعلم . اعتقاد سيعكس الكثير من سلوكيات عدم المبالاة وعدم المسؤولية . تجد مثل هذا الطالب كثير التغيب ، مهملاً لأداء واجباته ومراجعاته ، يتكرر منه الرسوب والتحصيل المتدني ، ويطور الكثير من السلوكيات غير المرغوب فيها . الدكتور مارقوليس والدكتور ماكيب في ورقة بحثهما تحت عنوان " تطوير الكفاءة الذاتية والدافعية : ماذا تفعل ؟ ماذا تقول ؟ " أسندا هذا التطوير إلى المعلم وصوته المشجع . قال الباحثان : إنَّ صوت المعلم المشجع له أثر حاسم ومؤثر جداً في علاج انخفاض الكفاءة الذاتية ، وذلك من خلال استمرار التشجيع ، حكاية قصص المثابرة والمثابرين ، تعليم إستراتيجيات تعلم جديدة وفعالة ، تشجيع التحسن ولو كان طفيفاً ، التغذية الراجعة والسريعة ، الإشارة إلى الأخطاء دون انتقاص وكيفية تفاديها في المرات القادمة ، وأنها علامة على التعلم والمحاولة وطريق أكيد ومضمون للإتقان والمهارة والإنجاز .

في نهاية هذا الفصل .. أود أن أوضح أن كتابي هذا وما تضمنه من قصص وتجارب وأبحاث إنما كان الغرض منه هو شحن ثقة الناس بأنفسهم وإمكاناتهم ، وشحن البطاريات الفارغة منه في نفوس الشباب والطلاب والمبتعثين . وتأكيد وترسيخ قاعدة " إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم " ، فكل شيء ممكن اكتسابه وتعلمه وإتقانه : الذكاء ، الإبداع ، الاحتراف ، المهارة ، الأخلاق ، القيم ، والثقة بالنفس . هناك أمل ، هناك وقت ، ولم يفت الأوان بعد أيها الشباب وأيها الشيوخ .

يقول الأمريكيان :

The foundation of success is attitude



فى مقابلة تلفزيونية .. سمعت البطل عبدالله الرشيدى وهو يتحدث عن فوزه بالميدالية البرونزية فى رماية السكيت (أولمبياد ريو دي جانيرو ٢٠١٦) فيقول : " انتظرت هذه اللحظة ٢٠ سنة ، ولولا صوت الجمهور والتشتت الذهني الذي أصابني منهم لكأنت الميدالية الذهبية من نصيبي ، لكن الحمد لله على كل حال " .

أقول .. فى عالم يشع فيه التشجيع والثناء ويكثر فيه التجاهل والنقد ، أنت فى حاجة إلى صورة ذهنية تعيش لها وتستمتع بسعيك لتحقيقها كما فعل هذا البطل . فربما تكون تلك الصورة - بعد عون الله وكرمه وتوفيقه - حافزك الأكبر ومشجعك الوحيد على الاستمرار والمحاولة بعد المحاولة وعدم اليأس .. برافو بو ظلال .

د. سعد الكريانى

شهقة الأمريكان

يناير ٢٠٠٤ كان الفصل الثاني لي في برنامج الماجستير ، تخصص تدريس الطلبة الموهوبين والمتفوقين في جامعة نورثرن كولورادو . وكانت مادة الذكاء والإبداع إحدى المواد الأربع التي درستها في ذلك الفصل ، والتي قررها علينا الدكتور ستيورات أومدال ، وطلب إلينا قراءة ثلاثة كتب لهذه المادة : الأول " الذكاء الناجح " لروبرت ستيرنبرغ ، والثاني " الإبداع للأبد " لقاري ديفيز ، والثالث " اصنع أكثر من الأشخاص المبدعين " لأن كريب وجورج بيتس .

كنا في هذا المقرر ٢٤ طالباً وطالبة : ٢٢ من الأمريكان وأنا وطالب سعودي . كان من واجبات هذا المقرر عمل عرض تقديمي فردي في أي موضوع ضمن الكتب الثلاثة التي ذكرت . فاخترت كتاب ستيرنبرغ " الذكاء الناجح " لعمل عرضي التقديمي حول أحد فصوله . جهزت شرائح البوربوينت له ، وحددت مع الدكتور ستيورات موعد تقديمه . في يوم العرض .. قلت لهم إن الموضوع الذي اخترته هو قصة حقيقية عن طالب أمريكي فشل في اختبار الذكاء ، وأثر ذلك فيه وفي دراسته .

وكل شريحة تشاهدونها هي نص من كلام ذلك الطالب ، ولم أزد عليه شيئاً .

الشريحة الأولى : لما كنت في المرحلة الابتدائية فشلت فشلاً ذريعاً في اختبار الذكاء . الثانية : مصممو اختبارات الذكاء والمدرسون والإداريون يُقسّمون إنه لا يوجد أقبح من الفشل في اختبار الذكاء . الثالثة : الفشل في اختبار الذكاء يعني أنك صنفت من الأغبياء . الرابعة : لا أحد يتوقع الكثير من طالب غبي ، لذلك أساتذتي لم يتوقعوا الكثير مني . الخامسة : لم أكن طالباً جيداً في المراحل الثلاث الأولى من المرحلة الابتدائية . السادسة : في الصف الرابع الابتدائي : معلمتي السيدة أليكسا آمنت بأني طالب قادر على تحقيق نتائج أفضل مما حققته في السابق . السابعة : لقد ذهلت عندما تجاوزت توقعاتها ، لقد أصبحت وبسرعة طالباً لا يحصل إلا على الامتيازات . الثامنة : لقد أصبحت أنظر إلى نفسي كشخص قادر على أن يصبح طالباً ممتازاً . التاسعة : التوقعات السلبية من رموز السلطة هي واحد من أكبر العوائق التي تواجه الطالب . العاشرة : عندما يصنف الطالب أنه غبي فإن حظوظه في النجاح تبدأ بالجفاف .

ثم الشريحة الحادية عشرة التي ذكر فيها ذلك الطالب الصفات الأربع الرئيسة والمهمة للمتعلمين الناجحين . الصفة الأولى : الطلبة الناجحون لا يقبلون التوقعات السلبية . الثانية : يحددون أهدافهم ويسعون إليها جاهدين . الثالثة : العوائق عندهم جزء من التحديات . والصفة الرابعة : يصنعون فرصهم بأيديهم بدلاً من أن يتركوا الظروف الخارجية تحدد فرصهم .

كان العرض من الشريحة الأولى إلى الحادية عشرة تلقائياً على شكل قصة ، مدة كل شريحة ١٠ ثوانٍ ليتسنى للزملاء قراءتها واستيعابها . وبعد الشريحة الحادية عشرة قلت لهم : هل عرفتم من صاحب القصة ؟ هل عرفتم الطالب الذي ظل ثلاث سنوات غيباً في صفوف المرحلة الابتدائية حتى جاءته معلمته في الصف الرابع ووهبته اعتقاداً إيجابياً عن نفسه بدلت به أحواله وذكاءه وتحصيله الأكاديمي ؟ الجميع هزأوا بالنفي وقالوا : لا . قلت لهم : إن صاحب القصة سترونه في الشريحة الثانية عشرة . ها هو .. إنه البروفسور روبرت ستيرنبيرغ ، مؤلف أحد كتبنا لهذا المقرر .

وبمجرد أن نطقت اسمه ، سمعت شهقة الزملاء وقد دوت في القاعة . كانت القصة موجودة في مقدمة كتاب " الذكاء الناجح " لستيرنبرغ ، وكنت على يقين أنه لن يقرأها أحد ، فالفصول المطلوب قراءتها في كل لقاء كثيرة من هذا الكتاب ومن الكتب الأخرى ، ولا مجال ولا وقت لقراءة مقدمة كتاب . لذلك كنت متأكداً أنني سأفاجئ الجميع بمن فيهم دكتور المقرر بالقصة والشخصية . لم يتوقع أحد أن يكون البروفسور ستيرنبرغ تلميذاً غيباً في الصفوف الثلاثة الأولى الابتدائية ، فهو أستاذ الموهبة والذكاء المشهور ، كتبه تتجاوز التسعين كتاباً ، وله مئات الأبحاث العلمية في المجالات العلمية المرائدة ، ويندر أن تجد بحثاً أو كتاباً في الموهبة والذكاء لا يتضمن في مراجعه اسمه وأبحاثه .

إذاً التوقع الإيجابي من المعلمة صنع نجماً وعالمًا كبيراً في علم الذكاء والموهبة ، كان يعتقد وهو صغير أنه غبي شديد الغباء من تجربة رسوب واحدة في اختبار الذكاء . اعتقاد أصابه بالعجز مدة ثلاث سنوات ، تعطلت معه الإمكانيات والمواهب . فجاء ذلك الاعتقاد والتوقع الإيجابي من تلك المعلمة المحبة وخلصه من القيد الذهني الذي كبَّله وعطله ،

وَأَبَانَ عَنْ مَخْزُونِ ذِكَاآتِهِ وَقَدْرَاتِهِ ، وَاسْتَنْهَضَ هِمَّتَهُ وَحِمَاسَتَهُ وَنَشَاطَهُ .
 كَانَ مَجْرَدَ اسْتِبْدَالِ تَوَقُّعٍ سَلْبِيٍّ بِتَوَقُّعٍ إِيْجَابِيٍّ ، لَكِنْ اَنْظُرِ الْاَثْرَ وَالتَّغْيِيرَ
 الْكَبِيرَ . لِذَلِكَ يَقُولُونَ لَيْسَتْ الْمَعْرِفَةُ مِنْ تَضَمُّنِ النِّجَاحِ ، وَلَا التَّعْلِيمُ ،
 وَلَا التَّدْرِيبُ ، وَلَا الْخِبْرَةُ وَالتَّجَارِبُ ، وَلَا طَبْعًا الْمَالُ !! إِنَّهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ ..
 إِنَّهَا قُوَّةُ الْاِعْتِقَادِ الْإِيْجَابِيَّةِ الَّتِي يَحْمِلُهَا الْمَرْءُ عَنْ نَفْسِهِ .. طَبْعًا بَعْدَ
 تَوْفِيقِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَتَسْدِيدِهِ .

Attitudes are more important than facts

فِي كِتَابِهِ " مَجْتَمَعُ الْإِنْجَازِ " يَشِيرُ دِيْفِيدُ مَآكْلَانْدُ الْأُسْتَاذُ فِي جَامِعَةِ
 هَارْفَارْدِ الَّذِي أَجْرَى أَبْحَاثًا كَثِيرَةً عَلَى مَدَارِ سِنَوَاتٍ حَوْلَ التَّرْبِيَةِ وَأَسَالِيِبِهَا
 الْمَخْتَلِفَةِ الَّتِي تُؤَثِّرُ فِي حَافِزِ الْأَطْفَالِ نَحْوِ الْإِنْجَازِ ، إِلَى أَنَّ هُنَاكَ صِفَتَيْنِ
 أُسَاسِيَّتَيْنِ لِلْأَسْرِ الَّتِي أَفْرَزَتْ أَشْخَاصًا مُتَفَوِّقِينَ . الصِّفَةُ الْأُولَى : سَمَاعُ
 آرَاءِ الْأَطْفَالِ وَاحْتِرَامِهَا وَتَشْجِيعُهُمْ عَلَى الْإِسْهَامِ فِي قَرَارَاتِ الْأُسْرَةِ مِنْذُ
 سَنٍ مُبَكِّرَةٍ . الصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ : التَّلَفُّظُ بِالتَّوَقُّعَاتِ الْإِيْجَابِيَّةِ أَمَامَهُمْ .
 يَقُولُ الدُّكْتُورُ مَآكْلَانْدُ : تَعَدُّ التَّوَقُّعَاتُ الْإِيْجَابِيَّةُ مِنْ أَهَمِّ الْمُمِيزَاتِ

للآباء والأمهات الذين ينشئون أشخاصاً متفوقين . فالأشخاص المتفوقون هم من ينشئون في أسريعرب الأب والأم عن ثقتهما في قدرات أبنائهما ، وإيمانهما بأنهم سوف يعملون عملاً متميزاً ، ويحققون أموراً رائعة في حياتهم .

جون سكالي الرئيس التنفيذي لشركة أبل (١٩٨٣ - ١٩٩٣) الذي أصبح ناصح ستيف جوبز ومعلمه ، والشخصية الأكثر تأثيراً على فكره التسويقي . يقول عن تلميذه جوبز : كان يذهلني سلوكه ، كان يدفع العاملين معه لبذل قصارى جهدهم ، وكان يحثهم باستمرار على رفع مستوى توقعاتهم حيال ما يستطيعون القيام به . فكان المهندسون والمبرمجون يصابون بالذهول بسبب الإنجاز الذي يستطيعون تحقيقه ، والأعمال التي لم يفكروا أبداً بأنهم قادرون على تحقيقها وإخراجها واقعاً ملموساً (كاھني، ٢٠٠٨) .

"زهرة البنفسج" هو تمرين دائماً ما يستخدمه الدكتور إسماعيل الشطي في دورته الرائعة "التفاحة : برنامج التفكير الإبداعي" .

يقول الدكتور إسماعيل : دائماً ما ينجح هذا التمرين مع المتدربين بنسبة مئة في المئة ، فليست كل التمارين تحقق ما تريده منها بنسبة كاملة ، لكن زهرة البنفسج هو التمرين الذي لم يخيب ظني أبداً على مدى ٢٠ سنة من التدريب المتواصل . ويمكن لكل معلم أو مدرب أن يجربه على طلابه ومتدريه ليعرف صدق ما أقول . قَسِّم الحضور إلى مجموعتين ، اطلب إلى المجموعة الأولى خلال دقيقة أن تخرج من كلمة " زهرة البنفسج " ثماني كلمات ، مثل : بن ، هر ، جرة ، نفس ، سفرة .. وهكذا . واطلب من المجموعة الثانية خلال المدة نفسها أن تأتي بـ ٢٠ كلمة !! في بداية التمرين ستعترض عليك المجموعة الثانية من عدد الكلمات المطلوبة إليها ، لكنهم في النهاية سيندهشون من نجاحهم وتحقيق توقعك منهم . فكأن رفع مستوى التوقع والتحدي يرفع مستوى الإنجاز والعمل ، ويكشف عن قدرات كامنة غير عادية في البشر . ولذلك تُظهر أبحاث لا حصر لها أنَّ التوقعات الإيجابية للمعلمين تزيد من تحصيل الطالب والعكس صحيح (جوسم و إيكلس ، ١٩٩٥) . يقول علماء الأعصاب والتعلم إنَّ الدماغ مثل قطعة المطاط ، كلما شددتها أكثر استطالت معك أكثر .. فلا تترد أن تتحداه وتستنهض قواه .

دماغ ذو تعقيد خارق يتكون من ١٠٠ مليار خلية عصبية ، تتصل كل واحدة منها بـ ١٠ آلاف من الخلايا العصبية الأخرى ، لتشكل عددًا فلكيًا من التشابكات التي تنبأ الدكتور بيوتر أنوكيهين Pyotr Anokhin أنها تساوي واحدًا متبوعًا بـ ١٠٠ مليون كم من الأصفار (باريت ، ١٩٩٢) . وقال عالم الأعصاب البروفسور ريتشارد ريساك في كتابه " الدماغ " : إنَّ تلك التشابكات فلكية ربما أكثر من عدد الجسيمات المنتشرة في الفضاء . وقال مؤلفو كتاب " حالات الدماغ " (اشترك في تأليفه ٨ من أطباء الأعصاب) : إنَّ هذه الوصلات أو التشابكات طويلة جدًا ، فلو وضعت بعضها بجانب بعض فإنها ستصل إلى سطح القمر وترجع منه نحو ١٢ مرة .

تشابكات تقطعها ترليونات من الرسائل العصبية في سرعة كبيرة جدًا تصل إلى ١١٢ م / ث . دماغ يفوق في سرعة معالجته للمعلومات المسموعة ٤ إلى ١٠ مرات سرعة المتحدث . دماغ قادر على تمييز أكثر من ٣٠٠ لون مختلف (غرينفيلد ، ٢٠١٠) . دماغ شديد المرونة واللدونة قادر على توليد خلايا جديدة حتى آخر عمره ، وتجديد ما تلف منه

وتعطل وإصلاحه (جنسن ، ٢٠٠٧؛ دانييلسون ، ٢٠١٠؛ قولد ، ريفس ، كرازيانو ، وقروز ، ١٩٩٩؛ كيمبرمان ، وقيج ، ١٩٩٩؛ ييسن ، ١٩٩٠) . يقول البروفسور ديباك شوبرا عالم الأعصاب في جامعة هارفارد الطبية ومدير وحدة أبحاث الشيخوخة في كتابه " الدماغ الخارق " : من المعروف الآن أنَّ الدماغ يمكن أن يشكل محاور عصبية وتشعبات جديدة حتى السنوات الأخيرة من حياته ، مما يعطينا الأمل الكبير في منع الشيخوخة والحفاظ على القدرات العقلية لدينا إلى أجل غير مسمى .

إذا لدينا دماغ خارق وهبنا الله إياه .. دماغ بإمكانات وقدرات مذهلة تتطلب إدراكها واستنهاضها وإخراجها بالتشجيع والتحفيز والتوقع الإيجابي غير المحدود . إمكانات عالية لا ينبغي أبداً أن نُسميتها وندفنها بالتجاهل وشح الثناء والمدح والتوقع . يقول مؤلفو كتاب " ماذا يحتاج الأطفال إلى النجاح " : توقع الأفضل لأطفالك ، فكلما كانت توقعاتك عالية لهم حاولوا غاية جهدهم بلوغها وتحقيقها . فالتوقعات العالية تخرج أفضل ما بداخلنا ، وتدعم الاعتزاز بأنفسنا ،

وتجعلنا أكثر جرأة على أخذ المغامرات والمبادرات ، وأقل خوفاً من الوقوع في الأخطاء . يقول ديفيز وريم وسيقل في كتابهم " تربية الموهوبين والمتفوقين " : إنه من المهم جداً أن يسمع الأطفال غير المنجزيين من آبائهم ومعلميهم أنهم يؤمنون بصدق في قدرتهم على الإنجاز . فالتوقعات العالية من الآخرين يمكنها أن تغير توقعات الشخص من نفسه ، وتحوله من شخص غير منجز إلى شخص عالي الإنجاز .

المهم أن تقول توقعك بصدق بحيث يتطابق قولك مع تلميحاتك ولغة جسدك . فالإنسان تصل إليه إشارات الوجه والجسم أكثر وأقوى من كلمات اللسان ، فهو أكثر حساسية وقراءة والتقاطاً لنبرة الصوت وتعابير الوجه ولغة الجسد من أي شيء آخر . ولذلك يقول الأمريكان : Actions speak louder than words . فقبل أن تطلق لسانك في الشكوى وتقول : ابني ظل كسولاً لم يتغير برغم أنني دائم التشجيع والمدح له !! اسأل نفسك : كيف كانت لغة جسدك ونبرة صوتك وتعابير وجهك عندما شجعت ومدحت ؟ هل هما متوافقان متطابقان ؟ أم هما متعارضان متخالفان يكذب أحدهما الآخر ؟؟ .

It's not so much what you say,
as the manner in which you say it.

It's not so much the language you use,
as the tone in which you convey it.

يقول ديفي في كتابه " أيقظ العبقري الذي بداخل طفلك " : إنَّ السبب الذي يجعلنا لا نتصرف ولا ننجز كما يفعل العابرة ، هو أننا افتقرنا وافتقدنا ذلك الصوت المشجع الذي يؤمن بحق أنَّ العبقرية شيء بداخلنا نستطيع إظهارها والاستفادة منها . فالأب الذي يمنح الحب والتشجيع والتوقع الإيجابي ، لن يشعر أبنائه بالدونية وعدم الكفاءة ، بل إنهم سيطورون صورة إيجابية عن الذات وثقة كبيرة في النفس ضرورية لتحرير الطاقة والعبقرية الكامنة فيهم . يقول مؤلفو " عقلية الناجح " : على عكس مما هو شائع بين الناس ، لا علاقة للنجاح بمستوى الذكاء أو الظروف أو الموارد المالية أو حتى الحظ ، ولكنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً ببناء عقلية مقاومة للفشل .

فلا ننسى التشجيع والتوقع الأفضل لأبنائنا وطلابنا ، ولا نفوت على أنفسنا فرصة قول كلمة حسنة مشجعة لأحبائنا قد تكون انطلاقة إيجابية وتغييراً حقيقياً لهم . يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " متفق عليه .

العداء الأمريكي الأسود جيس ونز Jesse Owens يسميه بعض النقاد الرياضيين " الرياضي الأعظم في تاريخ أمريكا " ، وبعضهم يسميه العداء السوبرمان .. فهو الأسرع في زمانه . فاز في أولمبياد برلين عام ١٩٣٦ بأربع ميداليات ذهبية : سباق ٤٠٠ متر تتابع ، ١٠٠ متر جري ، ٢٠٠ متر جري وحطم الرقم القياسي السابق فيه ، الوثب الطويل وحطم أيضاً الرقم القياسي السابق فيه . وبقيت تلك الوثبة ٢٢ سنة صامدة لم يحطمها أحد . يقول عن نفسه : ولدت لأسرة سوداء في أمريكا في غاية الفقر المادي ، لكنها في غاية الغنى والتشجيع الروحي . فبرغم ضعف بنيتي ونحالة جسمي وتحصيلي الدراسي المتدني ، كانت أمني دائمة التشجيع لي ، تردد على مسامعي دائماً : سوف يكون لك شأن عظيم وتحقق في حياتك

إنجازات كبيرة ، استثمر مواهبك وإمكاناتك ولا تفقد أبداً ثقتك في نفسك . وفي يوم من الأيام .. كان تشارلي بادوك Charlie Paddock (أحد أكثر العدائين شهرة في ذلك الزمان ، والعداء الأسرع في العالم الذي يشبهون سرعته بسرعة الضوء) ضيفنا في طابور الصباح المدرسي . كان بادوك في ذلك الوقت متقاعدًا من مهنته الرياضية ، لكنه أصبح عبر خطابه ولقاءاته التحفيزية مصدر إلهام وتأثير عظيم على جموع كثيرة من الشباب .

كنت في الصف الأول المواجه لبادوك وهو يلقي علينا خطابه التحفيزي ، وقف أمامنا ثم سألنا جميعاً : هل تعرفون من أنتم ؟ سكت برهة ثم قال : ربما لا تعرفون .. أنا هنا لأخبركم وأجيبكم عن هذا السؤال . أنتم خلق الله المدهش ، يمكنكم أن تصبحوا شيئاً عظيماً . يمكنكم أن تحققوا ما تريدون إن أنتم حددتم أهدافكم ، وعملتكم بجد لتحقيقها ، وملكتم اعتقاداً إيجابياً عن أنفسكم ، وتحليتم بأخلاق وقيم طيبة . وبمجرد أن قال بادوك تلك الكلمات وانتهى حديثه ، لمع هدفي أمام عيني مباشرة : أريد أن أصبح بادوك الثاني ، أريد أن أصبح

أسرع رجل في العالم . جريت مسرعاً إلى أستاذ الرياضة وقلت له :
 كابتن .. لدي حلم ، لدي حلم ، سوف أصبح تشارلي بادوك الثاني ،
 سأصبح أسرع رجل على وجه الأرض . كان أستاذي حكيماً ومشجعاً
 وناصحاً .. وضع يديه على كتفي وقال : هذا جيد ، هذا جيد ، من
 حقك أن يكون لديك حلم ، وأن يكون هذا الحلم عظيماً ، لكنني أؤكد
 لك أنه لن يتعدى حدود رأسك ، ولن تذهب به إلى أي مكان .. إلا إذا !!

إلا إذا عملت بجهد كبير لتحقيقه ، وأمنت بقدرتك على النجاح ،
 وشغفت بحلمك ولم تتخل عنه .. عندئذ أستطيع أن أقول لك بملء
 فيّ إنك ستبلغ بحملك الآفاق . حتى تحقق حلمك عليك أن تقف
 دائماً على أربع ركائز : العزم ، التفاني ، الانضباط ، والإيمان بقدرتك
 على النجاح . ثم قال : إيمانك بقدرتك على النجاح هو في نظري
 أهم من تلك الركائز الثلاث مجتمعة . لأن إيمانك بنجاحك هو من
 يؤسس لأفكارك ومشاعرك ويحرك سلوكك ونشاطك ، وهو من يغذي
 ويدعم عزمك وتفانيك وانضباطك . انتهت كلمات أستاذي ، لكنها ظلت
 محفورة في قلبي توجهنني وترشدني وتدفعني وتتعهد على الدوام إشعال

جذوة حماستي وشغفي ، حتى كانت تلك الإنجازات الخارقة والسجل
الخالد في أولمبياد برلين عام ١٩٣٦ (بيل ، ١٩٨٦) .

يذكر سولو في كتابه " تعزيز دافعية الطالب " أن سلوك الطلبة
وأداءهم هو مرآة لتوقعاتنا ، وأن أشكال التعلم كافة لا تنتج طلبة
ناجحين إذا ما تعرضوا للانتقاد السلبي . فعندما يشعر الطلبة بالخوف
فإنهم يركزون على عملية التعلم بهدف المحافظة على الذات بدلاً من
اكتساب المعارف والمهارات . النقد من المعلم يفقد الطالب ثقته في نفسه
ويجعله أكثر يأساً وتوتراً ، وهي مشاعر تعيق الدراسة والإبداع والإنجاز .

وما قاله سولو صحيح مئة بالمئة ، فقد عشت ذلك الارتباك والتوتر
الذي منعني من تعلم مهارة بسيطة في اللغة العربية ، لأنني أحسست
وقتها بتهديد موجه إلى ذاتي والسخرية منها . كان ترتيبي على زملائي
في الصف الرابع المتوسط هو الثاني ، ولم يسبقني في الترتيب إلا طالب
واحد ما زلت أذكر اسمه هو فهد عواد الشمري (يعمل الآن طبيباً جراحاً
في وزارة الصحة الكويتية) . ففي أحد دروس القراءة ، طلب إلي الأستاذ

يوسف معلم اللغة العربية الوقوف وقراءة درس من دروس القراءة المقررة ، فوقفت وبدأت قراءة الدرس بصوت عال أمام الجميع . مشكلتي ومشكلة الكثير من الكويتيين قلب القاف إلى غين ، فكلما مررت على حرف قاف قلبته غيناً ، وكلما فعلت ذلك كان الأستاذ يوقفني ويقول : أعد الجملة . فأقراها من جديد وأعود إلى الخطأ نفسه . فيضحك ويضحك الزملاء من دون أن ينبهني إلى خطئي ويعلمني نطق الحرف نطقاً صحيحاً . هل تصدقون أنني أنهيت الصف الرابع المتوسط بتفوق والثاني على فصلي من دون أن أعرف خطئي والسبب الذي أضحك المعلم والزملاء . كان دماغي مختطفاً من تلك السخرية والضحكات ، ولم يكن أبداً في وضع يسمح له بالتعلم وكسب المعارف والمهارات الجديدة . لقد شعرت بالتهديد وعدم الأمان وهو ما أربكني وشتت تركيزي عن تصحيح الخطأ الذي وقعت فيه ، فلم يكن همي في تلك اللحظات التعلم بل الدفاع وإزالة الخطر الذي عرضني له الأستاذ أمام الزملاء .. خطر السخرية والحق من قدرتي وإمكاناتي . ولذلك صدق عالم الأعصاب والتعلم إرك جنسن في كتابه " التعلم المبني على الدماغ " عندما قال : إنَّ التعلم الأكاديمي هو الأولوية رقم ٥٢ عند الدماغ ، لكن الأولوية الأولى للدماغ هي الأمان .

سمعت الخطيب التحفيزي المشهور لس براون Les Brown في مقطع فيديو على اليوتيوب وهو يحكي قصة حياته يقول : عشت أنا وأخي التوأم مع عائلة تبنتنا في مبنى مهجور مهترئ في وضع بائس مزر في إحدى ضواحي ميامي الفقيرة . وعندما دخلت المدرسة الابتدائية بدأت فيها بداية أكاديمية متواضعة جداً ، وحصلت على لقب حمار من الزملاء . وفي الصف الخامس الابتدائي شُخِصْتُ بالتخلف العقلي التعليمي ، وأُرجِعْتُ من الصف الخامس إلى الصف الرابع . وبقيت على هذا المستوى المتواضع وهذه الوصمة بالتخلف العقلي حتى قابلت الأستاذ ليوار واشنطن في المرحلة الثانوية .

كنت أقف بالقرب من باب أحد الفصول الدراسية أنتظر صديقاً لي لنخرج معاً ، فدخل الأستاذ ليوار ذلك الفصل ونظر إليّ وطلب إليّ أن أذهب إلى اللوح وأكتب ما سيقوله لي . قلت له : لا يمكنني فعل ذلك سيدي . فقال لي : ولم لا ؟ قلت : أنا لست واحداً من تلاميذك ، أنا أدرس في فصل آخر . فقال : لا يهم .. اتبع تعليماتي الآن . قلت له : لا يمكنني ذلك سيدي . قال : ولم لا ؟؟ قلت : لأنني متخلف عقلياً ..

هكذا شُخِّصْتُ في المرحلة الابتدائية . فقدم من خلف مكتبه ونظر إلي وقال :
لا تقل ذلك مرة أخرى ، فرأيتُ شخصاً أخبر بك لا يجب أن يصبح واقعك .
ومنذ أن سمعت جملته تلك ، استبدلتُ ببذور العجز في عقلي التي
أقعدتني ودمرتني وأفقدتني ثقتي في نفسي ، بذوراً جديدة تصيح فيَّ
بأنني أستطيع ، أستطيع أن أنجح ، وان أبدأ بكتابة أهدافي وأحلامي
وأطارد بها . قبل سنوات .. ما كان لأحد أن يقنعني بأنني سأكون ذا شأن
في هذه الحياة ، اليوم ألقت كتاباً خاصاً بي اسمه " عش حلمك " ، عندي
خمسة عروض تلفزيونية حصرية تُبثُّ على القنوات العامة ، قدمت خطابات
تحفيزية لا تحصى لكبرى الشركات والمؤسسات . هكذا حولت كلمات ذلك
المعلم حياتي ومستقبلي .

ثم يقول لس براون : في طريقك لتحقيق أحلامك ستواجه انتكاسات ،
إحباطات ، هزائم ، والكثير من الفشل والألام .. لكنك أيضاً في أثناء
الطريق نفسه ستكتشف أشياء بداخلك لم تكن تعرفها من قبل !! ما سوف
تكتشفه أنَّ هناك عظمة بداخلك ، وأنت أقوى من ظروفك ، ولست في
حاجة إلى أن تعيش ضحية في الحياة . إنَّ الإنجازات العظيمة لا تتحقق

إلا في أرض خصبة من الصعوبات والتحديات ، صعوبات وتحديات تمدك بالعناد والإصرار والمثابرة ، وتمنحك الجذور الأولى الراسخة التي تغذيك بالحياة والنشاط ، وتدفعك إلى النجاحات والقمم الأعلى والأعلى . نصيحتي .. أن تؤمن بنفسك وتتوقع الأفضل لها ، وإياك ثم إياك أن تسمح لآراء الآخرين بتقرير مصيرك (براون ، ١٩٩٢) .

يقول الأمريكيان : Capacity is a state of mind

يعني أن قدراتك وسقف إمكانياتك حال ذهنية ، فتصورها كيف شئت

قال ابن المقري في لاميته وهو يصف الناقدين المشبطين :

شر الورى بمساوي الناسِ مشغلٌ مثل الذبابِ يُراعي موضعَ العِللِ

فبنى على وزنها الدكتور إبراهيم الخليفي أبياته وأكمل اللامية وهو

يصف عين الذبابة (العين الناقدة) وقال :

فعينه أبداً بالسوءِ مُغرمةٌ فلا يرى غير قبيحِ الفعلِ والخَلَلِ
ولا ترى عينه إلا مثالبنا وتستهي رؤية الأوضارِ والزَّلَلِ

يُكَبِّلُ النَّاسَ بِالْأَصْفَادِ تَمْنَعُهُمْ
 مِنْ النَّهْوِصِ وَتُفْشِي الْحَسَّ بِالْفُشْلِ
 يُوْذِي النَّفُوسَ بِتَأْكِيدِ الْقُصُورِ
 وَسُوءِ الظَّنِّ وَالتَّجْرِيحِ وَالْعَدْلِ
 وَيُوقِعُ الْوَهْنَ فِي أَبْنَاءِ جَلْدَتِهِ
 وَيُبَدِّلُ الْعِزْمَ بِالتَّخْذِيلِ وَالْوَجَلَ
 فَلَا أَقَامَ لَهُ الرَّحْمَنُ قَائِمَةً
 لِأَنَّهُ بِأَذَى الْإِنْسَانِ فِي شَغْلٍ

ثم أكمل الدكتور الخليفي قصيدته بوصف المشجعين البنائين من
 المربين والمعلمين بأن عيونهم كعيون النحلة لا تقع إلا على الزكي الجميل ،
 فقال :

عِيُونَ النَّحْلِ تَرشُدُ كُلِّ بَانِي
 إِلَى حُسْنِ التَّدْبِيرِ فِي الْمَعَانِي
 فَشَهْدُ النَّحْلِ أَنْشَاءُ التَّفَاتِ
 لِرُوحِ الزَّهْرِ لَا هَدْرٍ السَّوَانِي
 وَمَنْ يَبْنِ النَّفُوسَ فَلَا يَجَاوِزُ
 جَمِيلَ الْقَوْلِ وَالْحُكْمِ الْحَسَانِ
 وَأَنْ يَسْخُو بِحُسْنِ الظَّنِّ دَوْمًا
 يَطِيبُ نَتَاجُهُ فِي كُلِّ آنٍ

تقول العضيدان في كتابها " استمتع بفشلك ولا تكن فاشلاً " : عندما
 كان فيكتور سيربرياكوف (١٩١٢ - ٢٠٠٠) في الخامسة عشرة من عمره ،
 أخبره معلمه أنه لن يتمكن أبداً من إنهاء دراسته ، وأنه من الأفضل له

أن يترك المدرسة ويتعلم حرفة يعيش منها . عمل فيكتور بالنصيحة وترك المدرسة وتصرف كغبي على مدار ١٧ عاماً يعمل أعمالاً بسيطة هنا وهناك . لكن عندما بلغ ٣٢ عاماً حدث تحول مذهل في حياته !! فقد كشف أحد التقييمات بأنه عبقرى ، حقق ١٦١ درجة في أحد مقاييس الذكاء (متوسط الذكاء ٩٠ - ١١٠) . وبعد هذه الدرجة من الذكاء وما يتوقع من صاحبها من سلوك وإمكانات ، تصرف فيكتور كعبقرى . كتب الكثير من الكتب الخاصة بتربية الموهوبين ، وآلية عمل الدماغ ، واختبارات الذكاء ، وألغاز العقل . كما سجل الكثير من براءات الاختراع ، وأصبح رجل أعمال ناجحاً في صناعة الأخشاب . لكن الحدث الأهم هو اختياره رئيساً لمجتمع مينسا العالمي ، الذي يضم الأفراد ذوي معامل الذكاء المرتفع الذي يضم في عضويته أكثر من ١٠٠ ألف شخص .

ريتشارد إسبارزا من القادة الذين يمارسون التدريس بحب وشغف . يقول عنه ستيفن كوفي في كتابه " البديل الثالث " : عندما تولى إسبارزا إدارة مدرسة جرانجر الثانوية في ياكوما فالي في واشنطن ،

لم يكن الموقف يوحي بالأمل !! حيث كان معظم طلبة المدرسة أبناء
 لعمال مزارعين ، ولم يكن لدى الطلبة آمال كبيرة للخروج من دائرة
 الفقر ، وكانت الإحصاءات الأكاديمية وفقاً لمعايير الولاية كالآتي :
 ٢٠ ٪ فقط من الطلبة يستطيعون القراءة ، ١١ ٪ من الطلبة يستطيعون
 الكتابة ، و ٤ ٪ فقط من الطلبة يستطيعون الحساب . فعند إسبارزا أن
 مهمته الرئيسية بوصفه مدير مدرسة هي تغيير توقعات هؤلاء الطلبة .
 فبدأ بنفسه وبمعلميه وقال أمامهم : أتوقع أن ينجح كل الطلبة ، وأتوقع
 أن يعتقد كل المعلمين في المدرسة هذا الاعتقاد .. فكل الطلبة لديهم
 القدرة على النجاح . لكن كانت العقبات التي تعترض توقعات إسبارزا
 هائلة بكل المقاييس ، يصعب حلها وتجاوزها . فمن أصل عشرة طلبة
 هناك تسعة طلبة ينتمون لجماعات أقلية . الطلبة والآباء والمعلمون
 كلهم يشعرون بعدم الأمل . كانت العصابات منتشرة بين هؤلاء الطلبة ،
 والرسومات السيئة تملأ جدران المدرسة وفصولها . وكانت الشرطة
 تحرس زوار مباريات السلة التي يلعب فيها هؤلاء الطلبة . ولذلك كان
 على إسبارزا أن يكافح حتى يغير كل شعور واعتقاد وتوقع سلبي داخل
 عقول الطلبة والآباء والمعلمين .

تمثلت أولى محاولاته في إزالة الرسوم والكتابات من على جدران المدرسة لإخفاء رموز قوة العصابات ، وحظر ارتداء الطلبة لكل الملابس والإشارات التي ترمز إلى تلك العصابات أو تشير إليهم . كما حث الآباء على المشاركة في دعم تعلم أبنائهم وحضور اجتماعات المدرسة التي لم يكن يحضرها سوى ١٠ ٪ من الآباء . وأعلن إسبارزا للآباء أنهم إذا لم يحضروا إلى المدرسة فسيذهب هو ومعلموه إليهم . وبعد بضع سنوات أصبحت نسبة حضور أولياء الأمور ١٠٠ ٪ . استخدم إسبارزا كل الأدوات التي استطاع التفكير فيها لتحفيز الطلبة . كان لديه أوراق نقدية (من فئة العشرين دولاراً) مصورة قيمتها ٤٢٠ ألف دولار ، يقول للطلبة وهو يمسكها : هذا هو تقريباً المبلغ الذي سيخسره كل طالب على مدار حياته إذا لم يتخرج في الثانوية .

لقد قرر إسبارزا أن يُعَدَّ كل طالب موهبة متميزة في العالم بدلاً من عدّه رقماً جديداً يضاف إلى إحصاءات الفشل . لقد محا الصورة المشوهة لدى العصابات من الطلبة عن مفهوم النجاح ، ودعم صورة جديدة للنجاح وهي : العمل الجاد ، الإصرار ، والإنجاز . لقد أدخل الأمل إلى العائلات

التي فقدت الأمل ، وأصبحت نتائج قراراته وتغييراته تتحدث عن نفسها . لقد أصبح تسعة طلاب من بين كل عشرة في الصف الثاني عشر يتخرجون ويلتحقون بالجامعة أو مدرسة متخصصة . وأثبت إسبارزا أن المشكلة ليست في النظام التعليمي ، بل في العقلية التي يحملها الطلبة التي تقول : لا أستطيع فعل هذا ، وهذا صعب جداً .

ولذلك دور المعلم وصوته المشجع حاسم جداً في صناعة فروقات حقيقية في جودة التعليم وفي مستقبل الطلبة . في شهر مارس ٢٠١١ وفي أولى جلسات المؤتمر الدولي للتعليم العام ، افتتح مدير عام المعهد الوطني للتعليم في سنغافورة الدكتور لي سينج كونج هذا المؤتمر بورقة عمل تحت عنوان " تطور التعليم المبني على المدرسة " جاء فيها : بالاعتماد على نتائج البحوث الخاصة بدراسة النظام التعليمي في كوريا وفنلندا وأمريكا وكندا وهونغ كونغ وغيرها ، توصل إلى النتيجة الآتية : إن جودة أي نظام تعليمي لا يمكن بأي من الأحوال أن تظهر إلا بوجود معلمين متميزين ، فالمعلمون هم من يحفزون الطلاب ويعطونهم الدافع للتعلم . ومن هنا ركز عند الإصلاحات على إصلاح جودة المعلمين والنظر إلى ذلك بوصفه أحد

العوامل الجوهرية لإحداث التغيير الفعلي (الدوسري ، ٢٠١١) . وتؤكد أبحاث كثيرة جداً أنَّ العلاقة الإيجابية بين المعلم والطالب القائمة على الحب والاحترام والتشجيع ترفع التحصيل الأكاديمي للطلاب (ليجمان وفيكتور ، ٢٠٠٣؛ مارسانو ومانو ، ٢٠٠٣؛ شيب ، ٢٠٠٣؛ تيت ، ٢٠٠٤) .

سيبقى اسم من شجعك وصوته وشكله عالقاً في ذاكرتك ، دَيْناً في ذمتك له على انتشالك من اليأس والإحباط ودفعك للتقدم والمحاولة . منذ كانت جوان كاثلين رولينغ - مؤلفة كتب هاري بوتر - صغيرة وهي تطمح أن تكون كاتبة ، ولطالما حاولت الكتابة عندما كانت صغيرة . وتذكر في سيرتها الذاتية متحذثة عن ذلك بشغف وحماسة ، أنَّ صديقها شون كان أول شخص يعزز ثقتها في نفسها ، وأنها ستتمكن يوماً ما من أن تصبح كاتبة جيدة . يقول العم والملياردير السعودي سليمان الراجحي : منذ عام ١٣٦٣ هـ (أكثر من ٧٠ سنة) وأنا أضحى أضحيتين : واحدة عن نفسي وأهلي ، وواحدة عن سعد المطوع !! سعد المطوع هو أستاذي في الصف الثاني الابتدائي ، لما عرف أنني سأزور أمي ورأى فقري ووساخة ثوبي وتشققه ، مد لي من جيبه ريالاً وقال اشترِ ثوباً جديداً ثم زر أمك

به .. فما زال عطفه وجميل فضله في رقبتى إلى أن أموت . قيمة ثوب
لطفل ما زال عالقاً في الذاكرة ، فكيف حال من علمك وشجعك وصفق
لك !!

فقط تذكر أيها المعلم ألا تقطع صوتك المشجع عن طلبتك ، فهم
بحاجة ماسة ومتكررة إليه . يقول زيغ زيجلر : يقول الناس إن التحفيز
لا يستمر تأثيره طويلاً !! أقول نعم ، وكذلك الاستحمام ، ولهذا ننصح
به يومياً . فالروح الإنسانية متذبذبة ، خليط من الأمل واليأس ،
النور والظلمة ، المتعة والبؤس ، السعادة والحزن . من السهولة تركها
تنحدر إلى قيعان الانهزام والإحباط واليأس ، لكن من الصعب المحافظة
على طاقتها وحيوتها واندفاعها ، ولذلك أيها المعلم استمر بالتشجيع
والتحفيز وتوقعاتك الإيجابية لطلابك . كشفت دراسة لمنظمة الآباء
والمعلمين الوطنية الأمريكية أن مقابل كل مدح أو تأكيد على نقطة
قوة فيك تتلقاها من الآخرين ، هناك ١٨ رسالة سلبية تنتقدك وتؤكد
على نقاط ضعفك . وأنه عندما يلتحق الأطفال في الصف الأول
الابتدائي ، هناك ٨٠ ٪ منهم يشعرون بمشاعر إيجابية عن أنفسهم ،

لكنهم ما إن يصلوا إلى الصف السادس حتى تنخفض تلك النسبة إلى ١٠ ٪ .. تبقى منهم فقط عشرة بالمئة يحملون صورة إيجابية عن ذواتهم (زيجلر ، ١٩٨٦) . فالتشجيع والثناء ورصد الإيجابيات ضرورة يومية يحتاج إليها طلابك أيها المعلم .

جين مارك إيتارد (١٧٧٥ - ١٨٣٨) طبيب فرنسي متخصص في أمراض الأذن وفي تعليم الطلاب الصم ، ويَعُدُّه الكثير أنه أول من أسس للتربية الخاصة وبدأ بعض علومها . في بداية القرن التاسع عشر .. بدأ هذا الطبيب الشاب تعليم طفل عمره ١٢ عاماً ، وجدوه عارياً يتجول في إحدى غابات فرنسا ، يتجول على أطرافه الأربع كأنه حيوان مفترس . كان شديد الضجر عنيداً عنيفاً أخرس ، يصدر أصواتاً كالحيوان المفترس ، وقد بدت عليه علامات التخلف العقلي واضحة . سماه جين إيتارد " فيكتور " وبدأ في تعليمه والعمل على تعديل سلوكه . لكن الطبيب المشهور فيليب بينيل (١٧٤٥ - ١٨٢٦) أستاذ إيتارد نصحه أن يتوقف عن تعليم فيكتور !! لأن جهوده التدريسية ستذهب سدى مع شخص أبله متخلف لا أمل فيه .

إنَّ الطفل عندما يبلغ عامه الثاني يكون قد تجمع لديه قاموس لغوي حجمه نحو ٥٠ كلمة ، ثم ألفين كلمة في السنة الخامسة . ويربط في هذه السن المبكرة بين أجزاء الجملة بالضمائر والأفعال المناسبة ، ويدرك المعاني العامة مثل : في ، فوق ، على ، وتحت (سليم ، ٢٠٠٢؛ سليم ٢٠٠٤) . وفيكتور هذا يبلغ من العمر ١٢ عاماً ولا يحسن ولا كلمة واحدة . لقد فانت إلى غير رجعة فرصته المثالية للتعلم في مراحل عمره المبكرة ، فاته النمو اللغوي والحركي والعقلي المعرفي والانفعالي والسلوكي والاجتماعي والأخلاقي .

تقول الطبيبة التربوية الإيطالية المشهورة ماريا مونتسوري : هناك فترات حاسمة في حياة الطفل ، فترات حساسة حرجية مبرمجة يكون الطفل خلالها متشوقاً وقادراً على السيطرة على مهام معينة . فمثلاً هناك فترات حساسة لاكتساب اللغة وأخرى لاستخدام اليد يعمل الطفل كل ما يمكنه لاستخدامها وتجربتها ، وإذا مُنِعَ الطفل من التمتع بهذه الخبرات في الوقت نفسه الذي أتاحته له طبيعته ، فإن الحساسية الخاصة التي تدفعه إلى أداء هذه المهام سوف تختفي

مخلضة آثاراً مزعجة على عملية النمو (كرين ، ١٩٩٦) . إذاً لا سبيل إلى تعليمه يا إيتارد ، إنك فعلاً تُضيع وقتك معه .. استمع إلى نصيحة أستاذك وأرجعه إلى غابته التي أتاك منها .

لم يستمع الطبيب الشاب لنصيحة أستاذه وأكمل تعليم الطفل فيكتور مع توقع بالتطور والتحسن . وفعلاً حدث تحسن كبير في سلوكيات فيكتور وفي بعض مهاراته . تحسن وتطور لم يتوقع الخبير والطبيب المشهور حدوثه - وأعني أستاذ إيتارد الطبيب فيليب بينيل - لكن الصبر والحب والتوقع الإيجابي والتدريس المنهجي المرحلي دائماً ما ينجح ويأتي بثماره . نجح مع الذي فاتته الفترات الحاسمة الحرجة ، فكيف لا ينجح مع شخص طبيعي لم يفته شيء من تلك الفترات !! (هالاها و كوفمان ، ٢٠٠٦) . الفيلم الفرنسي The wild child الذي أُنتج عام ١٩٧٠ ، يجسد هذه القصة الحقيقية ويروي مشاهدتها ، ويوثق التطور المذهل الذي حدث في شخصية فيكتور . الفيلم من إخراج فرانكوس تروفوت ، وقد باع شباك تذاكر السينما في فرنسا فقط أكثر من مليون ونصف تذكرة لهذا الفيلم .

إن الأطفال الذين يتربون في بيئة تملؤها الإيجابية والثناء والقبول سيكونون أكثر سعادة ، أكثر إنتاجية ، أكثر تحصيلاً ، وأكثر التزاماً وطاعة واحتراماً من أولئك الأطفال الذين يتعرضون للنقد المستمر . لقد قُسم ٦٠ طالباً إلى ثلاث مجموعات ، كل مجموعة تضم ٢٠ طالباً ، يتلقى جميعهم يومياً على مدى خمسة أيام اختبارات في مادة الرياضيات . المجموعة الأولى تتلقى المدح على نتائج اختباراتها السابقة ، والثانية تتلقى الانتقاد ، أما الثالثة فكان التجاهل نصيبها لا مدح ولا ذم . لاحظ مصممو هذه التجربة أن المجموعة الأولى التي دائماً ما تتلقى المدح قد تحسن أداؤها تحسناً كبيراً وملحوظاً ، أما التي تعرضت للنقد فقد تحسنت أيضاً لكن كان تحسناً بسيطاً ، أما المجموعة التي تعرضت للتجاهل فإنها لم تتطور، وصُغِبَ على المعلمين تحسين أدائها (زيجلر، ١٩٨٦) .

وهذه تجربة كررها الكثير من الباحثين على بيئات مختلفة (مدارس، شركات ، مؤسسات حكومية) فوجدوا النتيجة نفسها ، وبعضهم وجد أن تأثير النقد والتجاهل يكاد يكون متساوياً ..

متساوياً في تأثيره السلبي على أداء الأشخاص . ومن هؤلاء
 دان أرييلي Dan Ariely أستاذ علم النفس والسلوك في جامعة ديوك
 (ولاية شمال كارولينا) الذي عرض تجربته الرائعة في موقع تيد للعروض
 التقديمية تحت عنوان ? What makes us feel good about our work
 الذي توصل إلى النتيجة نفسها التي ذكرت .

تذكريا صاحب الصوت المشجع بأنه ..

من المستحيل أن تؤثر في شخص تأثيراً إيجابياً أو أن تمنحه دفعه
 من دون أن تجني أنت نفسك استفادة من ذلك .. فكن كريماً في تشجيعك

زيج زيجلر

أراك على القمة

PATEK PHILIPPE
GENEVE



Patek Philippe
Supercomplication, Pocket watch

هذه الساعة السويسرية يصل ثمنها إلى ٢٤ مليون دولار ، فهي أغلى ساعة . يوجد منها ٨ نسخ في العالم ، يستغرق صنع الواحدة منها ٨ سنوات ، فهي أكثر ساعة معقدة وتحوي ١٥٠٠ قطعة . تؤدي الكثير من العمليات والحسابات ، منها حساب السنة الكبيسة وإظهار شكل السماء وأوجه القمر وأماكن النجوم . في المقابل .. الدماغ صناعة الخالق عز وجل ، به أكثر من ١٠٠ مليار قطعة ، ويستقبل ويحلل أكثر من ١٣٠ مليون وحدة معلوماتية في الثانية الواحدة .. فكيف يُقدَّر ثمنه ؟ وكم نستخدم من إمكانياته ؟؟

د. سعد الكريباتي

الخاتمة

فبراير ٢٠١٣ توجهت بي الطائرة أنا وصديقيَّ الحبيين : الدكتور إسماعيل عبدالله الشطي وحمد عبدالحميد القطان إلى مطار زيورخ في سويسرا لترتيب أمور رحلتنا الصيفية في ربوع جبال اكسالب ، أعلى مدينة وبحيرة برينز التي تحد مدينة انترلاكن من جهة الشرق . ففي كل عام لشركتنا التربوية رحلة صيفية نقصد بها بلدًا من بلدان العالم يشترك فيها أبناء الخليج ، للأعمار من ١٣ إلى ١٦ عامًا ، تتضمن أنشطة ثقافية ورياضية وترفيهية ودورات تنمية في بناء الثقة ، القيادة ، التعامل مع الأزمات ، وإدارة الحياة . بدأنا العمل في مثل هذه الرحلات التربوية التي نعشقها منذ عام ١٩٩٥ ، وما زلنا ننظمها ونشرف عليها بأنفسنا . وزيارتنا المبكرة في شهر فبراير أو مارس هي عادة لنا للتأكد من مكان الإقامة وملاءمته لبرامجنا ، والاتفاق مع شركة الحافلات الخاصة بتنقلاتنا ، والتأكد من توافر اللحم والمطاعم الحلال . وفي رحلات كثيرة مثل رحلتنا إلى أستراليا وأمريكا ومانشستر كنا نتفق مع عوائل عربية لطبخ العشاء وتوصيله إلى أماكن إقامتنا ، فطبخ ربات البيوت يظل أنظف وألذ وأقرب إلى الذوق الخليجي .

وصلنا إلى مطار زيورخ الساعة السابعة صباحاً على الخطوط القطرية، تسلمنا أمتعتنا واتجهنا مباشرة إلى المبنى الثاني من المطار لأخذ سيارتنا من أحد مكاتب استئجار السيارات هناك .

حجزت السيارة قبل شهرين من موقع carrental ، كانت سيارة صالون فولكس واغن موديل ٢٠١٣ ، أربعة أبواب ووقودها الديزل . كنت حريصاً على هذا النوع من الوقود ، فبرغم ارتفاع ثمنه يستمر أكثر في السيارة ولا يحترق بسرعة مثل البنزين . فنحن لا نريد أن نخسر وقت الرحلة القصير بتوقيفات كثيرة عند محطات البنزين . ولزيادة الاطمئنان والتأكد من نوع الوقود سألت موظفة مكتب الاستئجار :

هل وقود السيارة ديزل كما طلبت من خلال موقع كاررنتال أم وقودها البنزين ؟ قالت : بل ديزل . قالت ديزل من دون أن تنظر في أوراق السيارة التي أعطتني إياها أو تنظر إلى معلومات السيارة المسجلة في كمبيوترها .. لقد انشغلت بزيون جديد ولم يعد لديها وقت للتأكد مما طلبته إليها . أخذنا مفاتيح السيارة واتجهنا إليها ، وانطلقنا بها إلى مدينة برينز حيث يقع فندقنا لرحلة الصيف في الجبل الذي يعلوها .

كانت كما قلت سيارة فولكس واغن جديدة موديل ٢٠١٣ ، سرعتها ٢٦٠ كم/ساعة ، ولم يقطع عداد الكيلومترات فيها إلا ١٥ ألف كم فقط . ربما أكون أول مستأجر لها . وصلنا إلى فندقنا على جبل إكسالب ، وقابلنا مالكة المدهش المستر رودى وزوجته الرائعة المس هايدى ، وأقمنا عندهم ست ليالٍ . تأكدنا خلالها من سعة الفندق وتوافر مكان مناسب للصلاة وللدورات ، وملاءمته لأنشطتنا وبرامجنا ، واستطاعة المستر رودى توفير اللحم الحلال لنا . وقد كان وما زال فندق إكسالب من أفضل الأماكن لإقامتنا والأكثر مثالية لبرامجنا ورحلاتنا . في اليوم نفسه زرنا شركة الحافلات ريزن روفينر في مدينة تورتمان السويسرية ، ووقعنا معهم عقد التنقل لبرامجنا جميعها لتلك الرحلة بين ألمانيا والنمسا وسويسرا . وخلال إقامتنا في إكسالب استمتعنا بزيارة مدينة إنترلاكن القريبة ، وقرنندلوورد ، ولوزيرن ، ولوزان ، ومونترو ، ولوقانو ، وميلان .

في طريق العودة من مدينة مونترو السويسرية لاحظت أن عداد البنزين وصل إلى الربع ، فتوقفت لتعبئة سيارتنا بالوقود عند إحدى

محطات البنزين المنتشرة على الطريق . ملأت الخزان كاملاً بالديزل ، ثم أكملت المسير إلى إكسالب . ومع غروب الشمس ونحن نكاد نصل إلى فندقنا على قمة الجبل ، أحسست ببداية تقطع في سير السيارة ، وأنّ الماكينة تكاد تنطفئ وتوقف عن الحركة ، لكن من لطف الله ورحمته أننا كنا قد أشرفنا على الوصول ، وبالكاد وصلنا إلى مواقف الفندق . ومباشرة جاءني الشك بأن وقود السيارة ليس الديزل بل البنزين . ولولا أنّ الديزل أكثر كثافة من البنزين ، وأنّ البنزين هو الأعلى في خزان البنزين وهو المتدفق أولاً إلى الماكينة ، ولم يكن العكس ، لتعطلت السيارة مباشرة عند محطة البنزين .

والسؤال بعد هذه القصة .. كيف لسيارة جديدة ألمانية بمتانة مكائن سيارات فولكس واغن وجودتها أن تتعطل ولم يكمل عداد المسافة فيها العشرين ألف كم ؟ لقد كانت هذه السيارة على استعداد دائم أن تنطلق بنا بسرعة ٢٦٠ كم/ساعة ، لكنها لم تستطع أن تتجاوز سرعة ٢٠ كم/ساعة ونحن على أعصابنا في آخر منحى للجبل إلى مواقف الفندق !! إنه ببساطة كما أدرك قارئ العزيز .. الوقود الخطأ .

الوقود الخطأ الذي عطل تلك الماكينة الألمانية الجديدة بكل تكنولوجيتها وتقنياتها وجودة قطعها ، وهذا بالضبط ما يحدث لكثير من الناس وكثير من المتعلمين !!

برغم أننا نملك تلك العطية الإلهية المدهشة التي تسمى الدماغ ، الخارقة في تفكيرها وإبداعها وحفظها وسرعة حساباتها ومعالجاتها ، إلا أننا سمحنا للوقود الرديء أن يتسلل إليها ويحشوها من الداخل . الوقود الرديء المتمثل في السخرية والتحطيم والرسائل السلبية من الآخرين ، الذي أفقدنا الثقة في أنفسنا وإمكاناتنا ، وجعلنا في قاع الترتيب نخجل من المنافسة والسباق مع المتميزين . وقود رديء يتكرر تصديره إلينا يومياً من السلبيين والساخرين ، عطل أدمغتنا وكبح طاقاتها ، وقيد حيلها وابتكاراتها وقدراتها . قدراتها العظيمة التي سمحت لأطفال صغار لا يتحدثون العربية من أذربيجان وأوزبكستان وماليزيا وبنغلادش يحفظون القرآن الكريم بإتقان وتجويد من الجلدة إلى الجلدة ، وينافسون كل عام أهل العربية في المسابقات الدولية في مكة والكويت والدوحة ودبي والشارقة واندونيسيا وماليزيا وإيران

وباكستان .. نحسبهم استثناءات خارقة لا يمكننا أن نبلغ مستواهم ..
وهو وهم كبير وغلط عظيم .

يقول طبيب المخ والأعصاب بنيامين جاكسون الذي ذكرت لكم قصته في فصل " نقطة التغيير السادسة " : برغم أنني في مهنة جراحة المخ والأعصاب منذ أكثر من ٣٠ سنة ، لكنني وإلى الآن ، كلما دخلت غرفة العمليات ونظرت إلى المخ المكشوف أمامي لإجراء عملية جراحية فيه ، وقد غطي وجه المريض وجسده بالكامل ، لا أعرف إذا كان هذا المريض ذكراً أم أنثى ، أسوداً أم أبيض ، أمريكياً أم بحرينياً ، يابانياً أم مصرياً ، تنزانياً أم فنزويلياً ، أسترالياً أم نرويجياً ، قطرياً أم كورياً !! فالكل له الآلة المدهشة نفسها .. وهي الدماغ بكل تفاصيله وتركيباته وأنسجته وخلاياه .

إذاً لا يختلف تشريح أدمغة العظماء والعلماء والأطباء وأصحاب جوائز نوبل عن تشريح أدمغتنا ولا عن شكلها وحجمها .. بل هي تتشابه معها بكل التفاصيل والدقائق والمكونات .

إنَّ الاختلاف بين أدمغتنا وأدمغة هؤلاء الرواد والناجحين وأصحاب الإنجازات العظيمة إنما تصنعه الأفكار والتدريبات والمهارات التي تتعرض لها ، وجودة المعلومات والإثراءات والتحديات والأطعمة التي تغذيها . بعضهم يغذي دماغه بالماء والفواكه والهواء النقي ، وبعضهم يدمره بالسيجارة والحشيشة والمسكرات . بعضهم يصرفه على التفكير والتركيز والمراجعة والحفظ وحل المسائل والمشكلات ، وبعضهم يجعله متلقياً ساذجاً أبله للألعاب الإلكترونية والمسلسلات والمباريات والتفاهات . بعضهم يجعل تنمية دماغه وتطويره أول أولوياته ، وبعضهم يجعله آخر أولوياته واهتمامته . إذاً كما يقول الأمريكيان :

Use it or lose it

حرصت أيها الشباب ، أيها المتعلمون ، أيها المبتعثون .. في كل فصول كتابي أن أقدم الأدلة والبراهين الكثيرة على قدرتكم بحول الله وتوفيقه على التفوق ، وأنه متاح للجميع لا تحتكره دولة ولا جنس

ولا عرق ولا لون . فالكثير من أبطال كتابي وشخصياته كانوا في قاع
 الفشل والفقر والألم وتواضع الإمكانيات والذكاءات ، لكنهم استمروا
 في البحث عن طريق التفوق وخطوات النجاح ، فلما عرفوها وأدركوا
 توافر النجاح والتفوق للناس جميعهم ، التزموا ذلك الطريق وتلك
 الخطوات ، فما زالوا يطورون ذكاءاتهم ومواهبهم ومهاراتهم بالتعلم
 والتدريب في عزم وتفان ومثابرة ، حتى بلغوا القمة والاحترافية في
 أعمالهم ورياضاتهم ومدارسهم .

كل ما تحتاج إليه هو سؤال الله التسديد والتوفيق ، وأن تلتزم
 بإحدى وصفات النجاح وخطواته المجربة عند أهل الخبرة والريادة .
 كما هو حالك وأنت تلتزم وتتبع إرشادات لعبة جديدة أو تركيب جهاز
 جديد ، فمن غير وصفة التشغيل والتركيب لن تبلغ النهاية والغاية
 التي تريد ، وسيضيع وقتك ومجهودك . ونصيحتي أيضاً ألا تسمح
 لأحد أبداً مهما كان مقامه وخبرته ومركزه أن يسلبك ثقتك في
 نفسك وقدراتك وإمكاناتك ، فبدور التفوق والموهبة موجودة فيك ،
 فلا تأذن لأحد أن يُغرقها أو يُسممها .

لكم أيها الشباب كتبته .. كتبته لمن أحب . فإن انتفعتم بما كتبت ، فإنني
أسألكم في حلکم وترحالکم أن تدعوا لي ولوالدي وأهلي وأبنائي والمسلمين
بالإخلاص والرحمة والمغفرة ، وأن يوجد الله الكريم علينا برضاه وعطاياه
والسعادة في الدارين ، ويرزقنا الوهاب المتأن الضردوس الأعلى ، ويُحرِّم
جلودنا عن النار ، وأن يمتعنا ويقر أعيننا يوم نلقاه بالنظر إلى وجهه
الكريم .. آمين يا رب العالمين .

المراجع

- آرمسترونج، توماس. (٢٠٠٦). *الذكاءات المتعددة في غرفة الصف*. الدمام: دار الكتاب التربوي.
- ابن الملتن، عمر بن علي. (١٩٩٠). *مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرک أبي عبد الله الحاكم*. الرياض: دار العاصمة.
- أبو حطب، فؤاد. (١٩٩٦). *القدرات العقلية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- أتارد، إينيور، وكاباسا، ماريونا. (٢٠١٢). *غاندي*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- التويجري، محمد، و منصور، عبد المجيد. (٢٠٠٠). *الموهوبون: آفاق الرعاية والتأهيل بين الواقعيين العربي والعالمي*. الرياض: العبيكان.
- الجمعة، عبد الله صالح. (٢٠١١). *عظماء بلاد مدارس*. الرياض: العبيكان.
- الجميلي، غانم علوان. (٢٠١٤). *جنود نهضة اليابان*. الرياض: العبيكان.
- المحمودي، سعد محمد. (٢٠١٣). *فاشل ولكن*. دبي: دار مدارك.
- الخلفي، إبراهيم محمد. (٢٠١١). *في بيتنا مكار*. الكويت: دار اقرأ.
- الدخيل، عزام بن محمد. (٢٠١٤). *تعليمهم: نظرة في تعليم الدول العشر الأوائل في مجال التعليم عبر تعليمهم الأساسي*. بيروت: الدار العربية للعلوم.
- الدوسري، شيخة. (٢٠١١). *كيف نجح النظام التعليمي في سنغافورة*. مجلة المعرفة، ١٩٣، ٣١-٢٨.
- الذهبي، محمد بن أحمد. (١٩٩٦). *سير أعلام النبلاء*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الرشيد، محمد أحمد. (٢٠٠٨). *من أعجب ما سمعت*: مرقاة رقية بقره علي القرقي. جريدة الرياض، العدد ١٤٥٤٧.
- الرشدي، بشير صالح. (٢٠٠٥). *الإرشاد النفسي وفق نظرية العلاج الواقعي*. الكويت: مجموعة إنجاز العالمية.
- الرشدي، بشير صالح. (٢٠٠٩). *كيف تحقق أهدافك*. الكويت: مجموعة إنجاز.
- الرشدي، بشير صالح. (٢٠٠٨). *كيف تواجه أحداث الحياة*. الكويت: مجموعة إنجاز.
- السدحان، عبدالعزيز بن محمد. (١٩٩٩). *معالم في طريق طلب العلم*. الرياض: دار العاصمة.
- السرور، ناديا هایل. (٢٠٠٠). *مفاهيم وبرامج عالمية في تربية المتميزين والموهوبين*. عمان: دار الفكر.
- السرور، ناديا هایل. (١٩٩٨). *مدخل إلى تربية المتميزين والموهوبين*. عمان: دار الفكر.
- السلطي، ناديا سميح. (٢٠٠٤). *التعلم المستند إلى الدماغ*. عمان: دار المسيرة.
- الشامي، محمد. (٢٠١٢). *مهاتما غاندي: قصة حياتي*. بيروت: دار حكايات.
- الشقيري، أحمد. (٢٠١١). *خواطر من اليابان*. الرياض: العبيكان.
- الطرزي، نصري خضر. (٢٠٠٠). *استخدم عقلك: دليلك إلى دراسة أفضل*. عمان: دار التنوير العلمي.

- الطنطاوي ، علي . (١٩٨٨) . فكر ومباحث . مكة المكرمة : مكتبة المنارة .
- العبدلي ، ساجد بن متعب . (٢٠١٣) . كلمة وكلمتين : تأملات وأفكار حول جوهر النجاح والسعادة في الحياة . دبي : مدارك .
- العزة ، سعيد حسيني . (٢٠٠٠) . تربية الموهوبين والمتفوقين . عمان : دار الثقافة .
- العسقلاني ، أحمد بن علي . (١٩٩٣) . الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة . بيروت : دار الجيل .
- العضيدان ، سلوى . (٢٠١٤) . استمتع بفشلك ولا تكن فاشلاً . الرياض : الجريسي .
- الغنام ، عبدالله . (٢٠١٣) . أكسجين الحرية . الدمام .
- القرني ، عائض . (٢٠١١) . إشراقات . الرياض : العبيكان .
- الكريباتي ، سعد سعود . (٢٠١٥) . كيف أصبحوا عظماء . الرياض : العبيكان .
- الكريباتي ، سعد سعود . (٢٠١٤) . قصص أعجبت طلابي . الرياض : العبيكان .
- المبيض ، مأمون . (٢٠٠٣) . الذكاء العاطفي والصحة العاطفية . بيروت : الدار العربية للعلوم .
- المزدي ، موسى منصور . (٢٠٠٨) . أنا يوم جديد . الكويت .
- المزدي ، موسى منصور . (٢٠٠٩) . كن متميزاً : سبع خطوات في قيادة النفس . الكويت .
- المزدي ، موسى منصور . (٢٠١٥) . كن معنا في القمة . الكويت .
- المكي ، الموفق بن أحمد . (١٩٠٣) . مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة . حيدرآباد : مجلس دائرة المعارف .
- المعايطة ، خليل عبد الرحمن ، و البوايز ، محمد عبدالسلام . (٢٠٠٠) . الموهبة والتفوق . عمان : دار الفكر .
- الملحم ، إسماعيل . (٢٠٠٣) . تنشيط قدرات الطفل على التعلم . دمشق : دار علاء الدين .
- الهيثمي ، أحمد بن حجر . (١٩٨٣) . الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان . بيروت : دار الكتب العلمية .
- الوهر ، محمود ، الحموري ، هند . (٢٠٠٢) . المهارات الدراسية بين النظرية والتطبيق . الكويت : مكتبة الفلاح .
- أوياما ، باراك . (٢٠٠٨) . جراحة الأمل . الرياض : مكتبة العبيكان .
- بلندنجر ، جاك . (١٩٩٩) . الانضباط الفصلي عن طريق كسب الطلاب واحترامهم . الرياض : دار المعرفة للتنمية البشرية .
- بلود ، جاك ، وبلود ، مارشا . (١٩٩٩) . دليل الآباء لتفوق الأبناء : علم ابنك عادات النجاح المدرسي . القاهرة : الشركة العربية للإعلام العلمي شعاع .
- بيرنيت ، غاري ، و جارفيس ، كاي . (٢٠٠٤) . دليل الأهل لنجاح أبنائهم . بيروت : الدار العربية للعلوم .
- بينك ، دانيال إتش . (٢٠١٣) . عقل جديد كامل : لماذا سيحكم المبدعون المستقبل . الرياض : جرير .
- بينك ، دانيال إتش . (٢٠١٢) . الحافز : الحقيقة المدهشة بشأن الأشياء التي تحفزنا . الرياض : جرير .
- بيوشامب ، إدوارد . (١٩٩٩) . التعليم الياباني والتعليم الأمريكي : دراسة مقارنة . الرياض : دار المعرفة للتنمية البشرية .

- تريسي، براين . (١٩٩٨) . علم نفس النجاح . دمشق : دار الثقافة للجميع .
- تريسي، براين . (٢٠١١) . أقصى إنجاز . الرياض : جرير .
- تريسي براين . (٢٠١٤) . خطة الرحلة . الرياض : جرير .
- تشاندلر، ستيف . (٢٠٠٣) . مئة طريقة لتحفيز نفسك : كيف تكون الشخص الذي تريد . الرياض : جرير .
- جابر، جابر عبد الحميد . (٢٠٠٣) . الذكاءات المتعددة والفهم : تنمية وتعميق . القاهرة : دار الفكر العربي .
- جروان، فتحي عبد الرحمن . (٢٠١٣) . أساليب الكشف عن الموهوبين ورعايتهم . عمان : دار الفكر .
- جلاسر، وليام . (٢٠١٣) . كن مسئولاً عن حياتك . الجيزة : الرابطة للنشر .
- جلاذويل، مالكوم . (٢٠١٠) . المتميزون قصة نجاح . الرياض : جرير .
- جنسن، إريك . (٢٠٠١) . كيف توظف أبحاث الدماغ في التعليم . الدمام : دار الكتاب التربوي .
- جنسن، إريك . (٢٠٠٧) . التعلم المبني على العقل : العلم الجديد للتعليم والتدريب . الرياض : جرير .
- جولمان، دانيال . (٢٠٠٨) . الذكاء العاطفي : وسبب كونه أكثر أهمية من حاصل الذكاء . الرياض : جرير .
- جون، ريتشارد سانت . (٢٠١١) . ٨ صفات لتكون عظيمًا . الرياض : جرير .
- حسين، مالك . (٢٠٠٤) . الإبداع في رحلة الفائدة والإمتاع . دمشق : دار علاء الدين .
- حسين، محمد عبدالهادي . (٢٠٠٥) . الاكتشاف المبكر لقدرات الذكاءات المتعددة بمرحلة الطفولة المبكرة . عمان : دار الفكر .
- حسين، محمد عبدالهادي . (٢٠٠٣) . تربيوات المخ البشري . عمان : دار الفكر .
- حواشين، زيدان ،، حواشين مفيد . (١٩٩٨) . تعليم الأطفال الموهوبين . عمان : دار الفكر .
- دانييلسون، شارلوت . (٢٠١٠) . تحسين إنجاز الطالب : إطار عمل من أجل تطوير المدارس . الرياض : العبيكان .
- ديفيدسون، آلان ،، وديفيدسون، روبرت . (٢٠٠٤) . كيف ينشئ الآباء الأكفاء أبناء عظاماً واثقين بأنفسهم ناشطين ، ودودين ، محبين للحياة ، منضبطين ، متفوقين وسعداء ؟ السمات الست الأساسية للآباء الناجحين . الرياض : جرير .
- رنكو، مارك . (٢٠١٢) . الإبداع : نظرياته وموضوعاته ، البحث ، والتطور ، والممارسة . الرياض : العبيكان .
- روبنسون، كين . (٢٠٠٣) . صناعة العقل : دور الثقافة والتعليم في تشكيل عقلك المبدع . حلب : شعاع للنشر والعلوم .
- زيجلر، زيج . (٢٠٠٦) . أراك على القمة . الرياض : جرير .
- زيجلر، زيج . (٢٠٠٧) . خطوات نحو القمة . الرياض : جرير .
- زيجلر، زيج . (٢٠١٦) . فوق القمة . الرياض : جرير .
- زيجلر، زيج . (٢٠١٦) . قمة الأداء . الرياض : جرير .
- سليجمان، مارتن إي بي ،، ريفيتش، كارين ،، جايكوكس، ليزا ،، وجيلهام، جين . (٢٠٠٦) . الطفل المتفائل : البرنامج الذي أحدث ثورة في حماية الأطفال من الاكتئاب وساعدهم على التكيف مع الحياة . الرياض : جرير .

- سليم، مريم. (٢٠٠٢). *علم نفس النمو*. بيروت: دار النهضة العربية.
- سليم، مريم. (٢٠٠٤). *علم النفس التربوي*. بيروت: دار النهضة العربية.
- سميث، غولد،، لاين، لورانس،، وفريس، إلياسا. (٢٠٠٦). *التدريب للقيادة: كيف يساعد أفضل المديرين في العالم القادة على التعلم*. الرياض: معهد الإدارة العامة.
- سولو، بوب. (٢٠١٠). *تعزيز دافعية الطالب*. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- سوندرز، جاكلي،، وايسبلاند، باميليا. (٢٠٠٢). *صقل المواهب: كتاب مرجعي لا غنى عنه لآباء الأطفال الموهوبين*. الرياض: أكاديمية التربية الخاصة.
- سيلفر، هارفي،، سترونج، ريتشارد،، وبريني، ماثيو. (٢٠٠٦). *لكي يتعلم الجميع: دمج أساليب التعلم بالذكاءات المتعددة*. الدمام: دار الكتاب العربي.
- شوبرا، ديباك،، وتانزي، رودولف. (٢٠١٤). *الدماغ الخارق: أطلق العنان للقوة المتفجرة لعقلك من أجل تحقيق أكبر قدر من السعادة والصحة والحياة الرغيدة*. بيروت: دار الخيال.
- عبدالغفار، عبدالسلام. (١٩٧٧). *التفوق العقلي والابتكار*. القاهرة: دار النهضة العربية.
- عبده، سمير. (١٩٨٩). *العلاقة المتبادلة بين العبقرية والذكاء*. دمشق: دار الكتاب العربي.
- عليم، محمد. (٢٠٠١). *النظام التعليمي في اليابان: عندما تكون صياغة الإنسان هي الهدف*. مجلة *العلم الكويتية*، ١٢٧٣، ١٢ - ١٦.
- عمر، ماهر محمود. (١٩٩٩). *الإرشاد النفسي المدرسي*. ميتشيجان: أكاديمية ميتشيجان للدراسات النفسية.
- غاردنر، هوارد. (٢٠٠١). *العقل غير المدرسي: كيف يفكر الأطفال؟ وكيف ينبغي للمدارس أن تعلم؟* الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- غرينفيلد، سوزان. (٢٠١٠). *رحلة في أسرار العقل*. دمشق: دار علاء الدين.
- غوريان، مايكل. (٢٠٠٦). *عقول الفتيان: حماية أبنائنا من التخلف عن غيرهم في المدرسة وفي الحياة*. الرياض: العبيكان.
- فوزو، برنار. (١٩٧٦). *نمو الذكاء عند الأطفال*. القاهرة: النهضة المصرية.
- كاتو، هيديتوشي وآخرون. (١٩٩٩). *خفايا المعجزة اليابانية*. بيروت: الدار العربية للعلوم.
- كاهني، ليندر. (٢٠٠٨). *رحلة داخل عقل ستيف جوبز*. بيروت: الدار العربية للعلوم.
- كريغ، جين آن. (٢٠٠٥). *ليس المهم مقدار ذكاءك بل كيف تستخدم ذكاءك*. الرياض: العبيكان.
- كرين، وليام. (١٩٩٦). *نظريات النمو: مفاهيم وتطبيقات*. الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية.
- كلنتن، عبدالرحمن بن نور. (٢٠٠١). *رحلة مع الموهبة: الدليل الشامل*. الرياض: دار طويق.
- كو، آدم،، و تان، ستيفوارت. (٢٠١٣). *سيطر على عقلك صمم مصيرك: استراتيجيات مجربة تمكنك من*

- تحقيق أي شيء تريده في الحياة . الرياض : جرير .
- كو ، آدم ، ولي ، جان . (٢٠١٣) . أسرار المراهقين الناجحين . الرياض : جرير .
- كو ، آدم ، ولي ، جان . (٢٠١٣) . تغذية روح الفوز والعبقرية في طفلك : إستراتيجيات الآباء الأكثر فعالية . الرياض : جرير .
- كوين ، نيدو . (٢٠١٢) . كيف تحصل على أي شيء تريده . الرياض : العبيكان .
- كوفي ، ستيفن آر . (٢٠١٢) . البديل الثالث : حل أصعب مشاكل الحياة . الرياض : جرير .
- كولانجيلو ، نيكولاس ، و ديفيز ، غاري . (٢٠١٢) . المرجع في تربية الموهوبين . الرياض : العبيكان .
- كونزيميس ، آن . ي ، ومورجانت-فيشر ، تيري . (٢٠١٤) . أكثر من مجرد هدف ذكي . الظهران : دار الكتاب التربوي .
- لفين ، مل . (٢٠٠٤) . لكل عقل موهبة . بيروت : شركة الحوار الثقافي .
- ليستما ، روبرت ، أوجست ، روبرت ، جورج ، بيتي ، وبيك ، لويس (١٩٨٧) . التعليم في اليابان . الكويت : الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية .
- ليفيتون ، ريتشارد . (٢٠٠١) . بناء العقل : دليلك مدى الحياة إلى تفكير أعمق وذاكرة أقوى وعقل لا ينال منه الزمن . الرياض : جرير .
- ماتشادو ، لويس . (٢٠٠١) . الذكاء حق طبيعي لكل فرد . القاهرة : دار الرضا .
- ماثيوز ، أندرو . (٢٠٠٥) . كن سعيداً . الرياض : جرير .
- مارتين ، أندرو . (٢٠٠٥) . كيف تحفز طفلك على الدراسة : في المدرسة وما بعدها . الرياض : العبيكان .
- ماكسويل ، جون سي . (٢٠١٤) . ١٥ قانوناً لا يقدر بثمن للنمو . الرياض : جرير .
- ماكسويل ، جون سي . (٢٠١١) . الفشل البناء : تحويل الأخطاء إلى جسر للنجاح . الرياض : جرير .
- ماكسويل ، جون سي . (٢٠٠٩) . الموهبة لا تكفي أبداً . الرياض : جرير .
- ماكينا ، بول . (٢٠١٤) . أستطيع أن أجعلك أكثر ذكاء . الرياض : جرير .
- مالهى ، رانجيت سينج ، وريزتر ، روبرت ديليو . (٢٠٠٥) . تعزيز تقدير الذات : إعادة بناء وتنظيم نفسك للنجاح في الألفية الجديدة . الرياض : جرير .
- مبيض ، مأمون توفيق . (٢٠٠٨) . الذكاء العاطفي والصحة العاطفية . بيروت : المكتب الإسلامي .
- مطبقاني ، مازن . (٢٠١١) . رحلاتي إلى مشرق الشمس : اليابان ، هونغ كونج ، ماليزيا ، كوريا . الرياض : العبيكان .
- معوض ، خليل ميخائيل . (١٩٩٣) . القدرات العقلية . الإسكندرية : دار الفكر الجامعي .
- مهدي ، عباس (١٩٩٨) . الذكاء والتفوق والعقد النفسية . بيروت : دار المناهل .
- ميرفي ، جوزيف (٢٠١٢) . قوة عقلك الباطن . الرياض : جرير .
- نيفن ، ديفيد . (٢٠٠٤) . أبسط ١٠٠ سر للأشخاص الناجحين . الرياض : جرير .
- هول ، ريتشارد . (٢٠٠٩) . النجاح . الرياض : جرير .
- هولز ، أندرو . (٢٠٠٨) . النجاح في الاختبارات : مهارات استذكار من أجل النجاح . الرياض : جرير .

- Armstrong, T. (2009). *Multiple intelligences in the classroom*. Alexandria, Virginia: ASCD.
- Armstrong, T. (2003). *You're smarter than you think: A kid's guide to multiple intelligences*. Minneapolis, MN: Free Spirit.
- Assaraf, J., & Smith, M. (2009). *The answer: Grow any business, achieve financial freedom, and live an extraordinary*. New York: Atria Books.
- Barbe, W. B., & Joseph, S. R. (1975). *Psychology and education of the gifted*. New York: John Wiley Sons.
- Barrett, S. L. (1992). *It's all in your head*. Minneapolis, MN: Free Spirit.
- Baumeister, R. F., Campbell, J. D., Krueger, C. I., & Vohs, K. D. (2003). Does high self-esteem cause better performance, interpersonal success, happiness, or healthier lifestyles? *Psychological Science in the public interest*. 4(1): 1-44.
- Bender, W. N., & Shores, C. (2007). *Response to intervention: A practical guide for every teacher*. Thousand Oaks, CA: Corwin Press.
- Benson, P. L., Galbraith, J., & Espeland, P. (1998). *What kids need to succeed: Proven, practical ways to raise good kids*. Minneapolis, MN: Free Spirit.
- Bentley, J. C. (1966). Creativity and academic achievement. *The Journal of Educational Research*. 59(6): 269-272.
- Berkeley, S., Bender, W. N., Peaster, L. G., & Saunders, L. (2009). Implementation of response to intervention. *Journal of Learning Disabilities*, 42, 85-95.
- Bernard, M. E. (1997). *You can do it: How to boost you child's achievement in school*. New York: Grand Central.
- Brown, L. (1992). *Live your dreams*. New York: HarperCollins.
- Bruns, J. H. (1993). *They can but they don't: Helping students overcome work inhibition*. London: Penguin Books.
- Campbell, L., & Campbell, B. (1999). *Multiple intelligences and student achievement: Success stories from six schools*. Alexandria, Virginia: ASCD.
- Claxton, G. (2001). *Wise up: Learning to live the learning life*. London: Continuum International Publishing.

- Coil, C. (1992). *Encouraging achievement*. Illinois: Pieces of Learning.
- Coil, C. (2001). *Motivating underachievers*. Illinois: Pieces of Learning.
- Conlan, R. (1999). *States of Mind: New discoveries about how our brains make us who we are*. Hoboken, NJ: Wiley.
- Crabbe, A., & Betts, G. (1988). *Creating more creative people*. Laurinburg, N. Carolina: The Future Problem solving program.
- Davis, G. (1999). *Creativity is forever*. Dubuque, Iowa: Kendall/Hunt.
- Davis, G., Rimm, S., & Siegle, D. (2010). *Education of the gifted and talented*. London: Pearson.
- Deporter, B., & Hernacki, M. (2000). *Discovering you personal learning style*. Oceanside, CA: Learning Forum.
- Devi, S. (2012). *Awaken the genius in your child*. New Delhi: Orient.
- Drews, E. M. (1961). *A critical Evaluation of approaches of the identification of gifted students*. Washington: American Council on Education.
- Duckworth, A. (2016). *Grit: the power of passion and perseverance*. New York, NY: Scibner.
- Dweck, C. S. (1986). Motivational processes affecting learning. *American Psychological*, 5, 1179-1187.
- Ericsson, K. A. (1996). *The road of excellence: The acquisition of expert performance in the arts and science, sports and games*. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.
- Ericsson, K. A., Pool, R. (2016). *Peak: How to master almost anything*. Toronto, Canada: Viking.
- Ericsson, K. A., Pool, R. (2016). *Peak: Secrets from the new science of expertise*. New York: Houghton Mifflin Harcourt.
- Ericsson, K. A., Roring, R. W., & Nandagopal, K. (2007). Giftedness and evidence for reproducibly superior performance: an account based on the expert performance framework. *High Ability Studies*: 18(1): 3-56

- Flack, J. & Meador, K. (1997). *Creative thinking and problem solving for young learners*. California: Libraries Unlimited.
- Fletcher, J. M., Denton, C., & Francis, D. J. (2005). Validity of alternative approaches for the identification of learning disabilities: Operationalizing unexpected underachievement. *Journal of Learning Disabilities*, 38, 545-552.
- Fryer, M. (1996). *Creative teaching and learning*. London : Chapman.
- Gardner, H. (1983). *Frames of mind: The theory of multiple intelligences*. New York. Basic Books.
- Gardner, H. (1993). *Multiple intelligences: The theory in practice*. New York. Basic Books.
- Gardner, H. (2000). *Intelligence reframed: Multiple intelligences for the 21 st century*. New York, New York. Basic Books.
- Gardner, H. (2006). *Multiple Intelligences: New horizons in the theory and practice*. New York, New York. Basic Books.
- Gladwell, M. (2008). *Outliers: The story of success*. New York: Little, Brown and company.
- Glasser, W. (2010). *Choice theory in the classroom*. New York. Harper Collins.
- Goodlad, J. I. (1984). *A place called school: Prospects for the future*. New York: McGraw-Hill.
- Gould, E., Reeves, A., Graziano, M., & Gross, C. (1999). Neurogenesis in the neocortex of adult primates. *Science*, 286, 548-552.
- Guilford, J. P. (1959). The three faces of intellect. *American Psychologist*, 14(8): 469-479.
- Haggerty, B. A. (1995). *Nurturing Intelligences: A guide to multiple intelligences theory and teaching*. Boston, MA: Addison-Wesley.
- Hallahan, D. P., Kauffman, J. M. (2006). *Exceptional learners: An introduction to special education*. Boston, MA: Allyn and Bacon.
- Hallahan, D. P., Kauffman, J. M. & Pullen, P. C. (2009). *Exceptional learners: An Introduction to learning disabilities*. Boston, MA: Allyn and Bacon.
- Hallahan, D. P., Lloyd, J. W., Kauffman, J. M., Weiss, M. P., & Martinez, E. A. (2005). *Learning disabilities: Foundations, characteristics, and effective teaching*. Boston, MA: Allyn and Bacon.

- Hill, N. (2005). *Think and grow rich*. New York, TarcherPerigee.
- Hoffman, B. (1961). *The tyranny of multiple-choice tests*. New York: Harper & Brothers.
- Holland, J. L. (1961). Creative and academic performance among talent adolescents. *Journal Educational Psychology*, 52(3): 136-147.
- Holland, J. L., & Richard, J. M. (1967). The many face of talent: A reply to Werts. *Journal Educational Psychology*, 58(4): 205-209.
- Hunt, T. (1992). *Learning to learn: Maximizing your performance potential*. Kaneohe, HI: Elan Enterprises.
- Hunter, J. E., & Hunter, R. F. (1984). Validity and utility of alternative predictors of job performance. *Psychological Bulletin*, 96(1): 72-98.
- Johnson, N. L. (1989). *The faces of gifted*. Marion, IL. Pieces of learning.
- Jussim, L., & Eccles, J. (1995). *Naturally occurring interpersonal expectancies*. Beverly Hills, CA: Sage.
- Kavale, K. A. (2005). Identifying specific learning disability: Is responsiveness to intervention the answer? *Journal of Learning Disabilities*, 38, 553-562.
- Kavale, K. A., & Spaulding, L. S. (2008). Is responsiveness-to-intervention is good policy to specific learning disabilities? *Journal of Learning Disabilities*, 23(4), 169-179.
- Kemperman, G., & Gage, F. (1999). New nerve cells for the adult brain. *Scientific American*, 5, 48.
- Khoo, A. (1998). *I am gifted, so are you*. Singapore: Oxford University Press.
- Koretz, D. M., Linn, R. L., Dunbar, S. B., & Shepard, L. A. (1991). *The effect of high-stakes testing on achievement: Preliminary findings about generalizations across tests*. Paper presented at the American Education Research Association, Chicago.
- Kriegel, R., & Patler, L. (1992). *If it ain't broke break it*. New York: Warner Books.
- Lazear, D. (1991). *Eight ways of teaching: The artistry of teaching with multiple intelligences*. Illinois: Skylight Publishing.

- Leachman, C., & Victor, D. (2003). Student-led class meetings. *Educational Leadership*, 60(6), 64-68.
- Lerner, J., & Johns, B. (2009). *Learning disabilities and related mild disabilities: Characteristics, teaching strategies, and new directions*. Boston, MA: Houghton Mifflin.
- Maker, C. J., & Schiever, S. W. (2005). *Teaching models in education of the gifted*. Austin: Pro ed.
- Maker, C. J., & Nielson, A. B. (1995). *Curriculum development and teaching strategies for gifted learners*. Austin: Pro ed.
- Maree, J., & Ebersohn, L. (2002). Emotional intelligence and achievement: Redefining giftedness. *Gifted Education International*, 16(3), 261-273.
- Margolis, H., & McCabe, P. (2006). Improving self-efficacy and motivation: What to do, what to say. *Intervention In School and Clinic*, 41(4), 218-227.
- Marzano, R., & Maano, J. (2003). The key to classroom management. *Educational Leadership*, 61(1), 6-13.
- Mathews, Andrew. (1999). *Follow your heart: Finding purpose in your life and work*. Gold Coast: Seashell.
- McClelland, D. C. (2010). *The achieving society*. New York, N. Y. The Free Press.
- Moore, B. and Montgomery, J. (2008). *Making a Difference for America's Children: Speech Language Pathologists in Public Schools*. Austin: Pro-Ed.
- Peale, N. V. (1986). *Why some positive thinkers get powerful results*. New York, NY: Ballantine Books.
- Petrides, K., Frederickson, N., & Furnham, A. (2004). The role of trait emotional intelligence in academic performance and deviant behavior at school. *Personality & Individual Differences*, 36(2), 277-293.
- Phalen, T. W. (1996). *Self-esteem revolutions in children: Understanding and managing the critical transitions in your child's life*. Glen Ellyn, Illinois: Child Management Inc.

- Polette, N. (2004). *Gifted or goof off? Facts & fiction of the famous*. Illinois: Pieces of Learning.
- Renda, J., & Hughes, J. (2004). The value mothers place on paid work and their feelings of life control. *Family Matters*, 68, 76-83.
- Restak, R. (1984). *The brain*. New York, NY: Bantam Books.
- Rose, Colin., & Goll, L. (1992). *Accelerate your learning*. Aylesbury: Accelerated Learning System Limited.
- Schape, E. (2003). Creating a school community. *Educational Leadership*, 60(6), 31-33.
- Schmoker, M. (2006). *Results now: How we can achieve unprecedented improvement in teaching and learning*. Alexandria, VA: ASCD.
- Silver, H. F., Strong, R. W., & Perini, M. J. (2000). *So each may learn: Integrating learning styles and multiple intelligences*. Alexandria, VA: ASCD.
- Silverman, L., & others. (2000). *Counseling the gifted and talented*. Denver, Colorado: Love.
- Smutny, J. F., Walker, S. Y., & Meckstroth, E. A. (1997). *Teaching young gifted children in the regular classroom: Identifying, Nurturing, and challenging ages 4-9*. Minneapolis, MN: Free Spirit.
- Sousa, D. A. (2011). *How the brain learns*. California: Corwin.
- Stecker, P. M. (2007). Tertiary intervention: Using progress monitoring with intensive. *Teaching Exceptional Children*, 39(5), 50-57.
- Sternberg, R. J. (1997). *Successful Intelligence: How practical and creative intelligence determine success in life*. New York: Penguin Books Inc.
- Tate, M. (2004). *Sit and get won't grow dendrites: twenty learning strategies that engage the adult brain*. Thousand Oaks, CA: Corwin Press.
- Taylor, C. W. (1968). Cultivating new talents: A way to reach the educationally deprived. *The Journal of Creative Behavior*. 2(2), 83-90.
- The Faculty of the New City School. (1994). *Celebrating multiple intelligences: Teaching for success*. St. Louis, Missouri: The New City School. Inc.

- Torrance, E. (1965). *Gifted children in the classroom*. New York: The Macmillan.
- Urban, H. (2004). *Positive words, powerful results: Simple ways to honor, affirm, and celebrate life*. New York, NY: Fireside.
- Wallach, M. A., & Kigan, K. (1972). *A new look at the creativity by intelligence distinction*. London: Penguin Books.
- Wang, M. C., Haertel, G. D., & Walberg, H. J. (1993). Toward a knowledge base for school learning. *Review of Educational Research*, 63(3), 249-294.
- Yepsen, R. (1990). *How to boost you brain power: Achieving peak intelligence, memory, and creativity*. New York, NY: Random House Value.
- Ziglar, Z. (1989). *Raising positive kids in a negative world*. New York, NY: Ballantine Books.

الفهرس

١	المقدمة	٨
٢	وزير الذكاء	١٨
٣	عند أبواب المساجد	٤٠
٤	النمل الأبيض	٦٠
٥	سؤال محرج في الجو	٨٠
٦	شوف له مدرسة ثانية	١٠٠
٧	أكثر من ٢٠ سنة لحل اللغز	١٢٨
٨	سؤال أخرسني وغير حياتي	١٥٨
٩	ذكاءات وليس ذكاء واحداً	٢٠٦
١٠	نقطة التحول السادسة	٢٤٨
١١	الكاتشاب	٣١٤
١٢	شهقة الأمريكان	٣٤٦
١٣	الخاتمة	٣٧٨